المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

المدينة اللعبة

قصص

لي دونج ها

ترجمة: مون جي يونج

تحرير ومراجعة: عبد العظيم الورداني

المدينة اللعبة، صورة مؤثرة لمرحلة البلوغ لولدٍ في الصف الرابع الابتدائي يُدعى يون، يصور حياة أسرة فقيرة تكافح من أجل البقاء في الأعوام التي تلت الحرب الكورية مباشرة، من خلال سيرة ذاتية، حيث كُتِبت الرواية بأكملها من وجهة نظر الشاب يون.

وبينما تُلمح التداعيات السياسية للحرب الكورية في كل مكان، فهي لا تأخذ مركز الصدارة في هذه القصة التي تروي حياة ولد أُجبر على النضوج بسرعة لمساندة عائلته، فهو يكابد خسائر فادحةٍ، لكنه في الوقت نفسه يتحايل لتلمس الفرح في الأحداث اليومية.

وعلى نحوٍ يثير الدهشة، تُنتزع رغبات صبي صغير وآماله وغضبه، ويُلقى الضوء بشدة على الظروف التي عايشها الكوريون الفقراء بعد الحرب، فالمدينة اللعبة دراسة شيقة للصلابة المستهدفة لطفل دُفِع داخل تخبطات مرحلة البلوغ المبكرة.

وتأرجحًا بين انفطار القلوب وانتظار الأمل، تُشكِّل هذه الرواية الرائعة نصًّا موجهًا بالضرورة إلى هؤلاء المهتمين بآثار الحرب في الحياة اليومية، وفي المهمشين داخل المجتمع الكوري في حقبة الخمسينيات.

المدينة اللعبة

المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة الإبداع القصصي

- العدد: ١٢٦٣
- المدينة اللعبة
- لي دونج ها
- مون چي يونج
- عبد العظيم الورداني
- الطبعة الأولى ٢٠٠٨

هذه ترجمة رواية:

장난감 도시
이동하

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع جمعية كوريا والشرق الأوسط والمركز الكوري للثقافة العربية والإسلامية بمناسبة انعقاد منتدي كوريا والشرق الأوسط بالقاهرة (أكتوبر ٢٠٠٨)

이 책은 사단법인 한국-중동협회와의 협력 하에 출판되었음. 한국-중동협회는 2008 년 10 월 카이로에서 제 2 차 한-중동포럼을 개최하였고 그 기간 중 출판기념회가 진행되었음.

شارع الجبلاية بالأوبرا– الجزيرة – القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

المدينـة اللعبـة

تأليـــــــــف : لي دونـج ها
ترجمــــــــــة: مون چي يونـج
تحرير ومراجعة: عبد العظيم الورداني

2008

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

لي دونج ها.
المدينة اللعبة؛ تأليف: لي دونج ها؛ ترجمة: مون چي يونج
تحرير ومراجعة: عبد العظيم الورداني - ط١ - القاهرة:
المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨.
٢٤٣ ص ٢٠ سم
١- القصص الكورية
أ- مون چي يونج (مترجم)
ب- الورداني، عبد العظيم (محرر ومراجع)
ج- العنوان ٨٩٥,٣

رقم الإيداع: ٢٠٢٣٨/٢٠٠٨
الترقيم الدولي: 8 - 912 - 437 -977
طبع بمطابع شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع

المحتويات

الجزء الأول

المدينة اللعبة

الحفل الختامي المدرسي

غادرت أسرتي موطننا في المدينة التي كنا نسكن بها عندما كنت في الصف الرابع. كانت الحرب قد انتهت منذ مضي سنة أو سنتين وأتذكر هذا جيدًا جدًا بسبب التمثيل المدرسي، الذي أقيم في ذلك العام. حيث إنه كان عرضا سنويا لكنه توقف سنوات عديدة بسبب الحرب. في ذلك الوقت، كان الحفل الختامي مع يوم الألعاب الرياضية إحدى الفعاليات الكبرى من العام، خاصة بالنسبة لمدرسة في الريف. بسبب اهتمام الآباء والأمهات الكبير بالعرض، كان يبدو أنه مهرجان للقرية كلها بدلا من فعالية لطلاب مدرسة.

مارسنا البروفات باجتهاد لمدة شهر قبل رفع الستار. نحن في الصف الرابع خططنا ثلاثة برامج وهي الكورس وقصة للأطفال ومسرحية للأطفال. وربما كان يوجد المزيد مثل الرقص الذي شارك فيه كثير من البنات وقد شاركت في العروض الثلاثة الأولى.

مسرحية الأطفال "حمار للبيع" والتي اجتهدنا فيها بقلوبنا وأرواحنا، وكانت في الكتاب الدراسي الكوري، إذا كانت ذاكرتي صحيحة، إنها في الدرس الثامن.أثناء البروفات، انفجرنا في الضحك على غباوة الأب والابن وهما في طريقهما لبيع الحمار. والأمر الذي أفسد البروفات هو انفجار الأطفال في ضحكهم في الوقت نفسه. الطفلان اللذان يقومان بدور الأب الغبي والابن فقدا السيطرة على

أعصابهما، وحتى الأطفال الذين مثلوا دور الحمار كانوا يتدحرجون في بطاطينهم البنية اللون كانوا يضحكون ويضحكون. كان المدرس هو الشخص الوحيد الذي لم يبتسم. المدرس طويل القامة كان يطلق عليه لقب الجرادة ذات الرأس الطويلة وكان يقف بهدوء وينظر خارج النافذة إلى أن هدأت عاصفة الضحك. وفي هذه اللحظات كان يبدو طويلاً مثل شجرة. توقف الأطفال عن الضحك واحدًا وراء الآخر ونظروا وراء كتف المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة. واكتشفنا تألق سماء الصيف، والحقول، وتألق القلق.

وعندما هدأ الضحك تماما، خيم الصمت على قلوبنا. والأطفال الذين كان يضحكون بكثرة لم يقولوا كلمةً واحدة كأنهم بكم. والبعض نظر إلى المناظر الصيفية خارج النافذة، والبعض الآخر فكر في أسرار من اليوم السابق، ولكننا كنا نرغب جميعا رغبة حماسية في أن يسرع هذا العمل السخيف والشاذ إلى النهاية.

"ينبغي أن يضحك المشاهدون وليس الأطفال"، كان المدرس يعيد هذه العبارة. يدور في المكان ببطء الجرادة ذات الرأس الطويلة عندما تكون في راحة يدك، ويبدو أنه أطول من المعتاد. "إنك لا تستطيع أن تؤدي عملاً في الدنيا لو ضحكت وبكيت كلما رغبت في ذلك. خاصة إذا كنت تريد تسلية الآخرين. إنه يعني أنك لن تستطيع أن تضحك أو تبكي على كيفك. فالمشاهدون يكرهون ذلك. دعونا

الآن نعيد المشاهد من البداية. فأي واحد يضحك هذه المرة سوف يقوم بتنظيف الحمامات طوال فترة الحفل الختامي المدرسي".

استعدنا السيطرة على عقولنا التى كنا قد رميناها من خارج النافذة. فالأطفال الذين كانوا يقومون بتمثيل دور الحمار وضعوا البطانية على رءوسهم، والأب الغبي والابن شدوا لجام الحمار. وقمت بوضع مزمار في فمي ومشطت لحيتي. وانتظمت مع ولدين آخرين يقومان بتمثيل دور رجلين عجوزين، منتظرين أن يأتي الأب والابن والحمار نحونا. إنه تنكر وتقليد غريب وشاذ للحياة.

كان تدريب الكورس أسهل نسبيا من التمثيل في مسرحية الأطفال. كان المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة عازفا جيدا للأرغن، رغم أنه كان صغيرًا وقديما جدًا بالنسبة لذراعيه الطويلتين مثل العصا. فالموسيقى التي عزفت من ذلك الأرغن كانت غامضة أكثر من أي شيء آخر في هذا العالم. انقسم نحو عشرين طفلا إلى ثلاث مجموعات واستعدوا لبدء "فالس الوقواق". كان المدرس ملتصقًا بمقدمة الأرغن عازفا بالأصابع الطويلة التي تناسب رجلاً بذراعين طويلتين، حيث كان يبدو تماما مثل الجرادة ذات الرأس الطويلة، لكن لا أحد ضحك على هذا المشهد. ولم نكن نستطيع نحن أن نضحك؛ لأننا انغمسنا في الغناء مستمتعين لدرجة أننا كنا نتنفس بالكاد حتى في نهاية الأغنية. وأحيانا كان يخرج صوت نشاز يدمر ذلك التناغم. وكانت القهقهات تدوي هنا وهناك وعند ذلك مختلطة مع الكورس.

لكن المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة لم يرفع أصابعه عن مفاتيح الأرغن. بل كان يدق عليها بشكل أقوى.

كانت المدرسة قد بدأت تخلو من الرواد في مثل هذا الوقت وشمس الصيف تغرب وراء أشجار الجنكة الضخمة التي تصطف حول البئر الصغيرة وسياج الأشجار الصينية الصنوبرية الطويلة. كان يستمع عدد قليل من الطلاب الباقين في الفصول العليا بالمدرسة إلى غنائنا. وفي هدوء المساء المبكر، حيث السكون الخالى من أي ضوضاء تثير الطيور القليلة التي طارت في السماء نحو غروب الشمس، كان غناؤنا البهيج يملأ السماء والأرض.

معظم الأطفال عادوا إلى منزلهم بعد تدريبات الكورس. بقي فقط من نالوا عقاب التنظيف واقفين في الخلف، محدثين ضجة أثناء ترتيب المقاعد والكراسي. ولكنني كنت دائما الاستثناء وكان ينبغي عليَّ التدريب علي تلاوة قصة الأطفال، التي كانت موحشة ومملة. وفي مكتب المدرسين المهجور، جلست على أحد الكراسي الفارغة وبدأت بالحفظ. رقصت مياه البحر الزرقاء والغامقة أمام عيوني عندما فتحت الكتاب الدراسي الكوري وتقلبت خلال صفحاته الملساء. كانت القصة بعنوان (السمكة الذهبية) عن صياد عجوز وعطوف وزوجته الطماعة وسمكة ذهبية غريبة.

"كان ياما كان رجل عجوز يعيش بجوار البحر مع امراته. خرج الرجل العجوز كالعادة ورمى الشبكة في مياه البحر الصافية كالمرآة، ثم أخذ يسحب الشبكة بعناية......" لقد قرأت هذا مئات من المرات. القصة الطويلة مع كل حرف جر وجملة مطبوعة كلها في رأسي.

أصابتنى بالملل لأن المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة جعلني أعيد قراءتها ثلاث أو أربع مرات عند كل تدريب. لم يسمح لي بأن أقرأها بصوت هادئ.

"ماذا تفعل؟ من طلب منك أن تنشد الابتهالات البوذية؟ الناس الذين يجلسون في الخلف سوف يفكرون في التقدم إلى الصفوف الأمامية وتقديم التبرعات". كان ذلك المدرس يزجرنى كلما انخفض صوتي. لم تكن الميكروفونات موجودة حينذاك. كان المفروض إزالة الحوائط الأربعة للفصول المجاورة لتجهيز موقع للتمثيل للحفل الختامي المدرسي. كان يجب أن يكون صوتنا عاليا كي يتم سماعه من قبل المشاهدين الجالسين في الوراء. وبصوت عالٍ، قرأت وأعدت قراءة: "كان يا ما كان. رجل عجوز"، لدرجة أنني كنت أتلوها إذا انفتح فمي بينما كنت نائما.

"حسنا، الآن حاول مرة أخرى، هذه المرة مع الحركات" أمر المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة حيث كان واقفا ومرتديًا قميصه

الداخلي وفوطة معلقة على رقبته، كان في طريقه إلى البئر لكي يغسل أو يزيل تعب ذلك اليوم. تاركا مكتب المدرسين ببطء وكانت أطرافه الطويلة تتأرجح ولم ينس أن يضيف "تخيل وجود مئات المشاهدين الذين ينظرون إليك الآن! "

كان يوجد فقط عشرة أو أكثر من الكراسي الخالية أمامي، لكنني لم أستطع أن أوضح ذلك. حيث كنت أنظر إلى ظهر المشاهد الواحد في المؤخرة الذي يسير نحو البئر المصفوفة بالجنكة وبدأت البروفة مرة أخرى. بوهن فتحت ذراعي، كنت أتلو: "كان يا ما كان، رجل عجوز يعيش بجوار البحر مع امرأته. خرج الرجل العجوز كالعادة ورمى الشبكة في مياه البحر الصافية كالمرآة " وقمت بعمل تمثيل صامت عند رمي الشبكة.

وبالنظر إلى الجرادة ذات الرأس الطويلة بحجم الرجل، الذي كان يرفع الماء بحماس بدلو من البئر في الجانب الآخر لفناء المدرسة المظلم بدأت أضحك ضحكات نصف مكتومة.

"أيها الرجل العجوز والمرأة العجوز، من فضلكما أعيدا وضعي فى الماء. لن أنسى هذا العطف .... "

النمش والثآليل

في مكتب المدرسين، أعطاني المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة مظروفًا أصفر أخذته في لحظة ارتباك رغم أنني لم أفهم ماذا جرى. كان عدد قليل من المدرسين الآخرين حاضرين. وكان مدرسان منهم ينظفان الطباشير من أيديهما وهما ينظران إليّ واعترتني حمرة الخجل دون أن أدري السبب. رفع المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة يده فجأة قائلاً "عندما تذهب إلى هناك، ذاكر جيدًا واكتب لي..... "

الآن أفكر في ذلك، كانت تلك المرة الأخيرة التي أرى فيها ذلك المدرس الجرادة العاطفي والمؤثر. خارجا من مكتب المدرسين ومعي المظروف الأصفر في يدي، بدأت أنفي تؤلمني. كان الممر الطويل والضيق صاخبا بصوت الأطفال. بعد انتهاء الدروس، خرجوا من فصولهم كالقوم الرحل وكان عدد قليل منهم من الفصل الدراسي نفسه. كانت وجوههم مألوفة لي، درسنا معا في الفصل نفسه وواجهنا السبورة نفسها. لا توجد وجوه عزيزة لدي في العالم كله سواهم. إنني تعرفت على كل هؤلاء الأطفال جيدًا جدا من النمش في أنوفهم إلى أثر جرح القوباء المخفي تحت الشعر، والثآليل في ظهر أيديهم.

كان الممر منزلقا. الأرضية الخشبية التي تم دعكها بقطع من الشمع وتم تلميعها بخرق جافة كانت نظيفة مثل شعر الأم في صباح عيد ميلاد بوذا يبدو لامعًا وناعمًا باستخدام زيت كاميليا. ببطء بدأت الانزلاق بطول الأرضية، كانت لعبة ممنوعة لأن الهدوء التام مطلوب في الداخل. انزلقت على أطراف أصابعي ورمقني بعض الأطفال بنظرات الرفض لكني لم أعبأ بهم. انزلقت كل المسافة حتى نهاية الممر والتفتت وانزلقت للوراء ولكن لم يعلق طفل واحد على سلوكي الشاذ. سرعان ما أصبح الممر فارغًا وكنت الولد الوحيد المتبقي حيث وضعت المظروف تحت ذراعي.

أصابني الإحباط والاكتئاب وتوقفت عن الانزلاق. لم يكن هناك شخص واحد على مدى البصر. كان شيء ما يرقد على قلبي الصغير أدركته حينئذ. أردت أن يتدخل شخص ما، طالب في الصف الرابع مثلي أو أكبر وأقول له: *انظر، يا صديقي العزيز، لن أراك مرة ثانية. هل تعرف السبب؟ سوف أنتقل إلى مدرسة في المدينة...* وماذا كنت سأقول أيضًا؟ ربما لم أكن قادرًا أن اقول حتى ذلك. كان من الصعب بالنسبة لي أن أتعامل- بصرف النظر عن الفهم - مع حقيقة أنني انتقلت إلى مدرسة في المدينة، ولهذا سوف أرحل عن مدرستي وأصدقائي والعالم المألوف لي.

غادرت ماشيا على أصابع القدم طواعية ببطء بقدر الإمكان ولكن سرعان ما وصلت إلى نهاية الممر وبالإضافة إلى الشعور

بالندم، شعرت أن كل شيء كان بلا معنى. في الخارج أشرقت الشمس بوضوح. كان العديد من الأطفال يلعبون بحيوية في فناء المدرسة، ولكنني لم أقترب منهم وغادرت من بوابة المدرسة دون توان.

وفي اليوم التالي غادرت أسرتنا القرية. كان الأب رئيس القرية في السنوات القليلة الماضية والأم كان لديها أقارب كثيرون. ولكن لم يخرج الجميع إلى ضواحي القرية لكي يودعونا. بقيت الأم تمسح دموعها بقطعة قماش تنورتها. قرفصت بجواري وأمتعتنا المنزلية على الشاحنة، وكان يبدو أنها ضئيلة الحجم. ولم أستطع أن أكشف عن دهشتي بسبب حزنها.

فهمت مشاعر الأم قليلا. ذات ليلة، جاءت مجموعة الرجال فجأة إلى منزلنا وللدهشة كان قائد المجموعة شرطيا عرفناه. كان يعمل في المكتب الإقليمي للمدينة وكان محبًا لوالدي. ولكن أحضر غرباء شرسين ومهددين معه وكانوا فى غاية القسوة مع الأب وذلك كان يؤلمني عندما أفكر فيه حتى الآن. وفي تلك الليلة مزقوا كل شيء وخربوه في منزلنا وفي النهاية، لم يجدوا العم. كان من المحتمل أن تفكر الأم في أحداث تلك الليلة عندما كانت تجفف دموعها.

وعلى النقيض من ذلك، كان الأب هادئا نسبيا. ضحك برقة كعادته، حتى عندما ودع كبار القرية. كانت له ضحكة كبيرة متواصلة ومميزة فلو كان يضحك في أي منزل في القرية لعرف الناس منْ صاحب هذا الضحك عندما يمرون بالمكان.

ركب الأب بجوار السائق الذي أدار الشاحنة على الفور. كان رحيلنا سريعا وابتعدنا عن سقوف المنازل وأشجار الكاكا مع الأوراق الكثيفة في القرية التي اختفت وراء منحنى الجبل بتحرك السيارة. بدأت في ترنيم أغنية ذات لحن شعبي كان منتشرًا في وقت الحرب. وتذكرت مرة أخرى الحفل الختامي المدرسي عندما تلقيت تصفيقًا حادًا عن أدائي في مسرحية الأطفال والكورس وقصة الأطفال في ذلك المكان الذي شيّد من خلال نزع جدار الفصول حيث امتلأ المكان بالقرويين. تذكرت بفخر الكلمات التي صاح بها شخص ما في نهاية الإلقاء: " إنه سوف يكون عمدة القرية، عمدة القرية!" عمدتنا العظيم نفسه، كان جالسًا مكرمًا في مقعد كبار الشخصيات المهمة أسفل خشبة المسرح أومأ برأسه وابتسم كما لو كان موافقاً.

اصطفت أشجار الجميز الضخمة على جانبي الطريق السريع الوطني. وكانت الشاحنة تسير خلال نفق أخضر وتحمل عمدة القرية المستقبلي، الذي اخشوشن صوته وأصبح أجش.

مدينة اللعبة

دعني أصف انطباعي الأول عن المدينة فيما بعد. كان أول ما وقع عليه نظري لدى وصولنا الماء.

كانت الرحلة أقصر مما توقعت. دخلنا المدينة بعد ساعات قليلة من مغادرة قريتنا. وأصابتني خيبة الأمل لذلك السبب وحده. حتى ذلك الحين، كنت أتخيل أن تلك المدينة لم تكن قريبة مثلما بدت. كان ينبغي أن تكون المدينة بعيدة، بعيدة جدا، وكان من الواجب أن تستغرق المسافة نهارًا واحدًا وليلة واحدة للوصول إلى هناك، حتّى على القطار السريع مثل الرياح. ولكن وسيلتنا في النقل كانت الشاحنة ومع ذلك استغرقت ساعات قليلة.... أن تكون المدنية قريبة إلى هذا الحد يعني أن يكون *الأطفال جالسين في الفصل الآن، فصل الصف الرابع حيث ضوء الشمس الدافئ والنقي يدخل من النوافذ الجنوبية، وكانت الأشجار مصطفة كالجنود وتسمع صوت المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة. مقعدي فقط سوف يكون فارغاً. المقعد السادس في الصف الثاني من الشباك.... وقد ينظر شخص ما إلى العلامات والشخبطة التي تركتها عليه، يحسدونني قليلاً على انتقالي إلى المدينة*. لكن أي واحد يستطيع بسهولة أن ينتقل إلى المدينة لو أراد ذلك؛ لأن المدينة كانت أقرب مما توقعت مشاعري اصطدمت بشيء ما.

بدلاً من الماء، أعطاني الأب النقود. كانت ورقة نقدية حمراء بواحد وون صغيرة وملونة مثل ورقة شجرة الاسفندان. جريت على الفور إلى الطريق الرئيسي ورأيت بائع الشراب المسكر مع برطمان زجاجي أكبر من سلطانية السمك على عربته الخشبية. كان البرطمان مملوءًا بكتل ثلجية وكل أنواع قطع الفواكه. استبدلت الورقة النقدية التي كانت في يدي مقابل كوب من الأشربة المسكرة، برتقالية اللون. البرودة التي لامست راحت يدي زادت من عطشي ولكنني لم أشربه. بالفعل، كان صدري يحترق أكثر من حلقي بسبب التساؤل والإثارة عن المدينة وحياة المدينة. اتجهت إلى الوراء حاملا الكوب وخطوت خطوتين. لم يكن سلوكي الغبي مقبولا وأوقفوني بسرعة.

"مرحبًا، أين تأخذ ذلك؟ سألني البائع. خجلت لأنني ظننت أنني ارتكبت خطأً. ولم أستطع الرد .. "يجب عليك أن تترك الكوب. أنت وصلت لتوك إلى هنا قادمًا من الريف، أليس كذلك؟"

وأفرغت الكوب في جرعة واحدة ولم أستطع التنفس وضاق صدري وشعرت بألم في أنفي لكن لم يعد هناك أي مجال للتباطؤ. وأرجعت الكوب بسرعة كما لو كنت أرميه بعيدًا وجريت عائدًا إلى أسرتي مقطوع الأنفاس.

كانت أمتعتنا مكومة عاليا في الزقاق. خزانة الثياب من طراز قديم كانت في طرف الحجرة في منزلنا بالريف. الجذع المجدول

على رف حجرة الضيوف وخزانة الأرز الخشبية المغرفة والأواني الخزفية والسلطانيات – هذه الأشياء التي وضعت بشكل عشوائي في الزقاق جعلتني كالشخص الغريب. كان يبدو أن كل ممتلكاتنا ملونة بشكل مختلف عن الطريقة التي كانت بها في الريف. عدد قليل من الغرباء – جيراننا الجدد – كانوا يساعدون والديَّ المشغولين.

وجلست القرفصاء على جدار اللوح الخشبي وحاولت أن أستعيد طعم الشراب المسكر ولكنني نسيت. كان قلبي ثقيلا وشعرت بدوخة وغثيان وأشياء غريبة تترقص أمام عيوني. *انتقلنا*، تمتمت لنفسي بمشاعر متباينة. *نحن انتقلنا إلى المدينة*. تثاءبت بضعف ونظرت حولي. اصطفت الأكواخ في الشوارع بكثافة. غطت قطع من العلب والمواد الرخيصة الأسقف المنخفضة وغطت أشجار اللبلاب الزقاق تتلامس مع بعضها البعض. كانت الأزقة مظلمة وضيقة وموحلة. انتشرت على الأرض كتل من الفحم الحجري نصف المحروق والفحم الأسود. وظهر المواطنون بلهجاتهم وبيئاتهم المختلفة هنا وهناك. كان أطفال الجيران بوجوه أحرقتها الشمس وكذلك أيديهم وأرجلهم التى كانت غامقة اللون. استمر شعوري بالدوخة وفي النهاية أفرغت ما في معدتي وكان مقدار كوب واحد من شراب البرتقال.

بعد إحضار معظم أمتعتنا، تناولت أسرتي وجبة العشاء مبكرًا وكانت أيضا غداء متأخرًا. على كل حال، كانت وجبتنا الأولى في

المدينة. الأرز كان أصفر كما لو كان مصبوغًا بماء بلون البرتقال. طبقًا للأب كان ذلك بسبب عدم نظافة الماء. الماء الذي يأتى من المضخة العامة كانت رائحته كريهة وسببًا للإعياء. " ماذا تتوقعون؟ المضخة على بعد أقل من ياردة عن المجارى. " ظلت الأم تتمتم بهذا الكلام. ولم تتحمس أن تلتقط ملعقتها وقالت: "تناول هذا الأرز مثل شرب ماء المجاري".

لكنني تضورت جوعًا وبالرغم من كل شيء، كان أرزا أبيض ثمينا. وأخذت أول ملعقة ومضغتها بعناية كما لو لم آكل أرزا من قبل. على طرف لساني، شعرت برائحة الحديد، بل الحديد الذي به صدأ. ووضعت ملعقة أخرى في فمي حيث بدأت معدتي في الهياج نفس الطريقة التى حدثت عندما شربت الأشربة المسكرة.

بكل الحسابات كان يوما متعبا حيث ذهبنا للنوم مبكرًا لدرجة أننا لم نشعل المصباح. تكوَّن منزلنا الجديد من حجرة مفردة محاطة بألواح الخشب من السقف إلى الحوائط إلى السقف الداخلي، كانت تشبه الصندوق الخشبي الكبير؛ حيث لم يوجد مكان يكفى لأن نمد نحن الأربعة أرجلنا. فاخترت أن أضع حصيرتي وبطانيتي على حافة الحجرة ونمت هناك.

نمنا جميعًا من التعب ولكنني لم أستطع أن أنام لمدة طويلة حيث شعرت بعدم الارتياح كما أنني حاولت أن أنام عائما في الفضاء

الخالي. وداخلي أيضا ما زال غير مرتاح. وعلاوة على ذلك استطعت أن أسمع الجيران على الجانب الآخر من الحوائط الخشبية طوال الليل. كانت خزانة الثياب القديمة تصدر أصواتًا وصريرًا في كل مرة تحركت فيها. وفي لحظة وقعت فجأة على الجرف الثقيل والعميق من النوم، وفى هذه اللحظة جاءتنى فكرة غريبة، *ربما بالصدفة انتقلنا إلى مدينة اللعبة*، وابتسمت.

أصغر مكان متاح لكل شخص

ذهبت إلى التواليت الموجود على الحافة الأخرى ثلاث مرات في تلك الليلة بسبب ارتباك في المعدة. كان مرحاضًا عاما استخدمه مواطنو المدينة الكوخية المبنية من الأخشاب. بسبب من الأسباب، كان مبنى الألواح الخشبية هذا مطليا تماما بالقطران. وكان منظره مخيفا ويوحي بمنظر زيارة إلى جبانة في منتصف الليل. أتى أبي معي لأول مرة. لم يكن لديه أي اختيار آخر لأنني لم أكن أعرف مكان التواليت. وعلى كل حال، كنت قادرا على أن أنهي المهمة بهدوء. *إنه ربما بسبب الشراب*. قال الأب لنفسه عندما انتظرني لأخرج من المكان القذر. لا أستطيع أن أصف بالكلمات الاطمئنان الذى شعرت به عندما شاهدت الطرف الأحمر من سيجارته المتوهجة في الظلام.

لكنني كنت مضطرا إلى أن أذهب بمفردي بعد ذلك. مفكرًا في ذلك مما جعل صدري ضيقاً. حاولت بجد ألا أذهب وداومت على أن أمسك معدتي بيدي. أعطتني الأم علبة كبريت وقطعة من الشمع ولكنني لم أستطع أن أتحمل أكثر. فالضرورة أزالت خوفي. تركت حجرتنا كأنني أمشي بخطوة منتظمة إلى الموت. كان القمر لامعا في تلك الليلة. نصف القمر المعلق في السماء ألقى ضوءًا أزرق شاحبا على أسقف المدينة ذات المباني الخشبية كاللعبة. وكان منظرا طبيعيا واضحا مثل خشبة المسرح التي لم يصعد عليها أي أحد بعد. من وقت لآخر، كان صوت الشخير يتسلل خارجًا من السقوف المنخفضة.

سرت في طريق ضيقة ومتعرجة كما لو كانت متاهة. كانت يدي مبتلة بالعرق وفي النهاية استطعت العثور على المبنى. لكن اختفت حاجتي العاجلة للذهاب إلى الحمام، وقرفصت هناك لمدة طويلة أحمل شمعة مضيئة ولكنني لم أستطع الدخول. كانت معدتي على ما يرام، وكانت فقط أرجلي تتخبط. كان اللهب متراقصًا وظهر معه ظل ضخم. في بعض الأحيان، كان المبنى الخشبي القديم يحدث صوت صرير. كان صوت قشعريرة خيل إلي خيالات غريبة. وعلى سبيل المثال، شبح البيض الذي لم يكن يملك عينين أو أذنين أو أنفًا ووجهه أجرد، تذكرت الحدث جيدا. كان مطر الشتاء الكئيب متساقطا في ذلك اليوم، وحدث في حمام مدرستي عندما صرخت بنت فجأة،

وادعى عدد قليل من الأولاد في فصلي أنهم رأوا شبح البيض. كانت أرجلي ترتعش كثيرًا عندما فكرت في رعب ذلك اليوم.

بمجرد أن عدت إلى المنزل مقطوع النفس واستلقيت، كنت محتاجًا إلى أن أذهب وتمنيت أن أموت. *لعنة الله عليه.* كنت ألقى اللوم على الماء وهذه المدينة الملعونة. ولكن الإشارة بالأصبع لم تحل أي شيء. كنت سأتحمل جالسا لولا خوفى من الضرب بالسوط من أمي... وغادرت مرة ثانية بكسل.

كانت رحلتي الثالثة خلال ساعة أو ساعتين ولكن الرعب زال قليلاً. التفكير في أن مبنى كريه الرائحة سيكون صديقي الأول في هذه المدينة سيطر على تفكيرى، أديت مهنتي بهدوء. رغم أنني أحضرت شمعا لم أشعله في هذه المرة ومن خلال الشرخ الموجود في الباب الناتج عن سقوط شريحة من الخشب، استطعت أن أرى ما في خارج الحمام في ضوء القمر اللامع.

في تلك اللحظة، دخل شخص ما. لم أكن لأندهش أكثر لو ظهر شبح البيض الحقيقي. كدت أصرخ. كانت امرأة وأثار خوفي شعرها الطويل المنزلق في كآبة وخفت من أنها قد تكون مجنونة، الأمر الذى زاد مخاوفي وضغط على قلبي ولكني أدركت غلطتى سريعًا. ظهورها لم يكن شيئا غريبا باعتبار أنها أتت إلى هنا في منتصف الليل. وتساءلت إن كانت هى أيضا انتقلت حديثًا من الريف

إلى المدينة. *لهذا السبب كانت مصابة بارتباك في المعدة مثلي ومن المحتمل أن تعود إلى الحمام على الأقل ثلاث مرات.*

من كل الأكشاك، اختارت المقابل مباشرة للمكان الذي أعيش فيه. أشعلت شمعة أحضرتها، *كانت تفعل مثلما فعلت.* ابتسمت بخجل. وضعت الشمعة إلى أسفل برقة في الركن وقرفصت. كان موقفًا غير متوقع. ونظرت إلى أسفل بسرعة واحمر وجهي فجأة. شعور مختلف عن الفزع أصابني. ولم أكن أقصد أن أنظر. كانت مهملة وغير مهتمة ولكني مصاب بخوف من أن أرتكب خطأ جسيمًا. ولم أستطع التنفس ورقدت كما لو كنت ميتًا.

بعد لحظة، شعرت بالهدوء قليلاً ولكني مازالت مرعوبا. خفت مما قد يحدث لو شعرت بوجودي. *ربما تصفعني.* هل ستصدقني لو أخبرتها أنني لم أقصد النظر إليها؟ إنها ربما تريد أن تعرف لماذا لم أحدث الضوضاء ورقدت بهدوء. حينئذ أقول إنني لم أر أي شيء في ذلك الوقت وكانت عيناى مغمضتين طوال الوقت. ماذا تقول حينئذ؟ ربما تكون لا تزال مصابة بالجنون وتخبرني أنها غلطتي. وقد تبدأ الصراخ فيّ. *وغد وقذر وذو أصل سيئ...* الآن بدأ شعور مختلف تماما ليؤكد نفسه ببطء. *لماذا هي غلطتي؟* كنت الشخص الذي أزعجه تهورها وسلوكها الحاد. *لذلك لا يمكن أن تكون غلطتي.* نظرت نحوها بحذر وبالفضول الذى يجد أعذارًا مناسبة لظهوره.

كان لا يزال بابها مفتوحا والتقطت الشمعة التي وضعتها في الركن. ومرة أخرى أصابني الخوف. لم أستطع أن أتنفس إلى أن اختفت عن مجال رؤيتي: وفى مفاجأة غير متوقعة كشف وجهها فى ضوء الشمعة المتراقص عن صبية في سن المراهقة.

في الصباح التالي، شعرت بالخجل من التجربة الليلية عند العودة من الحمام العام، قالت أمي ووجهها يحمر خجلا " ما نوع هذه الجيرة؟ أعرف أنه تواليت عام ولكن لا يوجد فصل بين الرجال والنساء كما أنه ليس كافيا لكل هؤلاء الناس الذين يصطفون لمدة طويلة لهذا النوع من المهمة التى يفترض أن يقوم بها كل بنى آدم".

تعلمنا بعد ذلك أنه كان يوجد عدد قليل من الحمامات في منطقتنا ولم يكن يهم أى حمام تدخله أثناء انبلاج الصبح. رأينا الشباب وكبار السن ترتسم على وجوههم تعبيرات غير مريحة وغير مرغوب فيها وهم يصطفون فى طوابير ويحملون قطعًا من ورق التواليت وينتظرون أدوارهم.

"في هذا المكان، حيث لا تكون الصعوبة في الأكل فقط وإنما أيضا مشكلة كبيرة في الإخراج. لسنا مختلفين. يجب أن نضع ذلك في الخلاء مثل أي شخص آخر"، قال الأب ضاحكا. خجلت الأم مرة أخرى وفى تلك اللحظة فقط شعرت بالإهانة التى تلقيتها فى الليلة السابقة.

دكك تشبه عدّة الجزار

ذهبت إلى المدرسة مع أبي بعد انتظار أن تستقر معدتي المرتبكة. وكان هذا بعد وصولنا إلى المدينة بثلاثة أو أربعة أيام.

وكانت المدرسة الابتدائية التي سأذهب إليها في الضواحي الغربية للمدينة. استغرق الوصول منا أكثر من نصف ساعة، رغم أننا مشينا بنشاط. كانت المدرسة والفناء جاثمتين على تل في رقعة من الضاحية. ذكرني المبنى الخشبي من الطابق الواحد بمدينتنا الكوخية. من الواضح أنها كانت مدرسة مؤقتة. احتل الجنود الأمريكيون المدرسة الأصلية التي تقع قرب وسط المدينة.

مثل مدينتنا الكوخية، أراضي الفصول الدراسية والحوائط والأسقف الداخلية كلها كانت مصنوعة من الخشب. وكانت الأسطح مغطاة بقطع رخيصة من الألمونيوم. كانت الحجرات تشبه صناديق مستطيلة وضخمة. كان لبعضها جدران فقط دون أسقف، والأرضيات القذرة مغطاة بقماش خيام الجنود المتهالكة.

أكملنا إجراء النقل عن طريق تسليم المظروف الأصغر الذى أعطاه لى المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة. افترق الأب عني أمام مكتب المدرسين الذي كان يشبه مركز قيادة جيش ودخلت فصلي مع مدرسي.

قال المدرس "أنت في فصل ١٤ من الصف الرابع". وتصلبت أطرافى من الخوف والدهشة، في مدرستي القديمة كانت توجد ستة فصول فقط في المدرسة كلها. لقد اعتقدت أن المدارس الابتدائية كلها مثل مدرستنا.

لكن المفاجأة الكبرى كانت تنتظرني داخل الفصل الدراسي. أمام منضدة للمدرس إلى الحائط الخلفي، ازدحم الأطفال مثل علب السردين. عرفت فيما بعد أن عددهم يزيد عن مائة وبسبب نقص الفصول وعدم التحكم في زيادة الطلاب، كان يتم دمج فصلين فى غرفة واحدة كانت من نصيبى. وكان هناك اثنان من المدرسين. تم نداء الحضور والجلسة النهائية مع كل مدرس وكل فصل منفصل عن الآخر، ولكن الدروس كانت معا. رفع أحد المدرسين صوته أمام السبورة بينما كان الآخر يتجول بين الأطفال حول الحجرة وفى يده سوط.

كان يوجد أشياء كثيرة أدهشتني مثل الدكة التى تشبه عدّة الجزار. كانت تشبه القطعة الخشبية الطويلة التى يستخدمها الجزار لتقطيع اللحم. لم تكن هناك كراسي. جلس الأطفال على الأرضية، كان كل أربعة يجلسون على دكة واحدة. لم يكن هناك مكان لوضع علبة قلم رصاص واحدة لو أخرجوا وفتحوا أربعة كتب مدرسية. *هكذا إذن تكون مدارس اللاجئين في المدينة*. وزاد عجبى.

انتهت المدرسة بعد الحصة الرابعة واندفع الأطفال من الفصل. كانت فوضى. صاح المدرسان وهزًا السوط دون رحمة ولكن لم يمكنهما السيطرة على تلك الحيوانات المتوحشة المحبوسة في أقفاص التي اكتشفت ثقبًا لكي تهرب من خلاله وتندفع في حشود.

بقيت في الخلف حتى النهاية. بالطبع كنت متخوفا وتصلبت أرجلي لأنها طويت لمدة طويلة. تركت الفصل ببطء، بعد ما غادر معظم الأطفال. عبرت الفناء الذي منه تخللت جذور الأشجار ومشيت في ضوء الشمس. بوابة المدرسة كانت اسما فقط. كانت لافتة باسم المدرسة معلقة بين حجرين.

أمسكت بي مجموعة من المشاغبين بعد ما عبرت البوابة. لا شك كانوا يبحثون عن فرصة لكي ينقضوا علي. كانوا أربعة كبار الحجم بالنسبة لي ولم أصدق أنهم كانوا جميعا في صفي. سحبونى بسهولة إلى الشجيرات حيث ضربت ولم أبد أية مقاومة. توقفوا فقط عندما سال الدم من أنفي. واحد منهم قال " إنك لست حتى من أهالى هذه المنطقة، أليس كذلك؟ وإنك لست لاجئا أيضا، صحيح؟ لهذا السبب ضربناك، إنك قروى أخرق وأعرج. من الأفضل أن تتذكر ذلك! "وربت على ظهري بأسلوب ودي ولم أستطع أن أفعل أي شيء سوى الإيماء. بكيت أمسح الدم الحلو الذي يقطر حول فمي.

منذ ذلك اليوم، بدأت أقسم الناس إلى ثلاث مجموعات. ورغم أنني دفعت الثمن الباهظ كى أتعلم قيمة احترام النفس، فإنها كانت تجربة سمحت لي أن أفهم العالم أفضل قليلاً. كان صحيحًا، في مدينتنا ثلاثة أنواع من الناس الذين عاشوا معًا : وهم السكان الأصليون للمدينة ولاجئو الحرب وآخرون مثل أسرتي التي تركت موطننا لأسباب مخجلة.

طفل من سيول وقطعة البصل

كان تاي-چيل صديقي الأول في المدينة. كان لاجئًا أصلاً من سيول. كان الأطفال يسخرون منه بهذه العبارات المرتلة:

طفل من سيول وقطعة البصل

لحم الحوت اللذيذ

لماذا أتيت

عابرًا كوبري نهر الهان؟

أتى هنا لكي يجد الطعام.

لحم الحوت وقطعة البصل

كان الأطفال يكررون هذه الكلمات أحيانا مثل الشعار وأحيانا مثل الأغنية، بعد ذلك تحول تاي-چيل إلى شخص مجنون وجرى

محاولا أن يمسك بواحد من هؤلاء الأطفال لكنه لم يستطع أن يمسك بأي واحد. والشوارع المجاورة كانت متاهة منظمة. كان هناك أماكن كثيرة للاختباء فيها ومن الصعب أن يمسك تاي-چيل بأي شخص. بالفعل كان يوجد البعض الذين يمكن مسكهم عمدًا في لحظة لو لعبوا اللعبة في عطفة خالية من المارة أو لو أصبحت اللعبة مملة. بعد ذلك سوف يصاب تاي-غيل، على العكس من سلوكه السابق للجري الحماسي ورائهم، بالإحباط ويتوقف عن ذلك وسوف يتنفس بصعوبة طاويًا يده في قبضته محلقًا للطفل الآخر.

كان ذكيا وحسب، لم يكن لديه فرصة الفوز في القتال مع الأطفال الخشنين. لم يكن تهم الأعداد. كانت بنية جسمه ضعيفة، ربما خلقيا، وكان طويلا ولكنه كان نحيلا جدا. انهارت أعصابى عندما جرى وراء الأطفال، وخفت أن يتحول إلى نصفين، مثل قصبة الدخن الجافة. وفي هذه اللحظات فكرت في المدرس الجرادة ذات الرأس الطويلة، لأن تاي-چيل كان يشبه جرادة صغيرة السن ذات رأس طويلة.

عاش تاي-چيل مع أمه الغريبة السلوك بالقرب منا. لا أعرف إذا كانا فقط اثنين أو فقدا أفراد الأسرة الآخرين في طريقهم إلى هذه المدينة. أتذكر أن تاي-چيل نفسه لم يقل أي شيء عن هذا الأمر.

كان هناك سببان جيدان لاعتقادنا بغرابة أحوال أمه: أولهما هو مظهرها. رغم أنها كانت في سن الأربعين، كان يبدو أنها دائما في مظهر جيد وأناقة. وكان يبدو أنها امرأة تخرج من البيت إلى مكان ما رغم أنها تقضى معظم وقتها داخل حجرتهما التى تشبه الصندوق. صففت شعرها بضفائر بعناية مع زيت الخروع، وكان حاجباها يشبهان الهلال وارتدت ملابسها جيدا فوق زينتها ومكياجها الرائع. كان حذاؤها المطاطي وجوربها التقليدي أبيض اللون مثل الثلج وكانت مختلفة عن النساء الأخريات اللواتي كن يرتدين سراويل واسعة ويغطين رءوسهن بفوط. أتذكر قول الأب إنها لابد أن تكون قد عملت في منزل " غيسأينغ " من قبل. " وإن الطفل تاي-چيل من المحتمل أن يكون قد جاء من صلب شخص معربد وسكير".

كان الضيوف يحلّون على منزل تاي-چيل فى غالب الأحوال كانوا رجالاً مجعدي الوجه في سن الخمسين. عندما كان لا يكلف بإحضار المشروب الروحي أو شراء السجائر، كان تاي-چيل يضيع الوقت في الزقاق. لو سألته من هم الضيوف، يجيب بأنهم من سيول. ولم يوضح ما إذا كان يعرفهم هو وأمه أثناء حياة الأسرة في سيول أم أنهما تعرّفا عليهم بعد الانتقال إلى هنا. على كل حال، شرب الضيوف ولعبوا الكوتشينة بضع ساعات وبعد ذلك غادروا بهدوء، وهو سلوك أثار الدهشة وحوّل أمه إلى مخلوقة غريبة الأطوار.

الطريقة التي عاملت بها تاي-چيل كانت السبب فى إبداء الرأى السابق. لا يوجد طفل في المنطقة لم يضرب بالسوط. وكانوا يضربون عن طريق آبائهم أو ربما عن طريق إخوتهم وتلك كانت الطريقة الوحيدة لحمايتهم من كل أنواع الأخطار. لم يكن يمر يوم دون انتشار صدى بكاء الأطفال الذين ضربوا بالسوط في الأزقة.

وبالرغم من ذلك، كان الضرب حادا في حالة تاي - چيل. لا يمر يوم دون عقاب. بالنسبة له كان العقاب مثل الخبز اليومي. لو بدأ الجيران في التساؤل، *عما إذا كان لن يتلقى ضربًا اليوم*، حينئذ كما لو كانت إجابة عن السؤال، تندلع صرخاته المتوحشة فجأة، وأحيانا كان يحصل على نصيبه في منتصف الليل عندما يكون الجميع في نوم عميق. جيرانه الذين انتفضوا من النوم يتذمرون قليلاً أو يبتسمون بمرارة ويطفئون الأنوار ويعودون للنوم مرة أخرى متأكدين أن نومهم لن يقطعه الصراخ في تلك الليلة.

كان تاي-چيل مشاكسا وذكيا. يبتسم الجميع عند الاستماع إلى أصوات مختلفة يبعثها عندما يُضرب حيث كان يصرخ ويبكي ويلتمس العفو، كل ذلك كان يؤديه في شكل درامي تام، وبدا الأمر كما لو كانت الأم والابن يمارسان لعبة مسلية. عندما خرج مسرعا من المنزل عاريا من خصره إلى قدمه لم يستطع حتى أكبر شخص احتمالا أن يمتنع عن الضحك.

ولكن أمه كانت أذكى. لم يخدع تمثيل تاي-چيل الدرامي أمه. كانت هادئة وذكية ولم تقبل مبالغة ابنها وضعت السوط فقط بعد استعماله، كما لو كان أسلوبًا منهجيًا لحساب الأعداد، بالنسبة لجسمه النحيل الذي يشبه الجرادة ذات الرأس الطويلة بمقدار مساوٍ لأفعاله الخاطئة. كان غالبًا ما يهرب في منتصف الضرب بالسوط ولكنه دائما كان يعود بنفسه على قدميه مرة أخرى. وكان مضطرا إلى أن يتحمل ذلك على كل حال. لم يستطع أن يتطلع إلى أي سلام حتى يتلقى نصيبه اليومي، فيواجه صديقي تاي-چيل سوط أمه مرة أخرى بإخضاع وإذعان حزين لا يصدق .

بالطبع، كانت غلطته هو. كان تاي-چيل له ألقاب غير " طفل من سيول وقطعة البصل، وخنفساء الماء، والجرس الحديدي، وأبو العريف، وقاع الطير المائي... إلخ". وهكذا تضمنت كل هذه الأسماء مهارته واستهتاره وطيشه. تورط فى إيذاء الكبير والصغير وهذه الأشياء كانت تستحق ضربه حسب رؤية الأم. كان أمرًا مأساويا وتعيسا. لكن حياة كل شخص مملوءة بسوء الحظ والمأساة. بالطبع، لم تعتبر أمه شاذة السلوك فقط بسبب هذا؛ اعتقادنا أنها كانت شاذة بسبب طريقتها الخاصة بالضرب. لماذا جعلت ابنها يخلع بنطلونه قبل ضربه بالسوط؟ لو كان هذا فقط من أجل الضرب بالسوط، فإنه كان كافيا بالنسبة له أن يشمر بنطلونه. كانت طريقة حمقاء لإرغام الطفل على الاستمرار حتى نهاية العقاب الملائم، فالمجرم صغير السن

لا يبالى ويهرب أحيانا والجزء الأسفل من جسمه عارٍ. بعد كل التفكير، كان استنتاجنا أن أمه سلوكها شاذ لأنها كانت غريبة فى إصرارها على ضربه بهذه الطريقة، وكان يبدو أنها تزداد غرابة.

كان تاي-چيل يتمتع بحرية وفيرة. لم يكن مضطرًا إلى الذهاب للمدرسة. ضغطت أمه الشاذة على كل حرية ابنها، لكنها لم تستطع أن تقترب من هذه القضية. لم أستطع أن أفهم ذلك طول حياتى ولكنني حسدته. بالنسبة لي، لم يكن هناك شيء أصعب من الذهاب إلى المدرسة، كما أنني عانيت من المحنة نفسها فى يومي الأول. كان عندي صداع شديد من التفكير فى المبنى المتداعي للسقوط على التل، والفصل مثل علبة السردين وأطفال شرسون ومشاكسون.

كان تاي-چيل محظوظا. تمنيت أن أضحي بكل شيء لكي يكون لدي قليل من حريته، حتى لو كنت فقدت أبي مثله وكان لدي أم شاذة وغريبة. سألته لماذا لا يذهب الى المدرسة. رد تاي-چيل بثقة. "ما الذي يدفعني لأن أذهب إلى تلك المدرسة الغبية للاجئين؟ سنعود إلى سيول قريبا ".

لكن لا أحد آخر بقي فى الزقاق فترة أطول منهم. وفيما بعد عندما غادرت أسرتي، كان لايزال هناك، يساعدنا بشغف فى نقل الأثاث.

صفيحة فطير حلو بها ٢٤ ثقبًا

كان أبي يقول: "في هذه المدينة، ليس الحصول على طعام فقط صعبًا، وإنما تواجه عملية الإخراج أيضًا نفس الصعوبة". كان الأب محافظًا على هدوئه عندما قال ذلك. ولكن كيف يمكن مقارنة صعوبة عملية الإخراج رغم الوقوف فى الطابور أمام التواليت العام كل صباح، بالحصول على الطعام والأكل؟ لم يستطع الأب حل هذة المشكلة، رغم مرور شهر على انتقالنا إلى هنا. لا شيء أصعب من إطعام أسرة. وأثناء حياته التى دامت أربعين عامًا كان حقل صغير هو الشيء الوحيد الذى اعتمد الأب عليه. على الأقل القذارة كانت الخصم اللدود، أبدا لم تخدع يدي الأب الأمينة، لكن الخصم المواجه للأب الآن لا يمكن الثقة فيه أبدًا. كان أمينًا ولكن غير كفء.

ذات يوم، بمرور الوقت أدركت أننا سوف ننفق كل النقود التي كانت لدينا، أتى الأب يحمل شيئين على كتفه؛ أولهما كان صفيحة من الفطير الحلو، والآخر كان برطمانًا من الأشربة المسكرة. كنت غالبا أرى الشيء الثاني فى الشوارع ولكنني لم أر صفيحة من الفطير الحلو من قبل. العلبة المصنوعة من حديد الزهر كان يوجد بها أربعة وعشرون ثقبا، محفورة على شكل صفوف منتظمة.

حتى سلطانية من الماء البارد لم يكن الحصول عليها متاحا فى هذه المدينة - كان يجب أن تدفع ثمن كل شيء بسيط. تعلمت أسرتي نظام فتور الأعصاب بالنسبة لحياة المدينة خلال شهر من عدم النشاط. لا يجدي التساؤل عما كان يفكر فيه الأب بالنسبة للوصول لقرار بيع الطعام فى الشوارع. كان هذا واضحا بأنه أول استثمار وآخره .

بينما كنا ننظر إلى هذه الأشياء بفضولية كأنها مصابيح سحرية، أعلن الأب بشجاعة: "نخرج إلى الشوارع غدا ونجمع بعض النقود من خلال صفيحة الفطير الحلو! ". لم يرد أحد أن ينتقد التفاؤل البسيط للأب، لكننا كان لدينا توقعات كبيرة. لا أحد كان يجرؤ أن يقول ذلك، ولكننا كنا نأمل بقلوب متملقة أن تكون صفيحة الفطير ماكينة لطباعة أوراق نقدية فئة عشرين دولار عند الطلب.

فى اليوم التالي خرجت أسرتي. استولينا على ناصية الشارع المزدحم وعلقنا الصفيحة على قفص تفاح، وأشعلنا نارا وأعددنا العجينة ومعجون الفول الأحمر. بالطبع كل هذا تم عن طريق المحاولة والخطأ. اعتادت يدا الأب أن تمسك هذه المواد. كلما كان يرتكب خطأ ضحكنا مما سهل حيرتنا وارتباكنا.

كان النهار قد انتصف قبل أن تنتج أول فطيرة. عندما أخذ الأب إحدى الفطائر بأطراف أصابعه المرتعشة، سمعنا صوت

صفارة الإنذار الخاصة بفترة الظهيرة يحرك الهواء بثقل. كلٌّ منا أخذ فطيرة مثل الأب وجلس يدرس كل تفاصيلها. كان الفطير لطيفا ولامعا وأصفر اللون مثل الفرخ الصغير. وقد نكون أضفنا كثيرا من صبغة الجاردينيا. حسب تحليل الأم، وأشارت الأخت إلى أن معجون الفول الأحمر كان يتسرب وأن الفطيرة تزيد فيها نسبة المياه .

"المرة القادمة سوف نكون أكثر حرصًا. لماذا لا نتذوقها الآن؟". قال الأب وكل منا أخذ قضمة ولم يقل شيئا. تبادلنا النظرات مستمتعين بطعم الفطير.

" ما رأيكم فيه؟ "

سأل الأب بحذر ولم يتطوع أحد بإبداء الرأى. وبدا أن أفواهنا مغلقة بغراء. حار وحلو... ومرّ فى المذاق الأخير. كيف يستطيع المرء أن يقيم هذا؟ كانت أول مرة في حياتنا نذوق هذا النوع من الطعام.

" المذاق الأخير مرّ قليلا ...." قال الأب أخيرا وبدت عليه الحيرة.

قالت الأم: "نعم، إنه غريب قليلا"، ونحن الأطفال وافقنا بحذر.

" أعتقد أن هناك كثيرًا من السكرين".

" ألا تعتقدين أننا استخدمنا صودا الخبز بكمية كثيرة؟ الطعم واضح" لم يتفقا على تحديد السبب، وظل الأب والأم يذرعان المكان جيئة وذهابًا. ولكن النتيجة النهائية كانت أن الفطائر طعمها مر، وانتهى الحديث سريعًا.

كان بيع الفطائر يسبب لنا الإحراج عندما كانت تواجهنا الانتقادات العادية، ولكنها كانت التجربة الأولى لنا. هدأت النار وكانت الصفيحة جاهزة بعد أن تم دهنها بزيت بريلا. وكان عندنا طشت فخاري مليء بالعجين.

" إنه ليس سيئا وإنه بالتأكيد صالح للأكل. دعنا نصنع الفطائر من هذا العجين اليوم" قرر الأب أخيرا. وبدأنا العمل. وضعت الأخت الفطائر وقمت أنا برصها وجعلها جاهزة للعرض والبيع. سار العمل بيسر وسهولة أكثر مما توقعنا. داومت الأخت على إنتاج أربعة وعشرين فطيرة في ذلك الوقت، كان لدي شغل كثير استعدادًا لوقت الغداء. كما أنني أيضا تذوقت الفطائر كلما تيسر. كنت مشغولاً بالفعل.

قام الأب بإنشاء دكان عبر الطريق. كان من السهل أن يصبح بائعا متجولا. بالفعل لقد كانت كل أنواع الفواكه في برطمانه الزجاجي.

قامت الأم بصب قطع الفواكه في دلو الماء، واشترى الأب كتلة كبيرة من الثلج ووضعها في الداخل. ولم يعد لديها سوى انتظار الزبائن.

ونظرت في الشارع عندما كان لدي عدد قليل من الزبائن ولم أستطع أن أرى الأم. وتحت ظل بعض أشجار الصفصاف، وقفت عربة خشبية، والبرطمان الضخم الذي به شراب مسكر وعلى قمته أكواب عديدة أخرى وكان الأب هناك، وقبعة القش على رأسه. صب الأب الشراب المسكر من خرطوم مطاطي أصغر وكان يفتش كل جيوبه للعثور على فكة للزبائن. أحيانا كان يدخن بهدوء ناظرًا بعدم مبالاة إلى سماء المدينة الخالية، وفي أوقات أخرى كان يفكر بعمق في شيء ويغلبه النعاس. الأب الذي كان يمقت القذارة، تواءم مع المدينة غير الأمينة وغير الموثوق بها بهذا الأسلوب. حتى الآن تلك الصورة محفورة في ذاكرتي كلوحة مرسومة بألوان مائية.

حفل العشاء

كان لدى أسرتي حفل عشاء في تلك الليلة لأنه كان يوم الافتتاح بالنسبة لبداية عملنا، وكان قد مر شهر واحد على انتقالنا إلى هنا. هذه المناسبة كانت حدثا بارزا. أولا: أحضرت الأم مائدة منخفضة ومسحتها الأخت بقطعة من القماش ووزعت الأكواب وعصي الأكل. وتم وضع طبق الكيمتشي في المنتصف. كنا

مستعدين. مشت الأم إلى الحجرة تمسح يدها المبتلة في جيبتها ويبدو أنها كانت تتساءل عما تكون قد نسيته.

تفحصت الأم فينا كما اعتادت أن تفعل وتنظر بحرص إلى أطفالها الجالسين على المائدة وتأكدت أننا نفضنا التراب من على ملابسنا وغسلنا أيدينا وأقدامنا جيدا. لأن الوقت كان متأخرًا جدًا ولم تستقر بعد دهشتنا من أحداث اليوم، لم يكن مظهرنا مرضيا عمومًا. لكن لم تقل الأم أي شيء. ذلك شيء لم يحدث من قبل.

في النهاية أتى الأب حاملا سلة من الخيزران مملوءة بالفطير المحلى الذي خبزناه من قبل، مرتبا بطريقة مثيرة للشهية وضعته الأم على المائدة، وأخذت الأخت الغلاية وبحرص ملأت الأكواب بالشراب المسكر المتبقي من مبيعات اليوم. وكانت بعض بذور الفاكهة تطفو على السطح.

كان الجو المحيط غريبا - أجوف قليلا ومحرجا قليلا. ولكن الحالة النفسية لم تكن ضيقًا أو حزنًا. لم نحاول أن ننظر إلى بعضنا البعض. ثم نظرنا إلى أسفل وأمسكنا أدوات الأكل صامتين.

"حسنًا، فلنتناول طعامنا. الوقت تأخر لذلك يمكن اعتبارها وجبة العشاء هذه الليلة"، قال الأب كما لو كان يعلن بداية المناسبة ووضع فطيرة كاملة في فمه، والتقط كوبه. "إنهم يقولون إن الغربيين

يأكلون الخبز كل يوم لماذا لا نأكله في وجبة أو وجبتين؟ لو كنا مازلنا في الريف لما كان لدينا مثل هذا المرح...."

اخترت فطيرة وضعتها في فمي، كما فعل الأب. كانت باردة ويابسة ولكنني مضغتها برفق وبللتها بالشراب المسكر وأدركت أننا انهمكنا في إنتاج الفطائر فقط طوال اليوم، كانت مجرد فطائر وليست الأوراق النقدية التي كان يتمناها الأب. *ربما نفشل في طبع الأوراق النقدية في المستقبل.*

قبل ما تتراص الأسرة جنبا إلى جنب، مثل عيدان الكبريت في صندوق، استطعنا سماع صوت شخير الجيران من الحوائط الخشبية.

أرملة قاسية وابنتها وزوج ابنتها

استيقظت فجأة في منتصف الليل ورقدت لحظة وكان ذهني خاليا. أعتقد أنني سمعت شيئا ما رغم أنه كان لمجرد لحظة، وسمعت شيئا مزعجا للأذن، جلب إليَّ تصوري أنه شيء يخدش الحديد، ربما سمعت ذلك في حلمي. حينئذ عاد الصوت العالي والحاد - صوت امرأة حاد - مرة أخرى: "ماذا تفعلان بحق السماء في منتصف الليل، التزما الهدوء وناما!".

تضاءل إدراكي ووعيي بين النوم والاستيقاظ، في النهاية أصبحت واعيًا تمامًا. اندلع صوت من أحد الجيران الثلاثة الذين

يشاركوننا حوائطنا، ولم أكن الشخص الوحيد الذي كان متيقظا بل كل أفراد أسرتي وكذلك الجيران الذين سمعنا حسيس صوتهم. أخرج الأب سيجارة وأشعلها بتذمر. حيث أضاء عود الثقاب الظلام لحظة.

لم نستطع النوم في هذا الوقت، وجلست أنصت بهدوء، أرتمي على الأرض وأطل إلى توهج سيجارة الأب. كان شخص ما يبكي سرًا. وكان هذا نوعًا من البكاء الذي يصاحب العواطف الشديدة بكل ما في الوسع. يصيب من يسمعه بشعور مريع.

"لماذا تتقاتلان تحت الأغطية؟ هل أنتما عدوان الآن؟ يجب وضع حدّ لما يحدث الآن!"

كان الوضع واضحا. كانت المرأة التي تصرخ بشكل هستيري أرملة حادة الطبع ومشهورة بفمها القذر، والشخص الذي كان يبكي هو ابنتها، والشيء الغامض كان يبدو أنه شخص ما آخر غير الأم وابنتها، ولكن الشخص الآخر الثالث لم يتفوه بكلمة واحدة. كانت لعنات الأرملة حادة الطباع وصراخ وبكاء ابنتها هى الأصوات الوحيدة التي تخللت الحوائط.

كان كتفاها عريضتين رجوليتين، ويدان كبيرتين بشكل غير عادي، كان لدى الأرملة بنت واحدة عندما أتت إلى المنطقة. هذا لم يتغير ولكن الآن دائمًا يوجد رجل بجوارها. كانت ابنتها أكثر أنوثة. كانت هشة وغالبا مريضة وتبكي كثيرًا ولديها وجه شاحب. من

الواضح أنها كانت تعمل في بار من نوع ما؛ لأنها كانت تعود إلى منزلها متأخرة، طاردها حظر التجول، وكانت تسرف في الشراب إلى درجة أن لا تستطيع التحكم في مشيتها. وكنت عند منتصف الليل أنظر إلى مشيتها في الزقاق الخالي من خلال ثقب النافذة، كانت ثملة تمامًا. كان يتعقبها بعض التافهين، أحيانا يصفرون بشكل غير مهذب، وأكثر من مرة كانت ترفع ذراعها الرقيقة بشكل مدهش وتطرقع أصابعها.

لكنها لم تستطع أن تفعل ذلك كل مرة. علاوة على ذلك، كانت الآن في سن العشرين، وشابة حساسة. ذات يوم، رغم تدخل أمها المتهورة، فإنها أتت إلى المنزل بأحد أولئك التافهين. وكان وسيما وأبيض البشرة وأنيقا ولم تكن هي فقط التي علقت آمالها به. حتى أنا الذي ليس لي علاقة بهما، حتى أنا، عقدت التوقعات العظيمة عليه. واعتقدت أن سندريلا وجدت أخيرًا الأمير الجذاب الرائع.

ولكنه كان أميرًا عاجزًا ومضيعًا للوقت كسولاً جالسًا في المنزل، وكانت هي سندريلا غير محظوظة، تعود في وقت متأخر من خلال أزقة مدينة الأكواخ في حالة سكر بيِّن، معرضة نفسها لمضايقات المتشردين الآخرين التافهين. وسرعان ما بدأت أصوات الخناقات تتسرب من خلال الحوائط. كانت المعارك بينها وبين رفيقها، أو بينها وبين أمها، أو الأرملة القاسية وزوج ابنتها.

لم تتوقف لعنات الأرملة القاسية الحادة وبكاء ابنتها. وكان الشخص الكسلان صامتًا وساكناً. ما الذي يمكن أن يقوله؟

متشرد تافه، ليس لديه ما يقوله، حتى لو كان فمه كبيرا مثل البرطمان. تساءلت عما كان يبدو شكله في تلك اللحظة، وتخيلت أنه يبدو مثل جرو صغير مذنب تم طرده من تحت المدخل.

"يا أمي، إنني أتمنى الموت. والله إنني أريد أن أموت..." صرخت الابنة وبكت الأم وأصبح غضبها يزداد حدّة.

"لا يهمني أن تموتي أو لا تموتي. أنت صرت تسكرين وتعودين متأخرة، لماذا تشكين لي؟" هذا هو منزلي. غادرا كلاكما. أنا لا أريد حتى النظر إليكما. لماذا يجب أن أعيش معكما وأيضا أقلق بكما؟ لا يهمني أن تسقطا وتموتا في حفرة أو أن تمارسا المضاجعة ليلا ونهارا. لذلك غادرا حالا، أنتما متوحشان."

لا أستطيع أن أنقل كل ما ورد من الشتائم الشديدة والمستمرة التي قذفتها الأرملة القاسية. وعلى كل حال، الجلبة التي أحدثوها قطعت حبال النوم المرهق في مدينة الأكواخ. فجأة سمعنا المحتال يقول: "لماذا لا تعطيني قطتك؟ ما نوع الرجل الذي يسعد بالعيش مع ساقطة لا تمنحه ما يريد؟ ".

كانت تلك هي المشكلة. انفجر الضحك هنا وهناك. السيد جواك تاجر الخردة المعروف بالرد اللبق، قال بصوت عال لكي

يسمعه الجميع: "الرجل على صواب طبعًا. الذي يقبل الحياة مع امرأة مومس ترفض ممارسة الجنس معه (زبالة) ويستحق كل ما يجري له"، وقهقه.

حجرة اللعبة

كان كثير من الجيران غير أسرة الأرملة القاسية يسرقون من المواطنين نومهم المرهق. السكير السيد جو، الذي كان يسكن قريبًا منا، كان يوقظ الجيران لأنه كان يفرط في الشرب ويحدث ضوضاء وجلبة. مثل الآخرين كانت تواجهه حالات الندم اللاذع. كان يعتقد أنه عبر خط تعيين الحدود العسكرية لشبه الجزيرة الكورية عددًا قليلاً من المرات لإحضار أسرته التي تركها في الشمال، ولكنه وصل إلى هنا وحيدًا، بعد العديد من المغامرات التي تعرض لها في صراع الحياة أو الموت.

كان السيد جو نجارا ماهرا، لذلك كانت أرباحه جيدة مقارنة بالآخرين ولكن هذا كان سوء حظ آخر بالنسبة لحالته. فبينما كانت أسرته وجيرانه مشغولين بالبحث عن الطعام اليومي، فهو مع دخله الجيد، كان دائم الجلوس على مقعد في البار. وغادر مترددًا بعد أن جردت المضيفة الطماعة جيوبه بيديها بحثًا عن آخر فكة.

كانت الأزقة ضيقة حتى بالنسبة إلى الشخص العادي. كيف ستكون بالنسب للسكير المترنح؟ عاد إلى المنزل مترنحًا وضاربًا

برأسه على الحوائط في كل جانب من الزقاق وأخرج منشارًا ومسطرة نجارة ومطرقة من أعلى حقيبة الأدوات التي حملها على كتفه. انتابني نوع من الفضول عندما صادفته في تلك الحالة، كان يبدو كما لو أن ينبوع مشروبات روحية باردة ينفجر من جسمه المخمور، ولكن لم يحدث هذا. حتى عندما اصطدم وجهه بالحوائط الخشبية، أصبح مبتلا بالدم وليس المشروب الروحي. وكانت عواطفي المتأثرة تظهر بدلا من الإحباط. أفكر الآن في ذلك، إن عواطف جامحة كانت تنفجر من جسمه وكانت أشد من المشروب الروحي الذي ملأ جسمه. وهي حالة من الندم وتأنيب الضمير المؤلم الذي لا يطاق ويأس فظيع بالنسبة للمستقبل ....

كانت تصرفات السيد جو الغريبة تظهرعندما يعود أخيرا إلى منزله؛ كان يغلق الباب على نفسه في الداخل، ثم يتسرب صوت أمتعته المنزلية المحطمة للخارج من خلف الباب المغلق. بدأت عاداته السيئة.

كان لديه زوجة وابن في حوالي سن الخامسة أو السادسة، أسرة تكونت بعد أن أتى إلى هذه المنطقة. طبقًا لكلام الجيران، ظهر الرجل في مدينة الأكواخ هذه منذ سنوات قليلة ماضية ولم يصبح رب أسرته الحالية إلا قبل عامين. من الواضح أنه كان زوج أم الولد.

لم يستطع أحد أن يوقفه عن عاداته السيئة، ومن المدهش أن زوجته وابن زوجته لم يقولا أي شيء. فقط صوت الأشياء التي تتكسر يمكن سماعها. أحيانا تستمر الضوضاء طوال الليل وبعد ذلك، يعجز جيرانه الطيبون عن النوم. حتى السيد چواك لم يطلق نكاتًا عن السيد جو. بدلاً من ذلك، كان ينادي شخصا آخر بصوت عال ويقول: "أهلا، السيد كيم! دعنا نتحدث عن الحياة وكيف يكون العمل في أسواق اليانكي الأمريكين هذه الأيام؟ "

يأتي الرد من خلال الحوائط الخشبية وفي بعض الأحيان كان شخص ثالث يقحم نفسه من جانب آخر ويجري الحوار في الوقت المتأخر ليلا لبعض الوقت.

"سواء أكان الاقتصاد جيدا أم سيئا، أعتقد أنني سوف أصبح ثريا بسرعة".

"جيد، جيد. رغم أنه ربما يكون غير مريح قليلا بالنسبة لشخص بهذه الحالة أن يعيش في جيرة مليئة بالشحاذين"

"أنت تتحدث عن الأيام القديمة الحلوة. دعني أشارك أنا أيضا واصبر قليلاً لترى. هكذا انتهى بى المطاف فى هذه الدنيا، ولكنني رجل جيد ومن أسرة طيبة."

"ماذا تفعل يا سيد لي؟ إن صمتك يثير الشكوك"

عندما نظرنا إلى داخل منزل السيد جو في الصباح التالي بعد ليلة بلا نوم، وجدنا فوضى عارمة. باستثناء الحائط الخارجي والسقف، لم يبق شيء في مكانه. تناولت الأسرة الغريبة الفطور بشكل ودي وسط الخراب، وبمجرد أن انتهوا من الوجبة، عاد السيد جو للضوضاء مرة ثانية ولكن هذه المرة كان هناك تنوع موسيقي نشيط لأصوات إعادة النظام.

كما قلت من قبل، إنه كان نجارا ماهرا. استخدم مواهبه جيدًا في إعادة تعمير ما خربه بنفسه. من الزقاق، استطاع الجيران أن يسمعوا السيد جو الذي يسأل زوجته الرأي ويقص ويقطع ويدق الشواكيش مواصلا ترميمه المعتاد. حينئذ شعر الجيران بالأمان عند النظر داخل منزل السيد جو دون تردد حتى في ذلك الوقت. تقدم التشييد بأسلوب حديث ومرتب ومرض. احتلت الحجرة مساحة المطبخ، والمطبخ تم بناؤه في مكان الحجرة السابقة، والمكان الخالي العلوي في الجانب الشرقي كان معلقا في الجهة الغربية والشرفة الخشبية الصغيرة على الجانب الغربي نقلت إلى الشرق. بدهشة وحسد حقيقيين، كان الجميع يتابعون إنشاء السكن الجديد والمختلف تماما عن الأيام السابقة في نفس المكان المحدد. وبالنسبة للسيد جو الذي فقد كل شيء، كانت حجرته التي تشبه الصندوق الخشبي هي العالم الوحيد واللعبة الوحيدة التي أتيحت له.

البطانية

كانت الليالي الصيفية حارة بشكل لا يمكن احتماله. كل شيء ضايقنا - حجرتنا مثل الصندوق الخانق والفحم المحترق الخارج في الأزقة الضيقة للطهي والرائحة الراكدة والمتعفنة للمجاري وأسراب الناموس المتوحشة التي تطن بمجرد غروب الشمس. وأثناء الليالي الصيفية، كانت الحياة نفسها تثير الضيق.

أنا وأختي كنا غالبا نخرج إلى الشارع للنوم فيه، لأنه على الأقل هناك تهوية. كنا نستلقي على العربة الخشبية وبطانية جيش مصبوغة تم سحبها على ذقنينا. كانت السماء المظلمة واسعة وناعمة بلا حدود. كانت النجوم متلألئة ولامعة وترطبت قلوبنا من ضوء النجوم.

وفي بعض الأحيان كانوا يوقظوننا ويطالوننا بالعودة إلى المنزل لكن عادة كنا لا نهتم ولا نلقي بالاً. لو فتحت عيوني في منتصف الليلة، تكون النجوم في السماء في أماكن مختلفة وإذا استيقظت مرة ثانية بعد أن استغرقت في النوم لحظة، كانت النجوم تميل إلى جانب واحد من السماء. لحظة بلحظة، ولادة سماء ليلة صيف جديدة.

عدد كبير من الآخرين خرجوا إلى الشارع للنوم. لو استيقظت في منتصف الليل ونظرت إلى الشارع أرى الجيران راقدين حولنا،

كان اللون الأبيض يميزهم تحت ضوء القمر. بعد منتصف الليل، كان الشارع يشبه الحديقة التي تتناثر أزهار الكمثرى المتساقطة فيها. طفل يبكي بجوار أمه النائمة وشخص ما جالس بمفرده يدخن وهو سارح في الفكر. لا شيء أزعج نومنا. كان حظر التجول يتحكم تماما في كل الاحتمالات. مرت سيارات السباق المتميزة تثير التراب والغبار على أوجه النائمين ولكننا لم نبال. كان الشارع هادئا ليلا، وسط نعاس الناس المجهدين، في سلام هش وحزين. كنت أستطيع سماع صوت الندى الليلي الذي يسقط مثل الرذاذ.

ذات ليلة، شعرت بالبرد القارس وفتحت عيوني. إنه وقت الفجر وأقبل الصباح بهدوء من المكان البعيد في الشارع باللون الرمادي ورائحة رطوبة الفجر. قمت من النوم وجلست عاريا وأيقظت أختي التي لم يكن عليها أي غطاء. تحشرج صوتي واضطرب حلقي فجأة.

"يا أخي، إلى أين ذهبت بطانيتنا؟" قالت أختي وقد تأثر صوتها بالرطوبة ونظرت حولها.

أجبت بصوت منخفض هامسًا: "إنها اختفت، يا أختي. لابد أن شخصًا ما سرقها أثناء نومنا... " كان صوتي مرتعشًا من برد الفجر وخرج في حالة من الوهن.

"ماذا سنفعل؟ ماذا سنفعل؟" جالسة في ملابسها الداخلية الرثة بدأت أختي تبكي، ولكن الرطوبة ضغطت بقوة على حلقها، ولم تستطع حتى أن تصدر صوت أنين الطفل الصغير. حدقت إلى السماء بذهن شارد. استطعت رؤية جبهة أختي الضيقة والجافة في نور الصباح.

موسم المطر الأول

بدأ موسم المطر في وسط الحرارة الشديدة. وسرعان ما أصبحت الأزقة الضيقة مستنقعا للوحل وزحفت دودة الأرض إلى حجرتنا.

عندما استيقظت في الصباح، كل ما يحيط بي كان مبتلا، الحوائط والسقف وحصيرة القش التي غطت أرضية الحجرة، وأمتعتنا المنزلية كلها كانت مبللة. السقف المهلهل والمغطى بمواد رخيصة كان يسرب المياه كلها. وصوت المطر الذي يسقط في العلب الفارغة وأحواض الغسيل والمبولة، أصابني كل ذلك باكتئاب وحزن من يسمع صدى صوت الإكسليفون.

ورقدنا طوال اليوم، حيث لم يكن هناك سبب يدعو للانشغال. لم نكن نربح كثيرًا حتى في الأيام الصافية. ما زالت الفطائر طعمها مرا - ولم نبحث عن السبب - لذلك كانت مبيعاتنا تحت توقعاتنا. الشيء الوحيد الذي استطعنا أن نثق به هو أفواهنا. فالعشاء تبدل

بالفطائر دائما. لكننا أبدا لم نواجه الحرج والمشاعر الفارغة التي شعرنا بها أثناء حفل عشاء الافتتاح. شعرنا بالطعم المر والحلاوة بشكل مقزز بعد تذوق الدقيق والخميرة وصودا الخبز وخليط الفانيليا. عادة لم تكن أرباح الأب كبيرة أيضا. أحيانا كان يستطيع بصعوبة أن يشتري كتلاً ثلجية. كل مساء كان الأب يصب الشراب المسكر المتبقي في المجاري أمام المنزل. بعد ذلك كانت مياه المجاري تتحول إلى اللون البرتقالي الحلو وتفوح رائحة الحلوى المخففة فيها حول الزقاق كل مساء. لم يمانع الأب في أكل الفطائر ولكن كان يكره الرائحة. بعد حفل عشاء الافتتاح، لم نعد نتناول الشراب المسكر مرة أخرى على مائدة العشاء.

هطل المطر لم نستطع أن نبيع أي شيء رغم جرّ العربة الخشبية إلى الشوارع. لذلك قضت أسرتي كل اليوم محبوسة في تلك الحجرة التي تشبه الصندوق. راقدًا تحت بطانية مبللة مشدودة حتى الرأس مثل دودة القز، لم أعد أستطيع أن أميز صوت قطرات المطر الساقطة على السقف المهلهل والحوائط الرفيعة. أغرق المطر كل المخلوقات، وأخيرا بلل أرواحنا كلها. بالدوخة الخفيفة والإحساس بالجوع الشديد، استمتعنا بصوت المطر الذي كـوّن بركة على الأرض.

كان هذا حدثًا نادرا عندما دندن الأب. إنه لم يغن أبدًا بصوت عال. ربما كان يحدث لكي يرفه عن نفسه. لعله كان من أجل

التخفيف عن قلبه المثقل. واستطعت أن أسمع بعض النغمات فقط من خلال الصوت الصادر من أنفه وكان اللحن منخفضًا وعريضًا. واستطاع الأب أن يكرر النغمات البسيطة والمسطحة لمدة طويلة ويتوقف بينها كما لو كان يتسامر مع شخص غير مرئي.

كانت الأغنية التي ترنم بها الأب مرارا وتكرارا مألوفة تماما، فالأب كان يترنم بأغنية لغرس الأرز في تلك المدينة التي تشبه لعبة الطفل.

موسم المطر الثاني

كان لا شيء أكثر إزعاجًا من المشي إلى المدرسة في ظل سقوط المطر، فالطريق إلى المدرسة كان طويلاً وموحلاً. هناك هؤلاء الأطفال المتوحشون الذين كانوا يتزاحمون عند كل دكة أو قطعة خشبية مثل الموجودة لدى الجزارين. لم تكن المعرفة التي يقدمها المدرسان لكل هؤلاء الأطفال كثيرة. ربما لهذا السبب دائمًا كان المدرسان أكثر ضربا بالسوط من تقديم المعرفة.

لكنني لم أتغيب عن المدرسة حتى عندما كنت أبيع الفطائر مع أختي فكنت أحسن طالب بالتأكيد. كنت أتمتع بتقديم العون ولكن لم يحدث لي أن تغيبت عن المدرسة، التي لم تكن مقبولة على كل حال. كان لوالدي آمال معينة بالنسبة لي وكانت من أجل مستقبلي، وكانوا يجدون فيها الراحة الوحيدة منذ مغادرة موطننا. كانت

نظرتهما الرحيمة أن الاستفادة الكبيرة من المعيشة في المدينة هي تعليم الأطفال. *من الصعب بالنسبة لفلاح فقير أن يعلم أطفاله.* كان يجب أن أظل طالبا، وهذه كانت رغبتهما. كانت مساعدة الأخت في أثناء وقت فراغي فقط، ومع ذلك كنت أشعر مقدما بأنني سأتخلف عن الذهاب إلى المدرسة يومًا من الأيام بسبب وضعنا.

كان يجب أن أقطع طريقى إلى المدرسة من خلال ما يشبه سلسلة من المستنقعات. وكنت قادرا على الوصول إلى التل الذي تقع عليه المدرسة بعد المرور بقطعة أرض تتجمع فيها المياه، ومتنزه بلا أشجار وطريق منزلق بطول حقل من الأرز.

كانت الرحلة تستغرق بين ٣٠ إلى ٤٠ دقيقة لكنها استغرقت ساعة في المطر. عدد الطلاب الذين حملوا مظلات سوداء ومتينة كان نادرا. معظمهم فقط كان لديهم "جواكت" الحقول المصنوعة من "بالطوهات" الجيش المصبوغة التي يشدونها حتى رءوسهم. ولم يكن لدي حتى واحدة منها؛ لذلك وضعت قطعة من قماش النايلون على أكتافي وعندما سرت خلال المطر هكذا شعرت كما لو أن كل مدينتنا بنيت على مستنقع ضخم، وكنت أحد سكان هذه المدينة. كنت أتوق إلى معطف للمطر من القش من الريف ولكن جيد أننا لم نحضره معنا لأنه كان سيبدو منظرًا غريبًا في هذه الشوارع.

لم تكن في المدرسة مياه جارية. كانت مضخة وحيدة موجودة في أحد أركان الفناء. ووقف الأطفال في طابور أمام المضخة حسب وصولهم. تمكنا من دخول فصلنا فقط بعد أن نظفنا أحذيتنا وأقدامنا، التي توحلت من الزحف في حقول الأرز. كان الصف طويلا وكئيبا كقطار للاجئين. ونظرًا لصعوبة تشچيل المضخة، كان الصف يتقدم إلى الأمام ببطء.

وقف الأطفال كبار الحجم على كل جانب من باب الفصل وكانوا متوحشين وزعماء عصابات من الحجم الصغير. كانوا حراسا وبوابين بتفويض من المدرسين. وأصدروا بكل ثقة أحكاما قاسية. ممنوع دخول الفصول لأنك ما زلت قذرا، كان الأمر فظيعا حتى لو تخيلته. الكثير من الأطفال لم يسمح لهم بالدخول واضطروا إلى العودة إلى مؤخرة قطار اللاجئين في المطر. وكان البعض يعاني من تلك المحنة ثلاث أو أربع مرات كل صباح.

لم أكن أريد أن أفعل شيئا يمس إحساسهم. لم يضمن تنظيف الأحذية والأقدام دخولي الفصل. كان هناك العديد من الاحتمالات للحادث موجودة بين المضخة والفصل، لم يكن يهم حتى لو كنت رجلا من الناصرة الذين ساروا على الماء. حراس البوابة مارسوا سلطة مطلقة على تلك القرارات. وأنا أيضا عانيت من الإهانة بشدة مرة واحدة، على الرغم من الذهاب والإياب بين المضخة والفصل

لكي أجعل أقدامي نظيفة مثل الجمبري الخارج من الماء حديثا، زعماء العصابة المتوحشون أعلنوا عدم تأهلي.

لم أكن قويا ولكنني لم أكن غبيا أيضا. لم أرد أن أكون موضعا للسخرية أبدا. السر بالنسبة لاجتياز التفتيش كان واضحا وبسيطا. كل ما احتجت أن تفعله هو إعطاء مجموعة الذئاب شيئًا ما لتأكله. في حالتي، كان لدي مدخل لموارد غير محدودة. كانت أسرتي دائما لديها وفرة في الفطائر المتبقية والتي لم تبع. لم نبع الكثير كما أراد أبي حيث كنت أستطيع أن أحضر معي إلى المدرسة خمسًا أو ستًا من الفطائر التي لم تبع، رغم أن أسرتي تأكلها كل يوم وأحيانا في كل وجبة حتى سئمنا منها. كان الأوغاد متسامحين معي. وذات مرة ولأن السماح بالدخول أصبح أمرًا آليا كما بدا لي، مررت أمامهم بثقة دون توقف أولي عند المضخة للتنظيف وعاقبني المدرس بقسوة.

وعلى كل حال، عندما جلسنا أمام الدكك التي تشبه عدّة الجزار، لم يظهر شيء جاف. لن تبتل بهذا الشكل حتى لو زحفت في البركة. كان يبدو أن ملابسنا وكتبنا أو كراستنا غمست في المياه. تراكم البلل أسفلنا على الأرضية الخشبية، ولذلك كانت أقدام المدرسين عارية. تجولا بين الأطفال دون لبس شباشب أو جوارب مشمرين البنطلونات. وقتئذ كان فصل الصيف وكان يفضّل أن ندفع المكاتب أو الدكك إلى جانب آخر لتلقي دروس السباحة ولكن لم نُمنح

أبدًا هذا النوع من المتعة – بالنسبة لي كان يبدو أن المدرسين هم قادة لتلك الوحوش الصغيرة.

سينما الجنود

شخص ما أعطاني ورقة مطوية، قمت بفتحها تحت مكتبي: "لنتقابل أمام سينما الجنود". أحد الوحوش أرسل إلي هذه الورقة ومزقتها إربًا إربًا وذابت سريعًا في يدي المبتلة.

كانت سينما الجنود في الطابق العلوي من صالة المدينة. لم أعرف لماذا سميت بسينما الجنود، رغم أنه يمكنك الذهاب إليها حتى لو لم تكن جنديا. كانت غالبية المشاهدين من الطلاب والمدنيين. استطعت الدخول مقابل ثمن أكواب عديدة من الشراب المسكر وكانت السينما تعرض فيلمين دائماً. كانت الأفلام قديمة جدا، لكنها أحيانا لم تكن في حالة جيدة مثل تلك التي تعرض في دور السينما الجديدة، لكن وجود مترجم للفيلم أثار المشاهدين أكثر من كل شيء. كان يبدو أنه جندي. كما كان يدل خطر شعره القصير والكلمات المكتوبة على قميصه الداخلي ولون بنطلونه.

كان المكان قديمًا ومتهالكًا؛ فكل ركن تشبع برائحة العرق والبول والرطوبة ولم تكن المقاعد الخشبية مريحة، ولم تكن هناك تهوية جيدة. وفي أثناء وقت الاستراحة، كان الهواء غير الصافي ثقيلا مثل السائل اللزج. أحدثت مروحتان كبيرتان ضوضاء مزعجة،

ولكن عندما انطفأت الأنوار وبدأ عرض الفيلم، أصبحت السينما كالقصر المشحون بأحلام ومغامرات وعنف ودموع الأطفال. صفقنا بحرارة لـــ "أنطوني كوين" قائد القراصنة وبكينا من أجل "إليزابيث تيلور" أميرة الحب المأساوي. وكنا مبهورين ببطل الحرب "إيدى ميرفي" و"بيرت لانكستر" و"جاري كوبر" و"جون وين" و"ريتشارد ويدمارك"، ومشاهير أفلام العصابات والويسترن. كان يمكن إدراك مقدار التأثر الذى كنا عليه بسرعة بالغة من خلال النظر إلى عيوننا عندما غادرنا. كانت تعبر عن الشعور بضياع كل شيء في لحظة واحدة، وكانت أقدامنا متحررة، لم يبق أي شيء آخر معنا.

كان المتوحشون في انتظاري. ظننت أنني يجب أن أشتري تذاكر لهم جميعًا ولكنني لم أستطع ذلك. ليس فقط لأننى لا أمتلك النقود الكافية ولكنني أيضا لن أكون قادرا على الحصول على هذا المبلغ من النقود في يدي في أي وقت قريب.

ما زال المطر يهطل ويبلل الشوارع. ولم أتوقع أن ينتهي موسم المطر قريبا، وأعددت نفسي لمواجهتهم بجسدي مثل يومي الأول في المدرسة ولكنني أخطأت في الحساب. لقد كان لديهم التذاكر بما في ذلك تذكرتي. قال واحد منهم: "كان لدينا تذاكر ترويجية. لهذا أخبرناك أن تأتي".

لم أفهم ماذا كان يقصد. وافترضت أن تذاكر الدخول كانت أيضا تسمى تذاكر ترويجية. وعلى كل حال، دخلنا وشاهدنا الفيلم. كان متعة عظيمة. رفع القلق رأسه من وقت لآخر ولكنني حالا اندمجت في الفيلم مرة أخرى، وبدأت أشعر بالعصبية عند انتهاء العرض وإضاءة الأنوار. تركت كل شيء إلى الظلام وكان لدي فقط قلب خال تعلقت به ظلال القلق. اعتقدت أنهم سوف يطلبون شيئا ما مني وسيكون علي أن أدفع أكثر مما توقعت، وشعرت بالانكماش مثل الجوال الفارغ. ومن المحتمل أنني كنت أريد مشاهدة المزيد من الأحداث المليئة بالعاطفة الكبيرة والدهشة التي استمتع بها الأطفال.

كان استوديو رسام موجودا على سقف صالة المدينة. كانت بعض لوحات إعلانات مستقلة تطل في المقدمة مبللة. تحدث الأطفال بأصوات منخفضة هناك قليلا وبعد ذلك خرجوا حيث ما زالت تمطر. وحلّ الظلام الرطب تدريجيا من ناحية الجانب البعيد للطريق، وبدأ واحد من الأطفال التصفير بمهارة ولكن البقية لم يتكلموا كثيرا. في الحقيقة، بدأنا نشعر بالجوع ولذلك حدقنا في محلات الفطائر الصينية وأعشاب الجنسنج. كان من المحتمل أن يكون الشعور بالجوع بسبب المطر ولكن الأطفال كانوا في حزن واكتئاب.

قبل الافتراق أعطاني أحد الأطفال تذكرتين وبعد ذلك بصق فجأة كما لو كان متضايقا، "عندما تحتاج إلى المزيد كلمني".

وأخذتهما دون كلام. كان مكتوبًا عليهما بحروف كبيرة *تذاكر ترويجية*. ولم أستطع أن أكتشف كيف تمكن من الحصول عليهما أو لماذا أظهر هذه المشاعر الجيدة نحوى. ووقفت هناك كالأبكم، أمسك بالتذكرتين السعيدتين أو التعيستين. شاهدتني عيونهم المكتئبة. وفي النهاية قلت: "سوف أحضر كثيرا من الفطائر غدًا، تكفى لملء جوال كبير". بالطبع كان كذبا ولم أقدم لهم فطيرة واحدة خلال الأيام القليلة الماضية. لم تستطع أسرتي أن تخرج لبيع شيء مع استمرار هطول الأمطار. لن تتغير الأمور فجأة غدا. وفي الفترة الأخيرة، بدلاً من أكل الفطائر المتبقية، بدأت أسرتي بتناول حساء من رقاقة عجينة الدقيق والمياه في وجبة العشاء، شيء ما لم أستطع أن أقدمه للأطفال.

لكنني تحدثت مرة ثانية بعاطفة وعصبية جعلتني أكذب.

"ربما أستطيع أن أحضر فطائر صينية الصنع. فنحن نخطط لبيعها أيضا...."

استطعنا أن نرى لافتة محل للفطائر الصينية أمامنا. وكان مكانا حقيقيًا لفطائر صينية. كان رجل صيني يقوم بصنع الفطائر. انتظرت بفارغ الصبر لرد فعلهم وعيناي على المحل. وكانت لا تزال تمطر، مبللة الظلام. شعرت بجوع لا يحتمل.

فتح واحد منهم فمه وأفسد جو الكآبة. كان صوته ضعيفا بشكل صادم: "انس الموضوع. لست بحاجة إلى أن تجلب لنا تلك الأشياء بعد الآن".

انتشروا وأداروا ظهورهم إلي. وقفت بمفردى في الظلام المبلل. تسللت مشاعر وحدة غريبة إلى قلبي الفارغ تدريجيا. كانت الوحدة التي لم أمارسها من قبل. ربما كان ذلك بسبب رجال العصابات في الأفلام والمشاهد التي رأيتها.

الفاكهة المتساقطة

ذهبت لكي أجمع فاكهة مع مجموعة من الأطفال. وتوقفت الأمطار التي بدت بلا نهاية. لا أعرف من فكر فى الأمر أولاً، ولكن كنا نعتقد أن هناك كميات من الفاكهة غير الناضجة، سقطت بسبب هطول الأمطار المستمر في البستان خارج المدينة.

أخذ كل منا جوالا وتوجهنا إلى البستان. كانت السحب مشتتة هنا وهناك في السماء وقطرات من المطر تتناثر بشكل متقطع. عندما تمدّ بصرك ترى علامات نهاية موسم الأمطار. كانت قلوبنا مضاءة بالسعادة. كنا نتسامر مثل الطيور وننتفض مثل الحيوانات المتوحشة. قمنا بغناء مجموعة من الأغاني بسعادة، من أناشيد تقليدية للأطفال إلى الأغاني الشعبية في ذلك الوقت. وبمجرد أن يبدأ شخص ما غناء

مطلع الأغنية الأولى، يشارك الجميع فى الغناء على طريقة الكورس. لم ندرك إلى أين كنا نذهب أو حتى المسافة التى قطعناها.

وصلنا إلى النهر بعد الظهر، كان النهر يعلو بشكل هائل. والمياه الطينية الحمراء تملأ عرض النهر، كان يجري على نطاق واسع. توقفنا في مساراتنا بطبيعة الحال. كانت تلك هي العقبة الحاسمة الأولى لرحلتنا.

تم تقسيم الاقتراحات إلى فصيلين متعارضين؛ أولهما يحمل وجهة نظر تؤيد الاستمرار، بينما يصمم الثانى على العودة. كان فى كلا الجانبين نقاط إيجابية. قال الفصيل الذي يصر على التقدم: على *الرغم من أن النهر واسع، وهو ضحل وبطيء من المؤكد أننا سنعبره لو أردنا. كيف يمكن أن نعود الآن؟* مشينا لساعات طويلة. *سوف نصل إلى جهة وصولنا لو عبرنا هذا النهر بالفعل. انظروا، تلك الغابة الخضراء التى يمكن أن تروها عبر النهر هى البستان وأطنان الفاكهة* موجودة هناك.

لكن الجانب المعارض كان مقتنعًا أيضا؛ *كان يرى أنه يستحيل بالنسبة للأطفال الصغار مثلنا أن يعبروا النهر. ماذا نفعل لو وقع حادث؟ فجوال من الفاكهة لا يستحق كل هذا العناء. إن الأمر مؤسف جدا لكن الأفضل يستلزم أن نعود خالين الوفاض.*

وصلنا إلى استنتاج بعد مناقشات وجدل مزعج مثل قطيع من العصافير. ولكنه كان قرارا توفيقيا تماما. قررنا أن من لديهم ثقة كافية يعبروا النهر ويبقى الآخرون منتظرين بشرط واحد: نتقاسم البضائع بالتساوي.

واحدًا وراء الآخر عبر الأطفال الأكبر حجما، في مجموعتنا، النهر أولا. كما توقعنا، لم يكن عميقا جدا وكان جريانه ضعيفًا ولكن الأمر لم يكن مغامرة سهلة. قمت بالانضمام إلى الفرقة الأولى. ارتفع الماء إلى سرتي. وكان قاع النهر مكونا من حبات رمال، لذلك كان يشبه عبور مستنقع. قبل أن أصل إلى الجانب الآخر، كنت أكثر قلقًا بشأن رحلة العودة أكثر مما تطلعت إلى جمع الفاكهة. ارتميت عاجزًا ضعيفًا على الضفة الرملية، ندمت على أنني قفزت دون مبالاة في مغامرة غبية.

عبر عدد قليل من البنات، في المجموعة، النهر أخيرا. كن أكبر بسنوات قليلة وأكبر حجما وأطول منا. واعتقدت بأنه سيكون من السهل عليهن عبور النهر ولكنهن كن بنات حقًا. كانت تعبيرات وجوههن جميعًا تتغير عندما ترتفع المياه إلى أعلى.

لم تتوقف أختي عن الضحك طوال الوقت عندما ارتفع الماء إلى سمّانة رجلها. ضحكت أن الماء عند سمّانة رجلها وعندما وصل الماء إلى فوق ركبتها ضحكت أنه وصل إلى ذلك، ولكن ضحكها

كان مشوبًا بقلق وعدم ارتياح. كانت تعبر عن عصبيتها بتلك الطريقة، ولكن صديقتها لم تكن كذلك وخاضت خلال النهر بهدوء مثل ظل الجبل، ولم تنظر إلى أختي التي كانت تضحك باستمرار. رفعت تنورتها عندما ارتفعت المياه إلى أعلى، مركّزة فقط على حركة أقدامها. أصبح النهر أكثر عمقًا ورفعت تنورتها لأعلى وأعلى. سرعان ما كان يلفني التوتر الغريب. وشعرت بتحريض قوي من نوع ما، ولكن فمي توقف عن الكلام.

عندما وصلت البنات إلى منتصف النهر، تحققت توقعاتي الخائفة. كان قد فات الأوان عندما أدركت صديقة أختي خطأها وكان ذلك في لمح البصر، لكن هذا لم يقلل من شعورها بالإهانة. أسرعت بشد تنورتها لأسفل وفقدت توازنها وتأرجحت.

عبر أقل من نصف المجموعة النهر وانطلقنا مرة أخرى ومن بعيد، استطعنا أن نرى سياج حديقة أشجار برتقال يحيط بالبستان.

صرخ الأطفال صراخا مثيـــرا وجــروا نحوهـــا، يرفرفـــون أجولتهم الفارغة خلفهم مثل الأعلام. من الغريب أن الشخص الأكثــر إثارة وكلامًا كان البنت صاحبة حادثة التنورة.

عدنا كالجنود المنتصرين. كان المساء قد اقترب، وكانت الأزقة الضيقة والموحلة في مدينة الأكواخ مملوءة بدخان الفحم. غنائم حربنا كانت الفاكهة المتساقطة الصغيرة مثل برتقال ثلاثي

الأوراق. كانت لا تزال حامضة وغير ناضجة، ولكنها كانت هدايا طازجة لنا. من الصعب معرفة ما إذا كان بعض الأطفال ذكروا حادثة التنورة أثناء تناولهم لوجبات العشاء المتأخرة، ولكن من المؤكد أن الذاكرة لا تمحى بسهولة على الأقل بالنسبة لعدد قليل من رؤوسنا. كانت البنت تبدو مكتئبة عندما غادرنا جميعا. مسكت جوالاً نصف مملوء ولكنها لم تعد مهتمة به. كان يبدو أنها تفكر بعمق، فيما انحنى وجهها البائس لأسفل فجأة.

حولت وجهي عنها أولا قبل أى شخص آخر. وأنا عائد إلى المنزل، تذكرت فجأة شيئا ما، كانت هي. كانت تلك البنت التي رأيتها في الحمام العام ليلة وصولنا إلى هنا.

أين هو الآن؟

كاد الصيف ينتهي مع انتهاء موسم المطر. الرياح الباردة كانت تهب باستمرار من خلال الشقوق في الحوائط الخشبية. في مجاري تصريف المياه تزداد رائحتها الكريهة في منتصف الصيف، كان صرير الحشرات الجميل منسجمًا مع ضوء القمر. بالنسبة لمواطني مدينة اللعبة الذين لم يملكوا أي شيء للحصاد، كان الخريف فصلا حزينا مثل المياه التي تمنعك برودتها الشديدة من أن تلمسها.

أصبحت صفيحة الفطائر التي بها أربعة وعشرون ثقبا صدئة. أخذها بائع حلوى الطوفي. كانت أختي حزينة ولم يقل أبي أي شيء.

وكنت مهتما كثيرًا بحلوى الطوفي التي كانت تشبه قصبة الدخن الجافة والتى أخذناها مقابل صفيحة الفطائر. وحتى بائع الطوفي لم يكن يريد برطمان الشراب المسكر. كان يوجد به شقان كبيران من البداية، وكان من الممكن أن نستخدمه كإناء لتربية الأسماك لو قمنا بإصلاحه بأربطة ضاغطة ولكننا لم يكن لدينا مكان له. وفي النهاية رميناه في قطعة الأرض الخالية. كان الأب صامتًا حينئذ أيضا.

لم يتبق لدينا سوى العربة الخشبية. تاجر السلع المستعملة السيد چواك أعطانا سعرا جيدا مقابلها. اشترى الأب دراجة مستعملة بالنقود. كان يركبها في الصباح ويعود بها ليلاً. كان يعود فارغ اليد إلى المنزل على النحو نفسه الذى يغادر به في الصباح.

تناولنا الذرة العويجة المغلية في وجبة الفطور. لو سكبت الماء فوقها، تتناثر كحبات الرمل. كان من الصعب أن نأكل دون إسقاط البعض مهما اعتنينا به. كانت الأم تضطرب كلما مسحت المائدة بعد كل وجبة. البذور المسكوبة الثمينة كانت تقدر بحوالي نصف ملعقة. كانت تلقي علينا محاضرة بنفس الكلمات المكررة. "على الأقل الحيوانات تأخذها في الريف. لكنها سوف تتعفن في مجاري تصريف المياه هنا". لم أوضح أبدا أن الدودة في المجاري سوف تأكلها.

أكلت الأخت فقط نصف نصيبها للفطور، تاركة الباقي للغداء. بهذا الحال، شعرت كما لو كانت تأكل بكفاية. لم أفهم ذلك طوال

حياتي. بالنسبة لي، كان مستحيلا. جربته مرة أو مرتين كما فعلته الأخت ولكنني لم أكن أشبع من أية وجبة، لم يكن كافيا للفطور وكنت ما زلت جائعا بعد الغداء. أردت أن أشبع في وجبة واحدة على الأقل بدلا من الشعور بالجوع في كلا الحالتين. لذلك كنت أنتظر عادة حتى العشاء لكي آكل مرة ثانية.

جعلتني الأيام التي توقفت عن الغداء فيها أحس بالنهار أطول من العادة، واضطررت أن أشغل نفسي لكي أملأ هذا الفراغ. كان تاي-چيل غالبا يعتني بشغل وقتنا فجرينا معا طوال اليوم، أصبحنا لا ننفصل عن بعض. ذهبنا إلى مصانع النشارة وأخذنا اللحاء من كتل خشبية وجمعنا قطعًا من الفحم من ساحة الفحم عند محطة القطار، وأضفنا الماء إلى مسحوق الفحم وشكلناه فى قطع مستطيلة طويلة ورقيقة. فيما بعد كنا نتقدم بين الحين والآخر لنحضر نشارة الخشب بدلا من اللحاء وكتلاً كبيرة صلبة من الفحم بدلا من القطع المسحوقة. على كل حال، من خلال جهودنا، حصلنا على ما يكفي من الوقود من أجل الأسرتين.

ولكن المرء لا يستطيع أن يأكل الوقود. عدنا إلى المنزل بعد نهار طويل وصعب وكانت حجرتنا هي الوحيدة المظلمة بين منازل الأكواخ المؤقتة المحشورة معا بشكل كثيف، واستطعت أن أقرأ الوضع اليوم من خلال عيون الأم والأخت. كان الماء الدافئ بانتظاري في المطبخ. غسلت يدي وأقدامي بهدوء لمدة طويلة بقدر

الإمكان كما لو كنت أغسل وأزيل جوعي مع الغبار والتعب. بعد ذلك رقدت بهدوء بجوار أختي.

لم نتمكن من النوم، رغم أن الوقت كان متأخرًا، كان ضوء القمر لامعًا من خلال فتحة النافذة التي في حجم اليد. كما أن ضوء القمر كان واضحا وجميلا، وشعرت أنفسنا الجوعي بشفافية أيضا. وانتظرنا وصول الأب بقلوبنا النظيفة مثل الماء. حتى النوم قد خاصمنا.

همست بهدوء في أذن أختي: " أين هو الآن؟ ".

بعد ذلك التفتت أختي نحوي وردت عليّ مثل الطفلة الصغيرة. " إنه على بعد ٤ كيلومترات من هنا".

أنفاس أختي دغدغت شحمة أذني بلطف. وارتياحا لذلك الشعور، سألت مرة ثانية: "أين هو الآن؟"

" إنه على بعد كيلومترين"

" أين هو الآن؟ "

" إنه في ساحة محطة السكك الحديدية "

" أين هو الآن؟ "

" إنه في الزقاق "

" أين هو الآن؟ "

" إنه على الباب "

قمت ببطء معتقدًا أنني سمعت صوت دراجة الأب وبعد ذلك نظرت أختى وأمي إلى الخارج أيضا.

كانت هناك مرات عندما تتصادف عودة والدي مع لعبنا. لا أستطيع أن أعبر بالكلمات عن المشاعر العميقة التي كنا نشعر بها في تلك اللحظات. ذات يوم، بدأت أختي تبكي بهدوء مع الشكر والعرفان. كانت عودة الأب أمرًا رائعًا حتى لو لم يكن معه أى شيء رغم توقعاتنا. لا أستطيع أن أتخيل مكافأة أكثر كمالاً من عودته.

لكنها كانت مرات نادرة للغاية. وفي معظم الأحيان، كنا نرى فقط الباب الضيق المخلوع وضوء القمر فى أوائل الخريف كان يبلل ورق النافذة حائل اللون. لو كنا محظوظين، لتمكنا من رؤية نجم أو نجمين أيضًا من خلال الشباك. لم يعد الأب إلى المنزل بعد رغم أننا لعبنا اللعبة مرات كثيرة على التوالي.

أحيانا كان يتم إيقاظنا فجأة في منتصف الليل. كنت أفرك عيونى عندما أستيقظ، فأرى الأب جالسًا بالقرب مني مرتديًا نفس الملابس التي كان يرتديها في الصباح. أحضرت الأم شيئًا ما من المطبخ. همست لنا قبل أن نلتقط ملاعقنا: " كلا بهدوء دون كشط السلطانيات، واشربا بعض الماء أولاً ".

بدأنا الأكل بتلصص مثل اللصوص. عندما كانت ملاعقنا تخشخش، كان الخوف يشلنا، لكن أبي لم يهتم بالضوضاء. ولم يأكل شيئا، ولكنه أحدث معظم الضوضاء التي قد تزعج الجيران، وفيما بعد قال: " كل شخص يأتي إلى المدينة يصبح شحاذا على الأقل مرة واحدة. هم يقولون إنك تجد طريقك فقط بعد أن تلتهم كل شيء تملكه حتى كل ذرة من الغبار ... "

لم تكن كلمات الأب فقط. الشعور ببعض العاطفة القوية جعل حلقي جافًا، بدأت أدرك شيئا ما: الذى انتظرناه بفارغ الصبر هو الأب وليس شيئًا ما يملأ معدتنا الجائعة .

واحد منكم

تم استدعاء الأطفال الأشقياء كلهم إلى مكتب المدرسين في وقت واحد. وتتابع قدوم المدرسين. وكانت هناك أوامر مكتوبة على السبورة من كلٌ من المدرسيِن، كتبت بإهمال – كما لو في ضيق – على السبورة تهدد بقية الأطفال.

" ذاكروا بهدوء ".

" سوف تكونون في مأزق كبير لو تحدثتم "

لكن هؤلاء لم يكونوا من الأطفال الذين يخافون بسهولة. بدأ أكثر من مائة فم الحديث. تحول الفصل بسرعة إلى قاعة انتظار في محطة قطار.

وضعت كتابي وكراساتي على مكتبي الذى يشبه دكة الجزار وفتحتها ولكنني لم أرغب في المذاكرة. الشخص الذي يجلس بهدوء في قاعة الانتظار شخص غريب بالفعل. الآن، كان الحديث محببًا إلى النفس. الأطفال ثرثروا عن الأطفال المتوحشين وتم سرد تفاصيل كثيرة كلما كانت هناك أفواه. كان فحوى الحديث متشابهًا تشابها كبيرا. كنت قد أدركت بنفسي أنهم بشكل واضح وحوش وزعماء عصابات من الحجم الصغير ولصوص مدللون. وقال شخص ما تذكر إهانات موسم المطر قال إنهم كانوا طغاة من الحجم الصغير وضباطًا أشرارًا.

كنت متحيرًا وتذكرت الوقت الذي ذهبت فيه إلى سينما الجنود معهم. إنني لم أفهم سلوكهم بعد. لماذا دعوني ولماذا أعطوني تذكرتين ترويجيتين بعد ذلك؟ علاوة على ذلك، لم يقبلوا عرضي للطعام، وقالوا باكتئاب: "لست بحاجة إلى جلب الأشياء لنا بعد الآن".

لم يتغير سلوكهم حتى بعد ذلك اليوم. كانوا كرماء نحوي دون أن يطلبوا مني أي شيء للمقابل وأحيانا كانوا يقولون لي: "أهلاً، هل تريد أن تذهب إلى السينما؟ " " هل أنت جوعان؟ ". كنت الشخص

الذي يتلقى الأشياء من هؤلاء الأولاد حتى لو كانت قطعة صغيرة من الخبز أو جزءًا من قلم رصاص. بالطبع هذا لم يكن يحدث طول الوقت وبالنسبة لي، لم أشعر بعبء ثقيل كما حدث عندما ذهبنا إلى السينما. بحذر استنتجت أنهم لم يكونوا يريدون أي شيء في المقابل. على الرغم من ذلك، كانت هناك أوقات أشعر فيها بقليل من العصبية وأتساءل لماذا كانوا طيبين معي دون مقابل.

كنت قادرا على استنتاج نوع المتاعب التي كانت تواجههم من خلال الاستماع إلى القصص الكثيرة لزملاء الفصل. مارسوا أفعالاً غريبة مع بنت أكبر سنًا لا أعرفها، تعرفت على المرتكبين جيدًا جدا، وأدركت أنهم كانوا قادرين على فعل ذلك الشيء. على الرغم من أنهم كانوا في فصلي، كانوا أكبر سنا بعامين أو ثلاثة أعوام وأكبر حجما. كان سخيفًا أن أسأل عن أمزجتهم. قال الجميع إن هذه كانت حادثة كبيرة في المدرسة لأن أبا الضحية كان شخصية مهمة، لكن لم يستطع أحد أن يتحقق من ذلك. كان من المستحيل أن نعرف ما إذا كان الأطفال، الذين يصدرون ضوضاء مثل العصافير الصاخبة، قد اخترعوا تفاصيل الحادث.

كان عدد كبير من الأطفال يتحدثون عن شيء ما مختلف تماما. قالوا إن زعماء العصابات الصغار في النهاية تم القبض عليهم وهم يسرقون بضائع متنوعة وأدوات مكتبية من بعض أسواق وسط المدينة، كانوا يبيعونها بالإكراه في المدرسة. وقد شهدت العديد من

عمليات البيع القهرية بنفسي، لذلك كان يبدو أن هذه القصة أيضا مقنعة.

وكنت أعتقد أن كلا القضيتين لا تصلح لأن تكون السبب لأحداث اليوم. كان الأطفال لا يزالون يثرثرون مثل الطيور، وبعضهم يجرون بجسارة حول المكاتب. امتلأ الفصل بالرطوبة أثناء موسم المطر، كان الآن مليئا بالتراب كما لو كان موقع بناء.

عاد المدرسان بعد لحظة ولكن زعماء العصابات اختفوا تمامًا. وأعتقد أنهم لم يعودوا إلى ذلك الفصل أبدًا. لا أعرف أي شيء أكثر من ذلك، لأنني ودعت مدرسة اللاجئين التذكارية على التل العاري بعد ذلك بقليل.

أمرنا أحد المدرسين أن نقف على مكاتبنا مشمرين البنطلونات. كانت المكاتب تئن وتهتز من وزن أربعة أشخاص فوقها. لكن تم وضع بطون سيقاننا علي ارتفاع مناسب من أجل الضرب عليها بالسوط.

أشار المدرس إلى الحروف المكتوبة على السبورة وصاح: "ألا تستطيعون القراءة؟ ألا تعرفون ماذا تعني "الدراسة"؟ ألا تعرفون ماذا تعني الكلمة التالية؟ ما سبب وجودكم هنا أيها الأطفال؟ هل تعتقدون أن هذا معسكر ما لأيتام الحرب؟"

بدأ المدرس الآخر الضرب بالسوط. كان يمكن سماع الأصوات الفظة من الخلف ولكن لا أحد جرؤ على النظر. كنا مثل السمكة الحية المرتعشة التى وضعت على أدوات الجزارين الضخمة.

المدرس الأول الذي أدرك أن الكلمات غير مفيدة، بدأ يطرد الأطفال أيضا، وبدأ بالصف الأول. كان السوط حادا وشديدا وعادلا. الثعابين الحمراء والزرقاء كانت تزحف على أرجلنا الممدودة على المكاتب. كان الفصل مليئا بصوت السوط الذي كان يطرقع فى الهواء، الصوت المتفجر والكثيف عندما ينزل على الجلد وصرخات الأطفال ونزول المخاط من أنوفهم.

كان الفصل مملوءًا بحرارة غريبة. وشعرت بالحرارة والثقل والبلل. وقد بدا كما لو أن وقتًا طويلاً ومفزعًا قد مرّ قبل مقابلة المدرسين في منتصف الصف. ترددا لحظة أمام بطني ساق الطفل الأخير. ولم يطل الوقت ولكنه كان يشبه الخلود بالنسبة له. نحن جميعًا انتظرنا على أعصابنا لأن الاستثناء لم يكن محتملا.

أحد المدرسين رمى السوط والآخر أسقط سوطه أيضا ومسح يده، ومن المدهش أن ذلك الطفل كان الشخص الوحيد الذي صفح عنه.

في الوراء عند الترابيزة، بدت أنفاس المدرس متقطعة للحظة، وكان شعره أشعث والعرق يلمع على جبهته. كان متعبا جدا ومنهكا

فكان من الصعب أن تصدق أنه كان يلوح بالسوط مثل إمبراطور قبل لحظات فقط.

بدأ المدرس الكلام مركزًا نظره علينا ونحن جالسون على ركبنا أمام مكاتبنا، كان صوته لينا ومجهدا ولكن كلماته جرحت قلوبنا وأثرت فينا أكثر مما سبق. "إنه وقت مظلم ومحير. أثق أنكم سوف تكبرون وتصبحون أشخاصا جيدين رغم ذلك. أريد أن أحافظ عليكم في أمان ولا أفقد واحدًا منكم، حتى لو كان ذلك يعنى أنني سأضطر لأن أضربكم بالسوط كل يوم. لذلك فيما بعد، عندما تعودون بالنظر إلى هذه الأيام، لا تقولون أبدا إن ضربنا بالسوط أنقذكم. أريدكم أن تتذكروا أنه يوجد شخص هنا لم يتعرض للضرب بالسوط." وبعد أن قال كل هذا الكلام فى نفس واحد، أدار المدرس ظهره إلينا ومسح السبورة ببطء.

لا أعتقد أننا فهمنا تماما كلام المدرس ولكننا شعرنا بحقيقة هذا الكلام في قلوبنا. عدد قليل من الأطفال بكوا في صمت وبدأ المدرس الكتابة على السبورة الجديدة الآن. أتذكر أنه كان عن تجربة أجريت مع البازلاء.

وفي الطريق إلى المنزل من المدرسة، قابلت المحتالين بالصدفة. ظننت أنهم كانوا ينتظرونني. كانوا مكتئبين، وكان يبدو أنهم بائسين مثل الأطفال الذين يطاردون فى الشوارع التي كانوا

فيها. أحدهم أخبرني أنهم كانوا مضطرين لإحضار أولياء أمورهم إلى المدرسة اليوم التالي. لم يكن صوته واثقًا. أردت أن أسأل عن السبب ولكنني لم أجرؤ أن أقول شيئا. أصبحت مكتئبًا أنا أيضا كما لو كنت جزءا من مجموعتهم. لم يقل أحد أي شيء. وقفوا هناك مثل رجال العصابات.

" ألا تريدون الذهاب إلى السينما؟ " أخيرا، فتح أحدهم فمه.

" هل لديكم أية تذاكر ترويجية؟ "

"لقد شاهدنا الفيلم. لماذا تريد أن تشاهد شيئا قد رأيته بالأمس؟"

"حسنا، ماذا نفعل هنا؟ هل نقف حول بعضنا البعض فقط مثل المتشردين ؟"

لم يكن هناك مكان آخر نذهب إليه. قضينا بقية بعد الظهر في سينما الجنود. كنت الشخص الوحيد الذي داوم النظر إلى الشاشة. والآخرون كل واحد احتل مقعدا طويلا ونام بمجرد أن بدأ الفيلم.

حلّ المساء عندما غادرنا السينما. تحولت السماء إلى اللون الأزرق. كان كل شيء مثلما حدث فى المرة السابقة، ما عدا أنها لم تمطر. كانوا لا يزالون مكتئبين مثل شارع يتسلل فيه الظلام ببطء.

رفعوا أيديهم عندما افترقنا. كنت متأكدا أنهم لن يعودوا إلى المدرسة. كانت أيديهم دافئة، ولكن كان يبدو أن ظهورهم مثقلة.

ملأت عاطفة معينة قلبي إلى الحافة. أخيرا أدركت أنهم كانوا مثل المتوحشين وزعماء العصابات ولكنهم اعتبروني صديقهم. كان من المحتمل أن يكونوا الأطفال الأكثر وحدة وعزلة في العالم.

موظف ليوم واحد

جاء السيد چواك عندما بدأت التفكير فى التغيب عن المدرسة. صديقه الذي أدار المحل التجاري كان يبحث عن موظف جيد.

لم يكن الأب في المنزل. تحدث السيد چواك مع الأم لمدة طويلة، وفهمت الوضع على الفور. جاء السيد چواك إلى هنا وهو يفكر فيّ. قالت الأم إننى صغير جدًا، ولكنه قال إننى طفل ذكى وجميل. " ما الفائدة من المدرسة بالنسبة له في هذه الحالة؟ من الأفضل أن يتدرب فى الأسواق إذا كنت لا تستطيعين إتمام تعليمه. ويجب أن تنسي المدرسة لأن لدينا فرصة جيدة لأن ... "

مسحت الأم دموعها بذيل تنورتها، وفكرت أنه كان قرارًا متخذًا من قبل ونتيجة محتومة.

في اليوم التالي، غادرت مع السيد غواك، وشعرت بالحرية. كان المحل على حافة السوق في ضواحي المدينة لفتت نظري اللافتة المكتوبة: بـــ " متجر الكون " ولكن مساحته لم تكن تستحق اسمه. إنه كان صغيرا ولا يصلح لأن يكون متجرًا كبيرًا ولكن كان إلى حد ما أكبر مساحة من المحل العام.

استقبلنى الرجل والمرأة اللذان يملكان المتجر، كانا في منتصف الثلاثينيات بمظهر أنيق تفحصاننى بعناية، وكأنهما استصغرانني، وتساءلا عمّا إذا كنت صغيرا جدّا، لكن السيد چواك أثنى علىّ مثلما فعل مع الأم. وكان رد الزوجين ابتسامة عريضة.

أصبحت مستخدما فى المتجر ومُنحت مسكنًا وثلاث وجبات. كما وعدا بأن يمنحانى راتبًا شهريًا والملابس الضرورية وقالا لى إنه لا يمكن أن أتوقع أكثر من ذلك فى الفترة الحالية. قالا إنهما سوف يعوضانني بشكل ملائم في المستقبل. عندما أصبح بالغا، سوف يزوجانني ويجهزان محلاً صغيرًا من أجلي. كانت وعودا سوف تحقق في خلال عشر سنوات على الأقل في المستقبل.

"من الآن أنت فرد من هذه الأسرة ولذلك كن فردًا صالحًا". ربت السيد چواك على ظهري وغادر وكان يبدو راضيًا تمامًا. وقفت هناك شارد الذهن بمشاعر متناقضة نحو كل ما يحدث. وشعرت كما لو كنت أطفو في مكان فارغ.

ماذا يجب أن أفعله؟ تساءلت في حيرة، ونظرت حولي غير مرتاح، مثل شخص ريفي في مكتب الحكومة. عرضت كل أنواع المنتجات. كان لكل واحد استخدامه الخاص وشكله وسحره. أدركت كم كانت فطائرنا عديمة النفع ولا تثير الشهية. وتجولت حول المحل ناظرًا إلى عروض السلع. كل شيء رأيته استولى على قلبي ورفع

رغبتي في شرائها، وأردت كل شيء. من النمر الخشبي المحفور إلى المظلة السوداء، ومن الزر الذهبي الصغير إلى حمالة الصدر، أردتها كلها. سأكون أسعد شخص في العالم لو تمكنت من امتلاك كل السلع المعروضة. ربما سأكون قادرا على أن أحقق هذا العمل الفذ والمذهل في خلال عشر سنوات أو عشرين سنة. وقررت أن أطلب من صاحبى المتجر – عندما يحين الوقت – الحصول على كل السلع المعروضة بدلا من زواجي والحصول على محل.

كنت ما زلت متحيرا عندما أنهيت الجولة في المحل. ولم أعرف ما أفعله. لم يطلب مني صاحبا المحل أن أؤدي أي شيء حتى الآن. لكنهما كانا يراقبانني. شعرت كما لو كنت بانتظار شخص ما في مكان لا أنتمي إليه. بشكل قلق، شعرت بالعرق في راحتَي يديّ والقلق يملؤني، ورغبت في أن يسرع شخص ما ويظهر ويأخذني بعيدًا عن هذا المكان الشاذ.

في الغداء، تناولت المكرونة الصينية مع الفول الأسود. تناولتها لأول مرة. كان الفول لذيذا جدا ولذا جال فى خاطرى أن صاحبى المتجر قد طلباها خصيصًا لأجلي. كانت أسرتي تعاني من الجوع في الشهور القليلة الماضية. كنت جائعا ولم أتذكر الأم والأخت إلاّ بعد الانتهاء من السلطانية في عجلة ولسع أنفي.

قالت صاحبة المحل: "يجب أن يكون المحل نظيفًا طوال الوقت، يجب أن تداوم على مسح خزانة العرض والأرضية. بعد ذلك اذهب وقف أمام الباب وقم بتحية الزبائن بأدب وكن مرشدًا ودليلاً جيدًا لهم".

كان المحل نظيفا. لم أر من قبل مكانًا فى نظافته وترتيبه. كان كل شيء في مكانه لدرجة أننى اعتقدت أنه ليس حقيقيا. كما كان هناك قليل من الزبائن قرب وقت تناول الغداء. لم أؤدِ التحية لهم رغم أن هذه وظيفتى.

حذرنى صاحبا المتجر بعد أن غادروا، وشعرت بالخجل. كانت صاحبة المحل لطيفة وهادئة كما كان انطباعى عنها في البداية، لكن ذلك التحذير جعلني أدرك حالتي على نحو حاسم. ولم أعد مثلما كنت عليه. كنت طفلا تم بيعه من أجل وعود قليلة. مساعدة الزبائن والتنظيف باستمرار وتنفيذ المهمات المتنوعة، مهما كانت تافهة، هى واجباتي الوحيدة من الآن فصاعدًا.

عزمت بحزم أن أؤدي وظيفتي وانتظرت الزبائن. دخلت شابة المحل وبدون تأخير، لكن مع بذل الجهود القصوى، قلت " أهلا وسهلا. أي خدمة؟ "

كانت كلمات سهلة بعد أن خرجت من فمي. اقتربت من الزبون بثقة أكبر مما اعتقدت أنه من الممكن. وقفت هناك لا تنظر إلى المنتجات بل إلى وجهي. شعرت كما لو كنت رأيتها من قبل.

استجمعت شجاعتي وحركت قدمي وقمت بعمل إشارة غريبة وسألت مرة ثانية: " أي خدمة، يا مدام؟ "

مرت بجواري دون أن تقول كلمة. صاحت وهي تتجه نحو الخلف: "يا أختي، هل أنت موجودة هنا؟"

نظرت نحو الخلف متحيراً. كانت صاحبة المحل تنظر إلي بابتسامة على وجهها العطوف. وشعرت كما لو أنني فقدت توازن خطواتي وسقطت على الأرض. هذه هي طريقة معيشتي لمدة السنوات العشر أو العشرين القادمة. احمر وجهي واستمعت إلى حوارهما مركزًا نظري إلى الأرض.

" هل هو الصبي الجديد؟ "

" نعم إنه بدأ اليوم "

" أين حصلت عليه؟ يبدو أنه قروي "

" يبدو كذلك. ما رأيك فيه؟ ألا يبدو بريئًا وساذجًا ولكنه ذكي؟"

"حسنًا، من يعرف؟ قد يكون لديه أصابع ملتصقة مثل ذلك الصبي السابق ... "

كان الوقت قد تعدى العاشرة مساءً عندما تناولت العشاء بعد غلق أبواب المحل. كان على المائدة أرز أبيض وقطعة من السمك. لم آكل هذا النوع من الطعام منذ طقوس المواسم والشعائر القديمة في الريف العام الماضي، ولكنني لم أستطع حتى أن أكمل نصف وجبتي. وشعرت بارتياح وهدوء. لقد توصلت إلى قرار بعد التفكير الصعب طوال بعد الظهر. وكشفت عن نواياي بمجرد انتهاء العشاء. كان صاحبا المتجر يشعران بخيبة أمل. وحاولا جاهدين إثنائي عن قراري مشيرين إلى وضع أسرتي المالي وحتى مشاعر السيد غواك، لكنني كنت عاقدًا العزم بالطبع، كان زواجي والحصول على محلي الخاص أمورًا مهمة بالنسبة لي. وكان من المحزن أن أتنازل عن الفرصة من أجل الحصول على كل هذه السلع في خزانة العرض - النمر الخشبي المحفور والمظلة السوداء والأزرار الذهبية الصغيرة وحتى حمالة الصدر. ولكنني لم أغير رأيي. فكرت أنه من الواجب أن أعود إلى حجرتنا غير الصحية وكريهة الرائحة التي تشبه الصندوق الخشبي.

لم توبخني الأم عندما عدت إلى المنزل متأخرًا تلك الليلة. ولمست رأسي بدون كلمة، وظلت تتأمل وجهي. كانت الأخت سعيدة جدا برؤيتي. كانت تعود إلى مسك يدي بين الفترة والأخرى، كما لو كانت قد وجدت أخا مفقودا. وسألتني مرارًا وتكرارًا " إذًا، كيف كانت الأمور؟ هل تناولت طعام العشاء؟ أكلت حقًا؟ ". ظللت أومئ.

ونظرت حول حجرتنا الضئيلة لكن المريحة للغاية ورأيت سلطانية من الشراب الروحي المرشح المختلط مع السكرين في الحافة. واستطعت أن أشم رائحة المشروب المصنوع من حلوى الكاكا من خلال أنفاس أختي.

طريقة بكاء الأبكم

لم يعد الأب إلى المنزل خلال الأيام القليلة الماضية. كنا في غاية القلق، لكننا لم نعرف كيف نصل إلى مكان وجوده.

لم تتحرك الأم راقدة على أدفأ مكان من الأرضية. لم تتحرك ليلاً أو نهارًا. لكنها دائما كانت مريضة. كان المرض أقدم أصدقائها. لم تستطع أن تنكر أنها أصبحت أضعف فى الفترة الأخيرة، لو استيقظت في منتصف الليل، لسمعت تأوه الأم من الآلام أحيانا. كانت منخرطة في معركة مؤلمة مع صديقها القديم بينما كنا نائمين. لكن الأم لم تكن من النوع الذي يرقد على الفراش بسبب ذلك، واعتقدنا أن هذه كانت طريقتها في انتظار الأب.

أنا وأختي في بعض الأحيان كنا نخرج إلى الزقاق للبحث عن الأب. أحيانا كنا نخرج إلى الطريق العمومي بعد حظر التجوال لكن توقعاتنا كانت تتحطم دائما، وبدأنا نفكر فى السر وعلى مهل في أن الأب ربما لا يأتي، لأن الأمر سوف يكون مخيفا ومرعبا لقبول ذلك الحظ التعيس.

كان مطر الخريف البارد يتساقط طوال اليوم. في الصباح زار منزلنا السيد تشوي رئيس جمعية الجيران. وهو رجل قصير، كان معروفا بالاعتناء بمشاكل الجيران وشئونهم. وعلى نحو غير متوقع كان يحمل أخبارًا عن الأب الغائب.

لم يتبادل السيد تشوي والأم إلا كلمات قليلة. ولكن أدركت أنا وأختي أن الوضع خطير. أسرعت الأم إلى الخروج مع السيد تشوي، وكان يبدو وجهها شاحبًا بشكل مريع.

كان المساء قد اقترب عندما اكتشفنا ما حدث بالنسبة للأب، عادت الأم منهكة تماما. بكت لحظة. هذا لم يحدث من قبل. لم تكن الأم معتادة على إظهار عواطفها، ولم تكن الأفراح والأحزان اليومية فيها تعكر صفو هدوئها. الآن كانت الأم تبكي بصوت مسموع أمامنا. انضمت الأخت إلى حالة الأسى دون معرفة السبب. شعرت بألم ولسع أنفي لكنني تحكمت في دموعي. وأدرت ظهري إليها. وحملقت في الحوائط الملصق عليها صفحات الجرائد.

كان الأب في السجن. من الواضح أنه تم القبض عليه أثناء نقل شيء ما بدراجته. لم تعرف الأم ما إذا كانت بضائع مسروقة أو إمدادات عسكرية أو بعض أغراض السوق السوداء. مهما كان هذا الشيء، كان نقلها غير شرعي.

لذلك كان عليه أن يقضي فترة في السجن. أبى، يا أبي الأمين ...

لم نعرف من أين حصل الأب على هذا الشيء أو لماذا نقله. ولكننا كنا متأكدين من شيء واحد هو أن ذلك الشيء الذى يتم التباحث حوله لم يكن بالتأكيد ملكًا للأب. وكان هذا حقيقة لا تقبل أى شك. كلنا عرفنا أنه لم يملك حتى ورقة نقدية واحدة من عملة بوون واحد في جيبه خلال الشهور القليلة الماضية.

رغم أن الموقف لم يتغير، مرت لحظة الصدمة. عادت الأم إلى طبيعتها. ورقدت على أدفأ مكان على الأرضية وقفلت عينيها فى سلام. فيم كانت تفكر؟ لابد أنها زادت اقتناعًا بأن حظ الأب السئ لا يزال يلازمه ولم يتغير أبدًا. بدلا من البكاء الشديد، تكررت النهنهات. كان يبدو أن البكاء يمكن أن يغير حظنا السئ. واعتقدت أن تلك الليلة قد تكون مجرد حلم سئ. وأعتقد أنني تمكنت من رؤية الأب عائدًا إلى المنزل على دراجته القديمة. غادرت الحجرة بصمت. كل شيء كان هادئا خلفي.

كان بعض الأطفال يلعبون في زقاق الحي بضوضاء يسخرون من تاي-غيل. وقفت هناك ساكتا مثل الطفل الذي استيقظ من قيلولة، واستمعت إلى كورسهم.

طفل من سيول وقطعة البصل

لحم الحوت اللذيذ

لماذا أتيت

عابرًا كوبري نهر الهان

هو أتى هنا لكي يأكل

لحم الحوت وقطعة البصل ...

كرروا النشيد مرات عديدة لكن تاي-چيل كان صامتا جالسا القرفصاء وظهره عند الحائط الخشبي، الذي كان مضاءً بشكل خافت عن طريق ضوء بعد الظهر الباهت. حرك الأرضية الوحلة بسيخ. كان قد نال علقة ضرب من أمه حادة الطباع، واختفى الأطفال تدريجيًا.

مشيت من خلال الزقاق إلى الطريق الكبير ولكن لم يكن هناك مكان مناسب تتوجه قدماي إليه. توقفت ونظرت لأعلى وأسفل الشارع. كان الطريق القذر مغطى بطبقة كثيفة من التراب. طابور من العربات العسكرية الموضوع عليها شبكات التمويه مرت بي. وتذكرت المدرس في مدرسة اللاجئين عندما قال إن الوقت كان محيرا ومظلما. وحسبت المدة التى انقضت منذ أن انتقلت إلى هذه المدينة السخيفة.

المكان الذى اعتاد الأب أن يبيع فيه الشراب المسكر كان خاليا. كان عدد قليل من أشجار الصفصاف الحزينة الصغيرة موجودًا هناك، كانت أوراقها الذابلة مغطاة بطبقة من التراب. امرأة، معها فوطة ملفوفة على رأسها كانت جالسة أثناء تقليبى أنا وأختى الفطائر. كان من الواضح أن المرأة كانت وافدة جديدة من الريف. كانت البطاطا الحلوى الطازجة، فى حجم إصبع اليد، معروضة على صينيتها الخشبية.

عندما سمعت الضوضاء الغريبة، وتحول نظرى إلى ذلك الاتجاه. مجموعة من الأطفال كانوا يخرجون من المبنى الواقع على الطريق الكبير الذي كنا نسميه " مدرسة الدمية ". كانوا فى نفس عمرى ولكنهم لم يكونوا من مدينتنا مدينة الأكواخ التى تشبه اللعبة. وعرفت أنهم كانوا يعيشون فى مختلف أنحاء المدينة. وكانوا صمًا وبكمًا.

وقفت هناك مدة طويلة أتأملهم. انتشروا وهم يحركون أيديهم ويحدثون تلك الأصوات الغريبة. استدرت بعد مغادرة آخر طفل. تصورت مدينتي، التي كنت قد نسيتها تماما حتى ذلك الحين. وتذكرت مدرستي والأطفال والعرض التمثيلي الأخير الذى غنينا ومثلنا خلاله مسرحية الأطفال "حمار للبيع"، وتلقيت هتاف تشجيع بفضل تلاوتي لحكاية "السمكة الذهبية " وكان الجميع يروننى عمدة

القرية فى المستقبل. ولكنني الآن أصبحت يتيما بلا أب. اندفع البكاء أعلى حلقي، لكنني ما بكيت. كنت أبكم لم يتعلم البكاء.

الجزء الثاني

روح تتضوّر جوعًا

يعاسيب

جعلني ذلك الخريف الذى أمضيته بدون الأب أشعر كما لو كان كل أنحاء العالم فارغا وأجوف. لم تبدُ غرفتنا التى تشبه الصندوق كبيرة وفارغة جدا مثلما هى عليه الآن. قضت الأم الخريف في الفراش، مما جعلنى أشعر بحالة اطمئنان حقيقى، على الأقل سوف تملأ الفراغ الموجود فى المكان قليلا.

منذ بداية فصل الخريف، كان أطفال المنطقة عازمين على حصر اليعاسيب. ركزوا بجد على تلك المهمة لدرجة أنهم نسوا حتى السخرية من تاي-چيل وكان هذا من حسن حظه، ولكن كان يتوجب عليه أن يكون محفة بالنسبة ليعاسيب.

معظم الأيام، كان جانب النهر المجاور للجيران مكانًا للصيد بالنسبة لنا. النهر الذي تدفقت فيه المياه الرائقة، كان ملوثا بشدة. كان يبدو كأن مياه تصريف المجاري قد تدفقت إلى هذا النهر، تصريف مجاري كل الأسر المقيمة في مدينة الأكواخ. حملقت في الماء القذر وكريه الرائحة، مفكرًا في أن المدينة كانت متعفنة من جذورها. وكان من المؤكد والمدهش أن هذه مثل الكائنات الحية والدقيقة والملونة تسربت إلى مكان كهذا.

ما دام لا يحدث شيء خاص - كما كان الحال معي دائما - كنت أمضي طول اليوم بجوار النهر. كان تاي-چيل موهوبًا في صيد اليعاسيب، وكان رفيقًا جيدا لهذه المهمة. قمنا بصيد عدد كبير من اليعاسيب حينما تجولت معه، ولم تعد هناك أصابع أحملها بها. لو نظرت في أسراب اليعاسيب التي تنجرف برقة من خلال المكان، مع ضوء الشمس الخريفي الذي تسلل بينها مثل المياه النقية، تبدأ تدرك الأحزان الصغيرة التي كانت بسببها تدخل في قلوبنا. كان ذلك جزءا من سبب حبي لصيد اليعاسيب. حملت يعاسيب اصطدناها بينما جرى تاي-چيل مع شبكة الفراشة. واليعاسيب مضغوطًا بين كل أصبع وإصبع، سوف أحملق في الأسراب التي تحلق بشكل منخفض فوق النهر.

كان الخريف فصلا من السنة يبدو كل شيء فيه فارغًا وأجوف. السماء الزرقاء، دون ذرة من الغبار، كانت تبدو جوفاء، كما كان ضوء الشمس الصافية مثل الماء. على الأقل، حتى الحرب لم تترك ندبة واحدة عليها. لم يكن هناك شيء مخفي. كشفت كل الأشياء المنظورة داخلها، كما لو كانت شفافة. هل كان هناك كائن أكثر شفافية من اليعسوب؟ كنت أنظر متأثرًا إلى يعاسيب تحلق مثل ضوء الشمس في الخريف. لم يكن لديها شيء، لذلك كان وجودها أكثر نظافة وأكثر نظاما. ذكرتني بوجه أمي الضعيف.

دققت النظر لدراسة تفاصيل الأسرى، أجنحته المضغوطة بين أصابع يدي. كانت اليعاسيب الحمراء هي الأجمل. اعتقدت أن اللون الأحمر ربما يبقع أصابعي. اليعاسيب ذات اللون البني القاتم جلعتني أشعر بعدم الارتياح بسبب البصمات السوداء المثلثة الشكل. تغيرت حالتي النفسية عندما نظرت إلى البقع الثلاث الموجودة على طرف جسمها بني اللون. شعرت بنفس الشيء بالنسبة لليعاسيب الحمراء ذات الخطوط الثلاثة السوداء المحفورة على كل جانب من صدرها. الأنثى بنية اللون جعلتني مكتئبا وآسفا. رغم أنه كان من الصعب أن نجد يعاسيب القمح في تلك الأيام، فإن مشاعر سلبية مشابهة تدفقت إلى قلبي لو مسكت واحدة منها. لم أحب المسحوق الأبيض الذي يغطي جسمها. ارتجفت حينما اكتشفت أن مسحوقها الأبيض حك أطراف أصابعي. مقارنة مع هذه اليعاسيب فإن تلك ذات الأجنحة الضخمة والمنقطة باللون البني الغامق كانت الأجمل. أعجبتني الأشكال الغامقة المحفورة بوضوح عند حافة أجنحتها الشفافة.

ولكن السبب الأكبر لانبهاري باليعاسيب في أي مكان آخر. رغم أجنحتها الشفافة والهشة وأجسامها الرقيقة والدقيقة ذات الأرجل الستة الطويلة والرفيعة التي تشبه أوردة من خيط الحرير، غالبا كان لمعظمها رؤوس خشنة وأفواه صلبة كاملة لكي تأكل الجلد ولها زوج من العيون الكريهة وذقون تشبه الأزميل. تناقضها الغريب أسرني.

عاد تاي-غيل، متعبًا فيما يبدو. حملت شبكته يعسوبًا آخر. لتحديد من يحصل على أول قطفة، لعبنا لعبة الصخر - الورق - المقصات بأرجلنا. فاز هو ولصقت يدي من أجل الفحص. كانت حصيلة رصيد اليوم مرصوصة، واحدًا بعد واحد، بين أصابعي. اختار هو اليعاسيب التي في يدي اليسرى. اليعاسيب التي في يدي اليمنى كانت لي. مشينا إلى المنزل ببطء مع اليعاسيب التي استقرت بين أصابعنا مثل الخواتم الذهبية. كنت جائعا لدرجة أنه كان من الصعب أن أبقي رأسي مرفوعا.

كانت الأم لا تزال في الفراش. وأدخل هذا على نفسي الراحة لسبب ما. كنت جالسًا بجوارها، التفتت الأخت تنظر إلي حيث كان وجهها شاحبًا حتى في الضوء القاتم. *ننتظر وصول الأب عائدًا على دراجته المتهالكة. ربما نسمع صوت دراجته مرة ثانية هذه الليلة.*

قالت الأخت: "لقد اصطدت صيدًا وفيرًا ". أومأت وحررت اليعاسيب ببطء، واحدا وراء الآخر. حلقت حول المكان الصغير مترنحة في حجرتنا التى تشبه لعبة الطفل، وبوهن وشفافية كما لو كانت أرواحًا جائعة وضعيفة. ليس لدينا أرواح شفافة مثلها، حتى لو أكلنا العشب وقمنا بامتصاص قطرات الندى التي تنتشر على سيقان العشب.

لكنني كنت أعتقد أن الأم كانت لها روح شفافة لا تقارن حتى بأجنحة اليعاسيب لأنها لا تتناول سوى الماء.

الخبز والكلمات

في أيام الأحد، كنا نحن الأطفال نذهب إلى الكنيسة. غالبا كل أطفال المدينة تم إدراج أسمائهم في فصول مدرسة أطفال الأحد. لم يكن أحد يتغيب عن مدرسة الأحد حتى هؤلاء الذين كانوا يكرهون مدرسة اللاجئين، ولا الأطفال مثل تاي-چيل الذين لم يقتربوا منها. في أيام الأحد نكون جميعا طلابًا مجتهدين.

كانت الكنيسة تقع على تل قريب من منطقة سكننا. وكانت كنيسة بائسة معلّقة تتكون فقط من خيمتين عسكريتين كبيرتين وجرس صغير. طبقات كثيفة من غبار الفحم الأسود من فرن الانصهار كانت تغطى الطريق إلى الكنيسة وفناءها الصغير. سرعان ما تلطخت بطون أقدامنا مهما كنا نأخذ الحيطة.

كان يتم تجهيز واحدة من الخيمتين لمدرسة أطفال الأحد. كان على جدار لنا زخرفات جميلة لكن لا شيء نجا من ذلك الإعصار: كنا عصابة مزعجة من البلطجية، استولينا على المكان تماما. لم نر أي سبب يدعو إلى التردد. من أجل هذه اللحظة نسينا خبزنا اليومي وزجر والدينا المستمر وأسواطهما المخيفة. على الأقل هنا، اعتقدنا أنه كان لدينا مزايا غير محدودة وخاصة تحررنا من التعنيف

والتأنيب وكنا متأكدين أن أي فعل سوف يغفر له. لهذا السبب رسم تاي-چيل صورة مزعجة على الأرضية الخشبية بأظافره وقطع طفلان أجزاء من حبل الخيمة واستخدماها في لعبة القفز بالحبل، لا أحد ضُرب بالسوط أو طُرد من مدرسة الأحد بسبب هذا النوع من الأضرار والخسائر.

كان مدرسونا دائما قادرين على السيطرة على القطيع المشاغب من الأغنام ذات الأقدام والأيدي والقلوب السوداء. لم يكن من الصعب تهدئتنا. يقول أحد المدرسين مبتسمًا:" الآن، هيا جميعا نغني، كلكم تعرفون ترنيمة ١١٠، أيها *المنقذ أرشدنا مثل راعي الغنم*". غنوا بصوت عال لو تعرفونها أو بصوت هادئ إذا كنتم لا تعرفونها. واحد، اثنان، ثلاثة !" وبحيوية لوح بذراعه. وسرعان ما انخرطنا جميعًا في الأغنية.

"واستمروا بترنيمة ١٠٠. "*هذه هي دنيا الأب*، واحد، اثنان، ثلاثة !"

طرد الغناء كل أنواع النبضات السيئة من قلوبنا. أصبحنا مثل الأغنام الصغيرة والرقيقة بعد غناء ثلاث أو أربع ترنيمات على التوالي. كما استمعنا إلى قصص يسوع ابن الناصرة الذي علق على صليب ومعجزاته الكثيرة. وأصابنا الرعب جميعا عندما توجت رأسه

بمسامير كبيرة وكذلك كف يده. أعتقد أن الموجودين جميعًا شعروا بألمه. البعض صرخوا بينما راح الآخرون في إغماءات متواصلة.

ذات يوم، حصل حادث مذهل أمام عيوننا؛ بنت في سني تعرضت فجأة لحادث اغتصاب. كنت أعرفها لأنها تسكن في الزقاق المجاور. وكان يبدو أنها مرعوبة وكان وجهها شاحبًا كما لو أنه ليس فيه قطرة واحدة من الدم. دائما كان يبدو أنها في حالة هيستيرية. مما سمعته، لم تكن قد وصلت إلى سن خمس سنوات عندما بدأت الحرب. وكان والدها مسيحيا ورعا في مدينتهما بـــ "هوايريونج" في محافظة هوانجهي بكوريا الشمالية، والآن يدفع عربة كارو في مخزن شركة نقل. وقيل إن كيس القماش العريض تعلق على كتفه عندما عبر منطقة منزوعة السلاح، وأخرج منها البنت. فأصبحت جارتنا.

تجمعنا ونظرنا إلى المعجزة الصغيرة. رقدت على جنبها وغارت عينها وغطى اللعاب فمها، وانصب العرق من جبهتها الشاحبة، لم ننطق بكلمة واحدة ونحن واقفون على أقدامنا السوداء. ولكننا أدركنا أنها كانت مريضة وتعاني من تعب كبير، جسمها الصغير والضعيف كان يتصبب عرقًا، وشعرت أن قلوبنا الصغيرة تنفلق وتطقطق مثل قطع من خشب النار الجافة.

بالطبع قصوا علينا قصصًا مثيرة كثيرة أيضا، ومن بينها معجزات المسيح العديدة. كان الذهول لا يصيبنا عندما نسمع أنه

يشفي أو يعالج الأبرص، ويجعل المشلول يقف مرة ثانية، ومعجزاته مع الأخرس، ومشيه على الماء وإنقاذه طفلاً من أرواح شريرة وتحويله شجرة التين إلى حالة الذبول. راق لنا كل ذلك، لكن المعجزة المفضلة كانت ما حدث في حقل خال على الشاطئ الآخر من بحر الجليل. هتفنا جميعًا عندما أخبرنا المدرس بأن خمسة أرغفة من الخبز وسمكتين كانت كافية لإطعام خمسة آلاف شخص ثم ملأت البقايا اثنتى عشرة سلة. دق بعض الأطفال على الأرض بأقدامهم وصفقوا.

"ليس هذا كل شيء "قال مدرسنا مبتسما" يقال أيضا في إنچيل متى ٣٢ : ١٥ إلى ٣٨ : ١٥ : بعد ذلك نادى يسوع أتباعه وحوارييه وقال لهم قلبي مع الجماهير الأتباع لأنهم استمروا معي لمدة ثلاثة أيام. وليس معهم أي شيء ليأكلوه، ولن أرسلهم بعيدًا صائمين، منهكين في الطريق. ويقول له الحواريون: أين نحصل على ما يكفينا من الخبز في الصحراء لكي يشبع هذا العدد الكبير من الناس؟ وقال يسوع لهم، كم عدد الأرغفة لديكم؟ قالوا لديهم ٧ أرغفة وعدد قليل من السمك. وطلب من الحاضرين الجلوس على الأرض. وبعد ذلك أخذ الأرغفة السبعة والأسماك وشكر الله وقسَّمها وأعطاها إلى الحواريين الذين مرروها إلى الجمهور وأكلوا جميعًا وشبعوا وأخذوا اللحوم المتبقية وملأوا سبع سلات وكان عدد الذين أكلوا أربعة آلاف رجل بالإضافة إلى النساء والأطفال".

هللنا مرة ثانية وقام البعض بالصفير الحاد. بعد هذه القصة، أدركنا أننا كنا جوعى. كان معظمنا يعاني من المعدة الفارغة المزمنة. ألهتنا وليمة الكلمات الساحرة وأنستنا أهم موضوع بالنسبة لنا. واندفعنا للخارج رغم أن الصلاة لم تكن قد انتهت بعد.

تشكل صف طويل في الساحة الضيقة والمملوءة بغبار الفحم. كان يبدو على الجميع التعب والجوع. عيوننا، التي كانت مملوءة بالدهشة والخوف، تلألأت بالحذر والتفكير. وانتظرنا دورنا بفارغ الصبر، نتخيل اصطياد كيس من الدقيق أو شيكارة من الإسمنت من جيوبنا. وصل التخيل ذروته. جرى الأطفال الأسرع إلى التل وقد أخذوا نصيبهم. أما الذين ظلوا موجودين في الصف فقد بدأ صبرهم ينفد. ولذلك حلت الفوضى في الصف رغم تأكدنا من أن آخر طفل سيحصل على نصيبه ولن يعود خالي الوفاض أبداً. وكان من الصعب بالنسبة لي أن أنتظر دوري.

عندما استلمت نصيبي في نهاية الأمر، شعرت بفراغ أجوف أكثر من شعوري بالسعادة. والتفتت حولي وكنت منهكا ورأيت فم تاي-چيل المغطى بمسحوق اللبن الأبيض مثل المهرج. واستطعت أن أرى جيراننا خلفه واعتقدت أن معجزة مستحيلة سوف تحدث في مدينة الأكواخ، المتراصة بيوتها بقطع من الخشب الرفيع والعلب وقصاصات الألمونيوم. إنقاذ أسرتي والجيران يحتاج إلى معجزة بالفعل وليس أقل من ذلك.

كنت متعبًا وجائعًا ولكن بدأت أجري ببطء نحو حجرتنا حيث كانت الأم والأخت تنتظرانني. كان تاي-چيل يمشي ورائي وهو يجر قدميه ويأخذ مغرفة أخرى من مسحوق اللبن ويسكبها في فمه الأبيض مثل المهرج.

حتى الله لا يستطيع أن يعالج هذه المشاكل

لا أعرف من بدأ القيام بهذا ولكن بعضنا يذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية بنفس حماس الذهاب إلى الكنيسة البروتستانتية. كان الكاثوليكيون يمنحون وجبة من دقيق الذرة الصفراء بدلاً من مسحوق اللبن، بمقدار مغرفتين. واشتهيتها. يمكن أن يعيش عليها أفراد أسرتي الثلاثة لمدة يومين على الأقل.

كانت وجبة دقيق الذرة عملية أكثر أيضا. لم تكن معدتنا تستطيع أن تهضم اللبن المسحوق. ولم يهم سواء أكلناها نيئة أو مطبوخة. بدأت معدتنا تتحرك تحركات غريبة لدرجة أنه كان من الصعب أن أحرك رجليَّ بعد زيارة التواليت بضع مرات، لذا كان مسحوق اللبن لأفواهنا فقط. كانت وجبة دقيق الذرة، من الناحية الأخرى، هى الأساسية المشبعة. كانت هناك أساليب عديدة لطهي وجبة دقيق الذرة، لذلك لو طهيت باستخدام كثير من الماء أصبحت عصيدة. وإذا استخدمت كميات أقل من الماء وتُركت لتبرد، أصبحت حلوى. أحيانا كنا نصنع كعكًا هشًا ومنفوشًا من دقيق الذرة الصفراء،

وفي مرات أخرى كنا نطحنها جيدًا ونخلطها بالماء ونشربها. كانت خبزنا اليومي المثالي رغم طعمها الغريب.

كانت الكنيسة الكاثوليكية بعيدة عن وسط المدينة. وترددت فى القيام برحلة إلى هناك لأنني يجب أن أعبر شوارع عديدة مزدحمة للوصول إلى هناك. كنت لا أزال خائفا من شوارع المدينة. كما تذكرت بوضوح الطريق الذي أسرعت إليه في أول يوم دراسي لي. ولم أتخلص من القلق، رغم أنني ذهبت مع مجموعة من الأطفال. وكنت أعتقد أن المصايد سوف يتم إخفاؤها في كل أنحاء المدينة. وشعرت كما لو كنت فى مغامرة إلى العصر الوسيط الذي كانت تزأر الديناصورات فيه، وليس فى مدينة تعيش في فترة ما بعد الحرب.

لكن السبب الأكبر الذي جعلني مترددًا كان في قلبي. لم أكن أعتقد أن من الصواب أن أتعامل مع كلٍّ من كنيسة البروتستانت وكنيسة الكاثوليك. لم يكن ذلك بسبب الطقوس المختلفة أو حتى العقائد. لم أستطع أن أدرك نقاط الاختلاف بينهما وبأمانة لم أكن مهتما باكتشاف ذلك. كنت فقط مهتما بكمية بودرة اللبن القليلة أو المغرفتين من دقيق الذرة. بالطبع لا الكاثوليك ولا البروتستانت يرغمونك على اعتناق دينهم في مقابل الطعام. لابدّ أن يكون هناك بعض التعقل والحذر حتى لو ذهبنا إلى كنيستين مختلفتين للبروتستانت، كنت أعتقد أن من يذهب إلى كنيستين يتعرض للانتقاد.

لهذا السبب، كنت مرتبكا جدًا اليوم الأول لذهابى إلى الكنيسة الكاثوليكية. اعتقدت أن كل العيون ترى ما بداخلى من خلال سلوكي الخجول. زحف الصف الطويل للأمام ببطء. لم يكن الأطفال فقط هم الواقفين في الصف، ولكن أيضا كان هناك شابات وأمهات يحملن أطفالهن وجدات. وزاد هذا من ارتباكى. قررت أن أتوقف عن الذهاب إلى كنيسة البروتستانت وأنا أنتظر دورى برأسي المنحني حتى لو كان ذلك متأخرا وكنت حزينا لأننى سأضطر إلى عدم الحصول على بودرة اللبن ولكني كنت متأكدا أننى لن أشعر بالخجل وأنا أتسلم وجبة دقيق الذرة.

كان تاي-چيل واقفا أمامي ينظر حوله، وتعبير الملل يرتسم على وجهه. فجأة أشار " أهلا، انظر، تلك البنت قطعت كل هذا الطريق لتأتى إلى هنا هى أيضا".

نظرت إلى المكان الذي يشير إليه. البنت التي تم اغتصابها في مدرسة الأحد كانت واقفة هناك. ما زالت بشرتها شاحبة وكان يبدو أنها متعبة ومريضة.

" كان والدها شماسا في كنيسة بروتستانت " همس تاي-غيل. لم أرد. كان يبدو أنها لا تزن أكثر من قطعة من ورق التوت. وكان يبدو أنها سرعان ما سوف تندمج مع جموع البشر.

كان تاي-چيل مسرورا جدا بوجبة دقيق الذرة. كانت أول مرة أيضا بالنسبة له. لم تكن سعادتي أقل. وزن المغرفتين من وجبة دقيق الذرة التي تعلق على كتفي جعلني سعيدا بشكل لا يوصف. وعدونا بوجبة دقيق الذرة للأسبوع القادم أيضا. اعتقدت أنني سأحصل على هذه الوجبة الأسبوع الذي يليه أيضًا. وجريت وراء الأطفال بإثارة، مع شعور مفاجئ بالثراء. لم أكن واعيًا من قبل مثلما أنا عليه الآن، حتى عندما عبرنا شارعا مزدحما. كان المارة ينظرون بفضول إلينا، ولكن لم يكن هناك ما يدعو للارتباك والحيرة. ويجب أن أحضر الأخت الأسبوع القادم. البنت التي تعرضت للاغتصاب تبعتنا بهدوء مثل ظلنا. بالنسبة لمصلحتها، من أجلها تصورت أن الآلهة متشابهة وأنا غير واثق.

لكن استحساني للكنيسة الكاثوليكية كان سريعًا جداً. بالفعل، وصلت إلى هناك متأخرا جدا، رغم أن الحكاية مجرد مغرفتين من وجبة دقيق الذرة أسبوعياً، فقد جاء عدد كبير من الناس المحتاجين. في رحلتي الثالثة تغير الوضع. ازدحم فناء الكنيسة بأوان كثيرة وكبيرة مثل أسطوانات الزيت لزيادة إنتاج الفطير والحلوى من الذرة الصفراء والمخلوطة بالماء. لابد أن هذا التحول كان ملجأهم الأخير.

من ذلك اليوم فصاعدا، كنا نتسلم كمية من الفطير الحلو بمقدار مغرفتين من دقيق الذرة. بدلاً من الأكياس أو شكائر الإسمنت، أحضر الناس الغلايات والقدور والجرادل. ولن أنسى أبدا

نظرات الناس وابتساماتهم الغريبة المصوبة نحونا عندما عبرت مجموعتنا الشارع المزدحم، وكل واحد يحمل فطيرته. *كان عدم إحضار أختى فكرة جيدة.* فى طريق عودتى إلى المنزل مع سرب من الأطفال، بقيت أفكر في أفكار غير مفيدة.

"حتى الله لا يستطيع أن يعالج هذه المشاكل ويتحمل نفقاتها!"، ضحك واحد من الأطفال الكبار، "إنني متأكد أن ما فى جيوبه سرعان ما سوف ينفد".

انفجر الجميع فى الضحك. وتذكرت المعجزات الموجودة فى إنجيل متى. رغم أنه لم تحدث أية معجزات على الإطلاق.

المتنزه

كان المتنزه يبعد عن منزلنا بمسافة تقطعها فى حوالي عشر دقائق ماشيا على الأقدام. كان المتنزه الوحيد في مدينتنا. وفيه كان يوجد مجال لرمي السهام وسرادقان قديمان وجزء مهدّم من سور قديم من الطين ولكن ما زال قائما. كما كان يوجد فيه بركة صغيرة وحجر محفور عليه قصيدة قديمة لشاعر محلىّ.

لكن المنطقة كانت معزولة بدرجة لا تتناسب مع ما يفترض فى المتنزهات العامة. كانت الأشجار صغيرة والبركة ماؤها نتن وبها حشائش تبدو ميتة رغم قدرتها القوية على إعادة التوالد والتكاثر، والتلال العارية التعيسة كشفت علامات انهيارات سابقة. في أثناء

الحرب، كان هذا المتنزه يأوي عددًا كبيرًا من اللاجئين يفوق عددهم عدد كل سكان المدينة. كانت آثار جراح الماضى بادية على كل سلم حجري، وعلى كل شجرة.

أعتقد أنها كانت نهايات الخريف، لأن الشمس كانت تلمع خلال كل الأشياء التى بدت كما لو كانت مكونة من الماء. وفي هذا الوقت، بدأت جموع من اليعاسيب تختفى وكنت غالبًا ما أذهب إلى هذا المتنزه عندما أشعر بالملل من الصيد، إنه كان مكانا مثاليًا لقضاء أوقات الفراغ. الناس الذين لم يكن لديهم عمل وفى جيوبهم قليل من المال انتشروا هنا وهناك في المتنزه مثل المناديل المستعملة. لكى أتغلب على شعورى بالجوع والملل أمضيت الوقت في مشاهدة المقامرين بلعبة الشطرنج ورماة السهام، والناس الذين يلعبون الشطرنج المبسط والمصارعين في حلبة المصارعة.

كانت بائعة متجولة تجلس دائمًا على أول درجة فى سلم المتنزة، ولا أعتقد أنها غيرت ذلك المكان أبدًا. دائما كانت تبدو على حالة واحدة، تحمل فوطة ملفوفة بدقة حول الفطيرة التقليدية خلف رأسها. لا شيء يتغير، لا الصحف القديمة على الأرضية، ولا الكومة الصغيرة من التفاح المشقوقة فوقها، أو عيونها اللامبالية التى كانت تنتظر الزبائن. كانت جالسة دائما أمام أوانيها هكذا، لكن لم يكن هذا هو سبب عدم ملاحظتى لها. كان البائعون الباقون هناك

يعرضون بضائعهم. أعتقد أن عاداتها الغريبة هى التي أرغمتني أن أنظر إليها وأراقبها.

عندما تتفحص كل منتجاتها تجدها من درجة دنيا. كان التفاح صغيرًا ومتعفنًا وكان ينبغى على المزارعين فى الريف أن يضعوه في حوض الخنزير. وحتى رغم أننا كنا نعانى من شح فى الأغذية وكانت البضاعة لديها رخيصة وقذرة، اعتقدت أنه من المعيب أن تحاول بيع ذلك النوع من الفواكه.

لكنها كانت منزعجة وجلست هناك ببراءة بضع ساعات بلا تعبير مثل شخص غبى، وأكوام التفاح غير الصالح للأكل أمامها. لأنه لم يكن الموسم المناسب تجمعت أسراب الذباب على بضاعتها. إنها وجبة رائعة للذباب. ولم تطرد الذباب الذى التصق بالتفاح فى إصرار. تركته فى حاله، كما لو كانت قد أعدّت هذا العرض له. كان عرضا سخيًا للغاية.

بعد ذلك كانوا الوحيدين المهتمين بسلعها، لم أر أي شخص اشترى حتى تفاحة واحدة منها. وحتى تلك القلة النادرة من الذين نظروا إليها تحولوا بسرعة في اشمئزاز. لم تظهر عليها علامات الإحباط. بل ابتسمت لحظة مثل شخص غبي.

بدأت عاداتها الغريبة بعد ذلك. التقطت تفاحة بطريقة توحى بأنها قد نسيت أن هناك تفاحًا موجودًا. بأصبع طويل وجاف يشبه

العود، قلبت الأجزاء التي سقط عليها الذباب في وليمة وقرّبت كسرة إلى فمها. وتظاهرت بأنها لقيمات لذيذة وأكلت ببطء مثل الأطفال الرضع. بعد أن انتهت من التنقيب في الأجزاء المتعفنة فقط، بدأت مع تفاحة أخرى متعفنة.

لم أعرف لماذا ذكرتني بأمي رغم لمعان ضوء الشمس على المتنزه البائس، فإن الضوء كان واضحا ويشبه المعدة الخالية. رغم أنه كان نفس ضوء الشمس في فصل الخريف، فالضوء الذي شمل جيراني كان جافا ورماديا. عند العودة إلى المنزل بعد الفشل في قضاء اليوم بأكمله في المتنزه، رأيت ظلالاً من الضوء المتدلي هنا وهناك في الأحياء السكنية الضيقة والموحلة، تخيلت أن المرأة وضعت الصينية الكبيرة على رأسها وغادرت المتنزه. تصورت أن معدتها كانت مملوءة بقطع من التفاح المتعفن. على الأقل لم تعد جائعة.

وهكذا انتهى اليوم الذي عانيت من نزعات الجوع طواله، انتهى أخيرا.

تفاحة متعفنة واحدة

لم يكن كل جيراننا فقراء. السيد چواك تاجر الخردة والسيد هان الذي كان يدير أحد المحلات المحتشدة في سوق يانكي والسيد تشوي، رئيس جمعية الجيران الذى كانت زوجته تعمل فى تغيير العملة وتصريف الدولارات، كانوا معروفين بأنهم أغنياء وميسورو الحال. لست متأكدًا مما إذا كانوا يخفون فعلا كمبيالات وأوراقًا نقدية جديدة في حجراتهم التي تشبه الصندوق. لكن الجميع كانوا يعتقدون ذلك. حفنة دولارات إضافة إلى ما أستطيع أن أجمع، يمكن أن تجعلني في عداد الأثرياء. كان السيد كيم يعاني من آثار إشعاع القنبلة الذرية.

كان السيد كيم ضحية للحرب الكبرى. رجل طويل ذو عيون كبيرة، من الواضح أنه عبر حدود دولته وثلاث أو أربع دول أخرى بقفزات تشبه قفز سياج قصبة الدخن الجافة. كان في هيروشيما (أو ربما في ناجازاكي) أثناء الأيام الأخيرة للعنف والانفجارات الفظيعة كان السادس من أغسطس (أو ربما كان التاسع من أغسطس) من ذلك العام الذى يشبه الكابوس. كان يوما صافيا. كانت طائرة عالية في السماء، تبرق أجنحتها الفضية. وكانت من طراز B-29. الدخان الذي تنفثه المؤخرة قسم السماء بدقة إلى نصفين. وهكذا رسمت صورة جميلة وواضحة كان من الصعب الاعتقاد بأنها كانت أوقات الحرب. قال السيد كيم إنه كان يفكر فى موطن رأسه متذكرًا اللحظة

التى أحزنته عندما فقد طائرته الورقية. في تلك اللحظة، ضوء هائل من الوميض والضوضاء، الذي لم يمرّ به أحد من قبل، مزق هذه الصورة.

عندما فتح عينيه – كرر هذا الجزء مرات عديدة واصطدم بتحذير من أنه لن يستطيع أن يحتمله. لسوء الحظ، تحقق تنبؤه. كان طريح الفراش وحالته التي أثقلت على قلبه مثل مرض السرطان. لو نظرت إلى حجرة السيد كيم، تستطيع أن تراه راقدا هناك كما لو كان نائما يتحسس الوسائد. قال الناس إنه أعاد رؤية مشهد الانفجار الذرى أثناء نومه. وكنا نسمع صرخاته من وقت لآخر. بالنسبة له، الحرب العظمى لم تنته. سوف يأتى يوم تطفو الأجنحة الفضية للطائرة B- 29 على سقف حجرته التي تشبه الصندوق وبعد ذلك تنفجر القنبلة الذرية رقم ألف على عالمه الصغير.

"هذا عالم ملعون! من أكثر قسوة أنت أو أنا؟"

كان السيد كيم دائما يتفوه بهذه الكلمات عندما يمضى إعصار كوابيسه. أحيانا كان يغنى أغنية أجنبية بصوت متعب وكنت كلما سمعتها أشعر بالموت البارد الذي ينتشر ببطء من أطراف أصابعه إلى قلبه.

" سارابا هيروشيمايو ماداجورو ماديوا "

لا أمريكا الفائزة ولا اليابان المهزومة ساندت جريح الحرب المصاب السيد كيم. وطبعًا ينطبق الأمر على بلدته الفقيرة. كان للسيد كيم أخ مخلص، الذي أصبح رجل أعمال ناجحًا في اليابان بعد الانتقال إلى هناك وهو فارغ اليدين. كان هو الوحيد الذي يساند السيد كيم، الذي دمرته الحرب المجنونة. لهذا السبب كان يعتقد أن السيد كيم كان واحدا من الأغنياء في منطقتنا. وحسده جيرانه قائلين إن أموالاً أكثر مما يستطيع الواحد إنفاقها تأتى عبر المحيط، وإنه يستطيع أن يعيش مرتاحا. وكانوا يحسدون أخاه بقوة وكانوا غيورين من حقيقة أنه أصيب بقنبلة ذرية.

" أود أن أصاب بقنبلة أكبر، لو كنت قادرًا على أن أرقد " كان جيراني غالبا ما يقولون ذلك مع شكوى من أن صعوبات المعيشة لم تعد أقل أهمية من معالجة مرض القنبلة الذرية. افترضت أنني وافقت على هذه العاطفة قليلا. حتى رغم أن السيد كيم اعتمد على زوجته في كل شيء ما عدا تذوق الطعام وهضمه. كان دائمًا لديه وجبة سريعة من الحلوى الجامدة وبسكويت سينبي، وزجاجة من نبيذ الأرز المكرر. كان أطفاله دائما يأكلون شيئا ما أيضا، ويزيدون من تعاستي التى تصبح أكثر حدّةً.

بالإشارة إلى أطفال السيد كيم، كان الجيران غالبًا ما يمزحون قائلين إن السيد كيم لا يزال يقوم بأداء واجباته على نحو ملائم. كان ذلك يبدو لغزا لو وضعت أعمار أطفاله في الحسبان. اعتقد البعض

أن لذلك علاقة بشخصية السيدة كيم، هي نشيطة مثل أي رجل وقد يدخل آخرون فى مناقشات عقيمة حول الإمكانيات العلمية. وكان السيد چواك والسيد تشوي يزوران السيد كيم ليشاركاه الشراب والحوار أحيانا. وعندما كنت أستمع إلى حديثهم من الخارج، كنت أنخدع وأظن أن السيد كيم كان يجلس ويتحرك مثل الشخص العادي. ذات يوم، تنصتت على حديثهم:

" كن أمينا. من يبذر الشوفان في الليل؟ " سأل السيد غواك.

" إنه شيء مذهل. هل لديك أسلوب سري؟ "

قالت السيدة كيم بضحكة قصيرة : " لماذا؟ هل تعتقد أنه يستخدم عاملا يوميا ؟"

انفجرت عاصفة من الضحك. ضحكت أسرة كيم بصوت عال ومن القلب، وكان ضحك السيد كيم مؤثرا بشكل خاص. إنه سمح لي بأن ألتقط لمحات من أيامه عندما كان شابًا حرًا.

"يبدو الأمر كما لو أنك تريد أن تكون جزءا من القوى العاملة" قال السيد كيم ضاحكا.

السيد تشوي الذي كان لا يزال يضحك حتى ذلك الوقت، أضاف: "أعتقد أن دخل السيد چواك ليس كبيرًا هذه الأيام".

كان يوجد انفجار كبير آخر من السرور والفرح .

على الأقل، لم يكن السيد كيم وحيدا. حتى رغم أنه كان عديم الحركة وكان عالمه محدودا بالحجرة التي تشبه صندوقا مربعا مستطيلا، كشفت حياة السيد كيم شخصيته الكريمة والرحيمة. ومقارنة بعالمه، كانت دنيا الأم تعيسة ووحيدة. جلست بالقرب منها وكان لديها فقط إناء فارغ من الماء قريبًا منها. كان تنفسها مجهدا، ورغم أنها كانت تمرض من وقت لآخر، لم ترقد على الفراش من قبل. ورقدت في الفراش طوال فترة فصل الخريف الوحيد كما لو أن مغادرة الفراش تعنى تخليها عن الأب.

أتت السيدة كيم إلى حجرتنا مع رجل يرتدي زيًا أبيض.

" الآن، قومي واجلسي" قالت وهى تساعد الأم على قيامها. وأضافت بغير اندهاش: " إنني لا يمكن أن أحتمل النظر إلى المرضى في الفراش. "

الرجل الذي يرتدي البالطو الأبيض كان طبيبا. يأتى لكي يفحص السيد كيم مرة واحدة كل شهر. وافترضت أنه جاء بناء على طلب السيدة كيم بعد فحص مريضه.

"هيا نفحصك لكي نرى ما العلّة. لا يمكن أن ترقدي في الفراش هكذا كل يوم" قالت السيدة كيم كما لو أنها تحاول إقناع طفلة عنيدة، والطبيب الذي يرتدي البالطو الأبيض نظر في الحجرة قبل فتح حقيبته. كان وجهه أبيض وناعما، مثل وجه امرأة. قررت أن كل

الأطباء مثله، لديهم نفس البشرة. اعتقدت أنني أقدر أن أخمن ما كان سيفعله من أجل كسب رزقه إذا لم يرتد البالطو الأبيض أو لم يحمل الحقيبة السوداء.

كانت الأم خجولة جدًا وذلك كان حتميا. اعتقدت أن ذلك أول وآخر فحص طبى في حياتها، أذهلنا التشخيص. كانت السيدة كيم مندهشة جدا لدرجة أنها بدأت الضحك. لكن الأم كانت هادئة جدا. كان يبدو أنها لم تكن مندهشة حتى رغم الخجل القليل الذى اعتراها.

"المشكلة هي أن جسم الأم ضعيف جدًا " قال الطبيب، " إنه من الصعب توقع ولادة طبيعية في هذه الحالة. لكن فات الأوان على أى حال. صحتك هي المشكلة وسوف تزداد الخطورة مع نمو الجنين، ولكن كوني شجاعة. فإنك تحتاجين أن تكوني أكثر صحة، على كل حال"

كان يبدو أن حجرتنا خالية عندما غادرت السيدة كيم والطبيب. كانت الأم راقدة وجلسنا أنا وأختي قربها بصمت ولم نشعل النور حتى عندما خيم الظلام ببطء على الحجرة. نظرت الأم إلى الحائط، وحدقت الأخت فى الأرضية. لم أستطع تخمين ما كانت تفكر فيه. حتى في الظلام، كان يمكن أن أستشعر ابتسامة خفيفة ترفرف عبر شفاه أختي.

اختلطت أفكاري. ولم يعتدل تفكيري ولو للحظة واحدة. وفكرت في السيد كيم وقصة القنبلة الذرية والسيدة كيم وأطفالهما ووالدي الغائب وحمل الأم. وشعرت أن رأسي سوف ينفجر، لكنني لم أستطع أن أظهر شعورا دقيقا بعد. وفكرت مرة ثانية في الطبيب وكلماته وبشرته البيضاء التي تشبه بشرة المرأة.

جاءت السيدة كيم مرة ثانية وطلبت عصيدة من الفول الأسود لأطفالها. أعطتنا إناء من الفول أيضا وجلست الأم وأجبرت نفسها أن تأكل لقيمات قليلة. وكنت أشارك فى تناول المكرونة المتبقية مع الأخت بنهم، تذكرت المرأة التي كانت في المتنزه ومعها التفاح المتعفن. لا أعرف لماذا فكرت فيها في تلك اللحظة. انسد حلقى بالطعام الذي ملأت به فمي.

لم تتناول الأم سوى الماء ولكن شيئا ما مثل التفاح المتعفن كان ينمو في معدتها. وشعرت بحالة قيء عنيف.

لحمة التوفو

كانت أكبر من أختي بسنتين. لا أتذكر إن كان اسمها جونج-جا أو يونج-جا. أتذكر فقط بنيتها البدنية الكبيرة وجلدها المتوهج. إذا لم تأخذ سنها أو وزنها الكبير في الاعتبار، كان جسمها يبدو مثل طفل ممتلئ. قال الناس إنه ظل كما هو لأنها أكلت كثيرًا من التوفو. كان التوفو أكثر طعام مغذٍ عرفناه بخلاف البيض أو لحم الحوت.

لا أدرى دقة هذا الموضوع لكن الجميع كانوا يعتقدون أنه حتى الرئيس سينجمان ري أظهر اهتمامه وقلقه بشأن سوء تغذية المواطنين بعد الحرب وشجع بنشاط توزيع التوفو.

وكان الناس يطلقون على صديقة الأخت اسم لحمة التوفو. كانت محظوظة لأن والدها كان يدير المصنع الوحيد للتوفو في المنطقة. رغم الإنتاج المنزلي الصغير، كانت هناك دائمًا كميات تكفي استهلاك ابنتهم الوحيدة. أثناء صقيع الشتاء والضباب المتصاعد مثل البخار في منزلها، كان يمكن أن ترى والدها وإخوتها الأربعة الذين يطحنون بنشاط وهمة في طاحونة والتوفو المكتمل يتم غمره في خزان كبير من المياه. مات لها أخ واحد في الحرب والآخر فقد ساقه. لكنها ما زالت الوحيدة المحظوظة في مدينة الأكواخ هذه. وعرفت أنه من الصينيات الخشبية المملوءة بالتوفو والمرصوصة حولها. كان يتضح سبب محافظتها على صحتها العامة وبشرتها البيضاء والناعمة مثل التوفو.

كانت الفتاة التى أطلقوا عليها اسم لحمة التوفو صديقة أختي. أو ربما كانت أختي صديقة لحمة التوفو. ولم أتأكد من منح الآخر الصداقة أولا ولكنها كانت الصديقة الوحيدة لأختي. لحمة التوفو من الناحية الأخرى، كان لها أصدقاء كثيرون غير أختي ومما فهمته كان لها أصدقاء أولاد. كانت قادرة على أن تتعرف على أصدقاء بحرية

بفضل سنها وصحتها والأهم تربيتها السليمة. لو أخذت هذا في الحسبان، تكون أختي فقط واحدة من أصدقاء لحمة التوفو الكثيريين.

ذات يوم، لم تعد أختي إلى المنزل حتى وقت متأخر. وهذا لم يحدث أبدا من قبل. لم تقل أمي أي شيء. رقدت هناك مثل الكيس المتكوم. انتظار الأخت خيم بالوحدة على قلبى. كان مهمة موحشة ومملة، ولكنني قررت أن أكون صبورا، وأستمر فى انتظارها إذا كانت قد خرجت مع لحمة التوفو.

كان الأمر يستحق ذلك. عندما عادت إلى المنزل كان يبدو أننا نفكر فى أسباب تبرر تأخرها بحذر غير مألوف. ومن الواضح أن الأخت كانت في منزل لحمة التوفو طوال هذا الوقت. ما التفاصيل الأخرى التي سألت عنها الأم؟ كانت لحمة التوفو فى الطبق وكمية بذور الصويا تثبت براعتها ولم أفهم ما جرى، كنت أبكي مثل الطفل الصغير أمام مائدة مليئة بالطعام. جلست الأم بهدوء وقالت شيئا واحدا أوقف هجومى على الطعام: " ارمه في الخارج "

لم أستطع النوم وكنت قد عرفت أخيرًا أن المرء لا يستطيع النوم ما دامت المعدة خالية. ونظرت حولي واستطعت رؤية عيون أختي المفتوحة في الظلام. كانت مستغرقة في التفكير.

همست في أذنها "هل كنت في منزلهم طوال هذا الوقت"؟

أومأت في الظلام.

" هل تعتقدين أن لحمة التوفو صديقة جديدة؟ ".

لم تقل أي شيء بعد توقف طويل. سألت: "هل ستذهبين إلى هناك غدا" ؟

" لا " قالت مؤكدة " من المحتمل ألا تسمح لي أمي ".

ما زلت غير قادر على النوم وجلسنا ينظر بعضنا إلى بعض لمدة طويلة، كان بإمكاننا سماع شخير جيراننا المتعبين، كانوا مزعجين وعلت الأصوات لدرجة أن الحوائط اهتزت.

في الصباح التالي جاءت لحمة التوفو إلى منزلنا مرافقة امرأة. وعلى الفور عرفت أنها أمها. كانت بدينة قليلا ولكن بشرتها كانت ناعمة وبيضاء تشبه بشرة ابنتها. *إنه بفضل كل ذلك التوفو*، فكرت في ذلك عندما دخلنا حجرتنا وجلسنا. كان يبدو أن الحجرة تكاد تنفجر فيها اللحامات. كانت المرة الأولى التي نلتقي بها. جلست الأم أخيرا، كان تعبيرها جامدا وفاترا. كنت قلقا من أنها قد تطرد ضيوفنا. لابد أن الأخت كانت تفكر في الشيء نفسه. عيونها التي تنظر إلى المرأتين كانت متعصبة.

الحمد لله، انتهي اللقاء بين المرأتين بسرعة. كانت أم لحمة التوفو ذات شهامة كما ظهر ولم يكن لدى الأم سبب لأن تخفي مشاعرها الحقيقية، لذلك كانت محادثتهما موجزة. سألت أم لحمة التوفو عن رأى أمي في إرسال الأخت لكي تعيش معهم، وأجابت

الأم بأنها حتى لا تريد التفكير في ذلك. بعد ذلك عندما قالت أم لحمة التوفو إنها لم تخطط أن تجردها من ابنتها الثمينة، وإن عليها أن تفكر في ذلك. قالت الأم إنها تفضل أكل القاذورات على أن تتأمل في صفقة من ذلك النوع. فالصفقة لم تحدث. كانت الأشواك تنمو على كلماتهما وتشكل الجليد الرقيق.

"إنني لم أقل هذا لمجرد أنني أفضل حالا. بل أذكره لأنها لطيفة ورائعة وأريدها لأحد أبنائي. أليست عقول كل أمهات الأبناء متشابهة؟" قالت أم لحمة التوفو بفطنة كما لو كانت توبخ أمي التي كانت تبدو مثل شخص غبي. وأضافت: "حتى لو أنهم أطفالك، يجب أن تطعميهم وتوفري لهم الملابس أولا. فكري في هذا بعناية. إنه من الأحسن لو ترسليها إلينا كزوجة ابن في المستقبل بدلا من أن تتضور جوعًا هنا".

لم تقل الأم أي شيء ردًا على الكلمات التي كانت حتى بالنسبة لقلبي الشاب، تمثل نوعًا من الإهانة. خلت الأخت فقط هي التي أصيبت بالخجل كانت لحمة التوفو تبتسم طوال الوقت، غير مبالية باتجاه المحادثة والاتجاه الذي تجري فيه. عندما رأيت لحمة التوفو مسترخية ومرتاحة تساءلت عما إذا كانت أسرتهم قد توصلت إلى اتفاق مع أختي.

بعد أن غادرتا، فكرت في إخوة لحمة التوفو الأربعة، كان التفكير في آن واحد منهم يمكن أن يكون زوج شقيقتي المستقبلي أمرًا في غاية الغرابة، ولكن كان من الواضح أنني لم يكن لدي رأي محدد في هذه المسألة. كنت فقط مستغرقًا في أملي ألا يكون الشخص الذي فقد ساقه.

الخال

مبكرا ذات صباح، بدأت الأم تتحرك بشكل غير متوقع. حتى رغم أن هذه كانت رغبتنا الكبيرة، انتابني شعور بالقلق وبأن هناك خطأ ما.

أولا نظفت الأم حجرتنا وبعد ذلك المدخل الخارجي وغسلت شعرها وسرحته على شكل كعكة. تحركاتها لم تكن مثل حركات شخص ما قام بعد مرض طويل، كانت يقظة وهادئة.

ترددت أمام صندوق قديم الموضة ولامع في ركن الحجرة. كانت توجد فيه كومة أنيقة من الملابس. لم يكن يتدلى من الكومة رابطة صدر أو أغطية الذراعين انعكاسًا لشخصيتها المنظمة.

كان ذلك الوقت من العام الذي يبدو فيه ضوء الشمس ضعيفا. اعتقدت أن الأم كانت تتفحص ملابسنا الشتوية. أخرجت بعض الملابس من أعماق الكومة. بعد التمعن فيها للحظة طويلة، اختارت واحدة وارتدتها في النهاية. كانت البلوزة الحرير الناعمة والتنورة

التي كانت ترتديها عندما تذهب إلى سوق القرية، التي تقام كل خمسة أيام، قبل أن ننتقل إلى هذه المدينة. شعرت بأسف مبهم عندما وقفت وهي ترتدي الملابس ذات اللون الأزرق الباهت. وأدركت مدى خطورة مرضها، كان أكثر تقدما مما توقعنا.

"اتبعني" قالت الأم لي بصوت منخفض. لمعت شمس الصباح في الحي الضيق المصفوف بالأكواخ الخشبية.

وصلنا إلى منزل الخال وقت الغداء، بعد النزول من الأتوبيس مشينا ٤ كيلومترات. استغرقت المسافة ساعتين. كان الحصاد في الطريق السفلي في الحقول. منحتني المشاهد المتنوعة الشعور بالوفرة. كانت الأم متعبة وكانت تتوقف أحيانًا لكي تستريح. وفي كل مرة كانت تلقي نظرة عدم مبالاة على حقول الخريف. لم أكن أدري ما كانت تفكر فيه.

كان الخال واحدًا من إخوة الأم ولم أعرف شيئا عنه غير أنه فقد ذراعه في الحرب. لو لم توجد حرب أو لم يفقد ذراعه فيها، لما عرفت أنه خالي.

لم يكن انطباعي الأول عنه جيدا. كانت مشاعره فاترة ومخيفة، مثل تلك التي قد تشعر بها لو واجهت بندقية صدئة ما زالت تعمل مع أجزاء كثيرة مكسورة. كان رجلاً قليل الكلام. كان من

النادر أن يقول أي شيء لي رغم أنها أول مرة يقابل فيها ابن أخته. في تلك الظهيرة، تحدث فقط مرات قليلة، لكي ينتقد عدم كفاءة الأب:

"هل تعتقدين أن الناس يتساهلون معي لأنني أعرج؟ هل تعتقدين أنني حصلت على بعض الميداليات بسبب ذلك؟ لا يوجد أحمق واحد ينظر إليّ عندما أتجول في السوق هكذا، حتى لو بقيت حيًا أي نوع من الرجال ذلك الذي يعرض نفسه للسجن؟"

لم تقل الأم أي شيء. وجلست القرفصاء هناك، مطأطئة رأسها، تسمع بصمت. لابد أنها قررت عندما غادرت المنزل أن تبقي ثابتة في مواجهة الإهانة. كشفت تسريحتها الجميلة وشعرها المنساب عن عزمها الأكيد. كنت متضايقا، لماذا زارت الأم هذا الخال التافه خاصة وهي متوعكة؟

عدنا إلى المنزل في وقت متأخر. كنا منهكين وارتمينا على السرير. في الصباح التالي، كان طعم الأرز الأبيض لأول مرة ولمدة طويلة داخل فمي غير مستساغ. أثناء الجلوس مع أسرتي على المائدة، تذكرت تعبير خالي غير المرغوب فيه، لكنني سأكون سعيدًا أن أراه مرة أخرى مقابل مكافأة كهذه. بعد ابتلاع نصيبي، خرجت متلهفا. اعتقدت أن شيئًا ما مثيرًا ربما يحدث ذلك اليوم. كان يوجد العديد من الأطفال في الحي، يبدو أنهم أكثر سعادة ونظافة مما هو

معتاد. فجّر عدد قليل من الأولاد قنابل ورقية وتهافت العديد من البنات على مكان الغسيل.

شعرت بالخدر. لم أستطع الانضمام إليهم على الفور لسبب ما. كانت ذكرى خافتة مختبئة عند حافة الوعي. وهي ذكرى مثيرة ومهمة جدا.

الأخت التي أتت لتقف خلفي، قالت بصوت هادىء وحزين "إنه مهرجان الحصاد القمري اليوم ...."

أخيرا فهمت المشهد أمامي. أومأت كما لو كنت أخرس، وأظهرت خضوعي قبل الحصول على فرصة للاستمتاع ببعض المرح.

زيارة السجن

لست متأكدًا مما إذا كانت ماركة وردة شارون أو ماركة الدب. كل ما أذكره أن الدقيق لم يكن ذا جودة عاليةّ بدليل ذلك اللون الأسود المحمرّ الخفيف. على كل حال، السيد تشوي أحضر لنا كيسا. قال إنه بالرغم من أنه تأخر قليلا، فإن حبوب الإغاثة هذه التى تقدمها الحكومة إلى المعوزين جاءت في وقتها تمامًا بالنسبة لمهرجان الحصاد القمري. لم يكن لدينا فكرة عما إذا كان ذلك صحيحا.

كان السيد تشوي رئيسا طيبا للجيران، فقد كان يعتني بالمواطنين ويسهر على راحتهم. كان لاعب تنس طاولة في المدرسة وقد فاز بعدة مسابقات محلية وإقليمية. وبالمقارنة مع زوجته الطويلة بشكل أطول من المتوسط، والتاجرة النشيطة خاصة في تغيير العملات وصرف الوون الكوري مقابل الدولارات الأمريكية، كان رجلا صغيرا ذا وجه بناتي. لو استعرت وصف السيد غواك، فإن الزوجين كانا مثل ذبابة جالسة على غطاء غلاية.

"يا سيد تشوي، يجب ألا تدع زوجتك تصل إلى القمة تمسك زمام الأمور وتتفوق حتى في أكثر الحالات الطارئة. إنني خائف ودائما يداخلني شعور بأنني سوف أساعدها في مصاريف جنازتك". كان السيد چواك غالبًا ما يقول ذلك ضاحكا.

بفضل زوجته التي تشبه غطاء الغلاية. عاش السيد تشوي حياة فراغ مثل حياة الذبابة الصيفية ولكنه لم يضيع أبدا وقته. انهمك في أمور الجيران. وكان جميع مواطني المنطقة يرون أنه يستحق إقامة نصب تذكاري تكريمًا لخدماته البارزة.

لكن السيد تشوي لم يأت إلى منزلنا لكي يعطينا شوال الدقيق فقط. وهو ينفض الدقيق من يده قال السيد تشوي للأم: "أعتقد أنني سوف أقوم بزيارته. يبدو أن موعد الحكم عليه وترحليه قد اقترب

وبعد ذلك سيكون من الصعب زيارته، وأعتقد أن هذه قد تكون آخر زيارة، ويستحسن أن ترافقيني أيضا"

فهمت كل هذه الأمور. بقيت الأم صامتة، ووجهها العليل مال إلى أسفل.

تحدث السيد تشوي مرة ثانية: "لا، بالطبع يجب ألا ترهقي نفسك بدفع ضرائب باهظة. هذا لا يفيدك ولا يفيد أحدا. إنني سوف أزوره بنفسي".

لم تقل الأم أي شيء رغم كل هذا الكلام. خفضت رأسها إلى أسفل. كنت محبطًا جدًا ومن المحتمل أن ذلك ظهر على وجهي لأن السيد تشوي، الذي كان على وشك أن يغادر، حدّق في عيوني. سهم ساخن ثقب قلبي الصغير.

"هل تمانعين في أن أصحبه معي؟" سأل السيد تشوي أمي.

أخيرا أدركت ما كنت أتمناه. حدقت في شفاة الأم نافد الصبر. ولم تقل أي شيء، لكننا فهمنا أفكارها. تبعت السيد تشوي للخارج دون تردد.

كان السجن يقع بين المحكمة والبلدية. استغرق الطريق أقل من ساعة للوصول هناك. لم أتخيل أبدا أن الأب كان قريبا جدا. شعرت أنني تعرضت للخداع والاحتيال فترة طويلة. كنت أحمق

معتقدًا أن الأب كان في مكان ما بعيد. وتأسفت أنني لم أبكِّر بهذه الزيارة من قبل.

كان يبدو أن ساحة السجن لها تاريخ طويل. لم أر ذلك المبنى القديم والكئيب في المدينة من قبل. رأيت حوائط قليلة الأبواب وأسقفًا ملونة بالغبار وشعرت بالضيق. ولم أصدق أن شخصا يستطيع التنفس والتحرك والبقاء في ذلك المكان. وبخاصة، لم أستطع أن أتخيل أن الأب ظل يعيش هنا حتى الآن.

كان يجب أن ننتظر بضع ساعات لمقابلة الأب. وجلست على كرسي خشبي في حجرة الانتظار المزدحمة أثناء ذلك الوقت الممل. كانت تشبه حجرة الانتظار في محطة قطار صغيرة لولا أنها مظلمة وكئيبة. كما لو أن القطار الذي ينتظره الجميع قد وصل وغادر، أو كما لو أنه لم يصل إلى هناك أصلاً. استطعت أن أقرأ على وجوههم يأسًا أكبر من الانتظار.

استطعنا أن نراه بعد الانتظار الطويل. لم يتغير الأب كثيرا. كانت ملامحه تبدو عادية تماما، ما عدا لحيته الجامحة وزي السجن الغريب. شعرت بالفراغ. كان الأب نفس الشخص الذي اعتاد أن يعود مستعرضا الزقاق على دراجته الخربة". وشعرت أنه سوف يضحك لي. بالطبع لم يفعل. بدلاً من ذلك، كان يبدو محتارًا ومرتبكا للغاية. وبالوقوف في حيرة على الجانب الآخر من السياج الحديدي

الذي يقسم حجرة الزيارة نصفين، ابتسم غير مرتاح. وكانت هذه الابتسامة شيئا جديدا. لم أستطع أن أنسى تلك الابتسامة السخيفة الخرساء حتى بعد عودتي إلى المنزل. من الممكن أن الأب لم يتعود بشكل كامل بعد على حياته المقيدة الجديدة.

وقف سرب من الحمام على الأعشاب في الفناء أمام حجرة الزيارة. كان بعض كبار السن يمشون أمامنا، خطواتهم كانت جوفاء مثل الريح. فجأة سمعت ضوضاء المدينة التي كانت تدوي في مكان ضيق. شعرت بعدم الراحة والاستغراب. كلام الناس وأصوات كلاكسات السيارات وكل أنواع الضوضاء الثقيلة ضغطت على القلب الخالي. فكرت في الأم والأخت وفجأة اشتقت إليهما بدلا من الأب.

التقاط فضلات الحصاد

أحيانا عندما كنت أمشي للخارج في الأثاث في الصباح الباكر، كان صقيع أبيض يغطي الأرض. في أحيان أخرى، تكون أعمدة من الصقيع حادة مثل حد السكين. إنها علامات قدوم الشتاء على مهل إلى المدينة وإلى جيراننا الفقراء.

أنا وأصدقائي غادرنا المنطقة نمشي فوق الصقيع. ضوء الشمس في الصباح كان نقيا. كانت الأزقة والأسقف مرقعة بقطع من العلب والكرتون تلمع مثل السمكة الفضية. بللورات لامعة انكسرت

تحت أقدامنا ذات أطراف تشبه أطراف الإبر. شعرنا بالبرد الموسمي القارس بوضوح كما لو أن مضخات تضخه إلى أجسامنا.

كادت السوق الصباحية أن تنتهي. وصلت كل أنواع الفاكهة والخضروات من المزارع المجاورة إلى تاجر التجزئة الأخير. تكومت البضائع حول السوق وكانت موزعة بين الدراجات وعربات الكارو الخشبية والجرادل استعدادًا لتوصيلها إلى جميع أنحاء المدينة. حتى الصباح المبكر، كانت سوق الجملة فارغة، مثل شاطئ أمواجه في حالة جزر. بدأنا عملنا عندما علق تجار التجزئة أكياس النقود حول خصورهم، ونظفوا أيديهم لكي يتناولوا شوربة اللحم البقري .

كنا نجمع أشياء أثناء وجودنا في المدينة. مثلما كنا نفعل في الحقول بعد انتهاء حصاد الخريف، بحثنا عن قصاصات في السوق ولم نتوقع أن نجد الكثير ولكن في الأيام السعيدة التي كانت تتسم بنشاط البيع والشراء، كنت أنا وأختي نجد نوعين أو ثلاثة من الخضروات رغم تعفنها وتقطعها ولكن ذلك كان نادرًا وكل صباح كنا نجد القليل في معظم الأحيان.

لم تكن السوق كبيرة جدا. كنت قادرا على المرور فيها خلال عشر دقائق حتى في حالة الازدحام. كنا مقسمين إلى مجموعات كثيرة، نحن الأطفال عادة كنا نقضي ساعتين وأحيانا ثلاث أو أربع ساعات في البحث والتفتيش مثل حشود الفئران الجائعة.

" أظن أن السوق قد انتهت، لأن هؤلاء الأطفال المشاغبين تجولوا في كل مكان"، كان التجار الموسميون الذين يصلون متأخرين يقولون ذلك ويتذمرون ويعودون خاليي الأيدي.

انقسمت مجموعتنا إلى اثنتين وكل واحدة كانت تكنس السوق من النهايات المقابلة. أنا والأخت قسمنا أنفسنا بشكل استراتيجى أيضا؛ بدأت هى بمدخل السوق بينما فتشت من الداخل نحوها وتقابلنا في الوسط بعد ساعة. وكما هو معتاد بسرعة فتشت سبت الأخت حيث كان يوجد عشرون حبة بطاطس غريبة وعدد قليل من بيض الطيور وأوراق كرنب حادة، اعتقدت أنها وجدت أكثر مما هو معتاد. ولم أحصل أنا إلاّ على كيس من أوراق الفجل.

" حسنًا لديك الكثير من الأحجام الكبيرة " عرضت الأخت وهى تمسح العرق المتصبب على أنفها. ابتسمت بشكل غريب.

" يجب أن تعود إلى المنزل " قالت وهى تمشي أمامي. " فتشنا كثيرا وأصبحت الأرض نظيفة "

تبعتها بهدوء. كانت السوق فى حالة فوضى ومليئة بالقمامة التي نثرناها على الأرض. فقط عمال النظافة سوف يأخذون القصاصات المتبقية. أخذنا آخر لقمة يمكن أكلها.

" يجب علينا أن نتوقف عن المجيء إلى هنا " قالت الأخت فجأة.

" لماذا "؟

" يعني.... إنما أعتقد ذلك ."

تجمع بعض الأطفال من مجموعتنا أمام السوق. أدركت أننا في مشكلة بمجرد أن فهمت تعبيراتهم. رأيت المسئول عن السوق الذي يحمل إشارة على يده يمسك بمقدمة قميص الطفل بحدة.

" ذلك الطفل سرق شيئا ما " همس ولد بإلحاح، صوته كان مرتعشا من الدهشة الغريبة. تجمد قلبي.

" دعني أراه، أو ستنال علقة "، أصر مسئول السوق وأطلق سراح الطفل. في النهاية، أفرغ الطفل محتويات كيسه على الأرض، ربما اعتقد أنه لا يوجد طريقة أخرى أو مخرج. حيث وقعت كمية فجل طازج وسليم.

" ابن العاهرة! عرفته، سرق بالأمس القرع الصيفى. بغضب تمتم الطفل بهذه الكلمات هامسًا في أذني.

فتشنا مسئول السوق جميعا. وجعلته نتائج التفتيش أكثر غضبا. عدد قليل من الأطفال الآخرين ارتكبوا نفس الجريمة. لا أظن أن السلع المسروقة كانت كثيرة وأعتقد أن عددا قليلا منا كانوا أبرياء. ولكن حتى لو أخذنا فقط قطعة من الفاكهة أو باقة من الخضروات، لم نكن في وضع يسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا. الأفراد

الذين كانوا محظوظين في الصباح بالتقاط كثير من الفضلات صفعهم مسئول السوق.

ولكن الشيء الذي أهاننا كثيرًا لم يكن السرقة أو حتى الصفع، وإنما الطعام الذي جمعناه، انسكب في الشارع ورآه الجميع، كان أمرًا مؤلما للغاية. وأصبحت أكثر حيرة لقد استيقظنا مبكرًا لجمع كومة ضئيلة كهذه.

بسرعة اكتسحت أختي جمع الخضروات المنسكبة على الأرض كما لو كانت مطاردة. حدقت إلى أسفل في يديها الحمراء المتجمدة من الصقيع، شيء ما مثل قطرات المطر على يديها. نظرت أعلى إلى السماء المصبوغة بضوء الشمس الذهبي في الصباح.

دود الحرير

حضرت عمتي إلى منزلنا. كانت أول قريب يزورنا منذ انتقلنا إلى المدينة. قابلتها بالصدفة في الزقاق قرب غروب الشمس وكان ذلك الوقت من اليوم الذى يصل فيه جوعى إلى القمة. وعرفت من خلال التجربة أنه سيكون من الأسهل لمقاومة الجوع لو تغلبت على تلك اللحظة الحرجة. وفي المساء، سوف أشعر بدوخة خفيفة بدلاً من الألم. وسوف أصب سلطانيتين من الماء البارد في معدتي الخالية وبعد ذلك سوف تزول الدوخة تماما. كلما كانت معدتي خالية كان

رأسي أكثر نظافة وصفاءً. إذا لم يحدث شيء غير عادي، سأذهب إلى النوم وأغفو سريعا؛ لأنها زيارة مفاجئة للعمة لم أحلم بها.

كنت أجلس أمام الحائط الخشبي، أنظر لأعلى إلى الشمس، عندما توقفت أمامي. نظرت ببطء نحوها.

"يون"، قالت وهى تنظر إلي: "هل تعرف من أنا؟" كانت ملامحها تبدو مألوفة. كان وجهها رقيقا مثل قطعة خشب التدفئة وكان لها أنف طويل ومستقيم. ومن المؤكد أنه أنف رجل – لا، إنه أنف أبي.

أخيرا تعرفت عليها تزوجت وفقدت زوجها مبكرًا وأصبحت إحدى أرامل الحرب الكثيرات. تذكرت مراسم زفافهما الذي جرى منذ سنة أو سنتين قبل الحرب. رغم أنني كنت قادرًا على أن أقاوم جوعي، فإن تلك الذكرى الباهتة أصابتنى بدوخة.

أتذكر النظر إلى الضيوف الذين كانوا يحتشدون على الطريق الضيق في الريف والطريق الوحيد الذى يمر من خلال الحقل. ترنحت خيمة في فنائنا، وكانت القرية بأكلمها في حالة من البهجة. قدمت جدتي المشروب الروحي " لو أتيت إلى عالمنا بوابل من الأسئلة المتلاحقة، يجب أن تعرف كيفية شرب فنجان أو فنجانين من

المشروب الروحي، حتى لو لم تصبح محترفًا كبيرا. لن يكون الأمر مجديًا لو لم تستطع أن تشرب، مثل أبيك وجدك... "

ضحكت مجموعة كبيرة من الناس. وكان فيضان الضحكات، إلى حد ما كبيرًا كما الأطعمة في الحفلة. تجرعت المشروب بجسارة وبكيت وتدحرجت على حصيرة من القش. ذكرى دوخة ذلك اليوم أو الشبع في ذلك اليوم، جعل معدتي الخالية تتمايل.

على كل حال، تلك كانت الطريقة التي تزوجت بها عمتي. وفى ذلك الشتاء بعد ذلك اندلعت الحرب، وأصبحت أرملة، بينما ما زال عدد كبير من معاصريها فى حالة عزوبية.

وقفت بصمت. كانت ساقاى فى حالة نوم وتوجهت نحو حجرتنا دون أن أقول أي شيء لعمتي.

كان ترحيب أمي وأختي فاترا أيضًا. لا أحد رحب بها بحرارة. كانت عمتي المسكينة منزعجة جدًا فبدأت تتشنج فى نهنهة بمجرد دخولها الحجرة. جالسة بجوار الأم، بكت بقوة أكثر مما في حالة فقدان زوجها.

كانت الأم راقدة مواجهة الحائط ولكنها لم تستطع أن تخفي حزنها. كانت كتفاها تهتزان بعنف. لم تستطع أختي أيضا أن تتمالك أعصابها ودفنت وجهها في ظهر عمتي الأحدب، تسربت، شيئا

فشيئا، نهنهات حادة وحزينة كان البكاء شديدا جدا لدرجة أن السيدة كيم اندفعت إلى الداخل لتعرف ماذا حدث.

تقرحت عيناي، وتخلخل صدري وشعرت أنني انقسمت إلى نصفين ولكن لم أستطع أن أبكي. ما هي الدموع؟ إنها مجرد إفرازات لتحرير الجسم من شيء مكروه. لم أستطع أن أحرر ما بداخل جسمي الصغير. لذلك لا أحد يستطيع أن ينتقدني على فشلي في الانضمام إلى حزنهم.

من الهدايا العديدة التي أحضرتها عمتي، دود الحرير الذي جعلني أكثر سعادة. كثير من هذه الحشرات البنية اللون كانت في وعاء من النيكل. آه، ما ألطفها! وفى اندهاش، درست أجسامها اللامعة البنية وعمقها وثناياها المعقدة وتموجها بانتظام في صفوف مثل حلقات الأشجار. تجمع اللعاب في فمي. كيف استطاعت أن تلتقط أنشط وأنظف وأذوق أنواع الدود كي تملأ الوعاء بالكامل؟ قررت أن العمة كانت امرأة عظيمة. عادت في نفس اليوم تاركة وراءها خريطة بمكان عملها وخططت أنا وأختي لزيارتها الظهيرة القادمة. ولكننا أجلنا ذلك ليومين لأننا كنا منهمكين فى تناول هداياها الرائعة وحدث لنا اضطراب في المعدة.

كانت عمتي تعمل في مصنع ضخم للحرير الخام. أخذتنا لكي نرى المغزل. كان كل ما نراه خيالا بالنسبة لنا. وكل شيء أذهلنا.

الآلات كانت مرصوصة بدقة كما لو كانت مرسومة بمسطرة والعاملات والأفران الكبيرة مثل أواني النيكل وبكر خيط الحرير، ودود القز الذي كان يشبه الفول السوداني وكرات صغيرة على شكل مربعات وأحيانا بيضاوية. أخرجت عمتي بعض الملح من صندوق غذائها. نحن نسينا العمة لأننا كنا جوعى واتباعًا لتعليماتها أخرجنا دود القز بحرص من العلبة وأكلناه. كان لذيذا بشكل غريب وهو خارج من الماء المغلى. لم أفكر في أي شيء حتى في طعام غالى الثمن ألذ وأطعم، أكلت أنا وأختي بسرعة.

توجهنا عائدين إلى المنزل حيث حملنا وعاء به دود القز وملفوفًا بقماش النايلون وقلت بصوت خافت لأختي " كنت أتمنى أن تعملي في مصنع مثل هذا حيث يمكننا أن نأكل دود القز كل يوم "

إنني متأكد أن أختي لم تستطع تخيل أي شيء أفضل من ذلك في تلك اللحظة أيضا. حيث كان الأمل يملأ عينها نظرت خلفها. وأنا فعلت مثلها ورأينا العمة واقفة بلا حركة أمام نقطة الحراسة.

حفل العشاء

أصبحت الأم أكثر شحوبًا وأكثر شفافية بمرور كل يوم. لم يكن وجهها فقط، أطراف اليدين والقدمين خارج البطانية، كانت تبدو شاحبة أيضًا. أوردتها الرفيعة مثل السلك كانت بارزة تحت جلدها الشاحب. كان التحول في المظهر متوقعًا بالنسبة لى ولذلك لم

يدهشني أبدًا. لم تكن تريد الأم أن تتناول شيئًا ولمدة طويلة سوى ارتشاف قليل من الماء. كان منطقيًا أن يصبح جسمها شفافًا مثل جلد الثعبان. بالنظر إلى الأم راقدة في الفراش مثل المرأة الميتة في مواجهة الحائط. كانت الخيالات تطاردنى. إنها ألقت بجسمها المتهالك وطارت إلى السماء مثل الفراشة أو اليعسوب، وضوء الشمس جعلها تلمع.

لم نستطع أن نتلقى أي شيء من كنيسة البروتستانت. إمدادتهم قلت بقدوم الشتاء. كنا نندفع كل يوم أحد متذكرين طعم اللبن الجاف فى أفواهنا ولكن كنا نعود إلى المنزل خاليي اليد كل مرة.

كان نفس الشيء في الكنيسة الكاثوليكية. وحصلنا على قطع قليلة من الملابس في نهاية العام. توقفنا عن تلك الرحلة آسفين معتقدين أن الله استنفد الإمدادات أيضا. لكننا لا نستطيع أن ننكر أن ملابسهم ساعدتنا خلال فصل الشتاء. رغم أن الملابس مستعملة، لكنها حمتنا من البرد قليلاً. لكن حتى أحسن ملابس شتوية لا تستطيع أن تمنع البرودة المتولدة في داخلنا. البرد القارس الذي شعرنا به من الجوع كان أكثر حدة. كان جوعنا أسهل قليلا في تحمله مع ارتداء الملابس الشتوية. لكن كان ذلك قليلاً. وكان لا يزال فى داخلنا كمية مساوية من الشفقة.

بالطبع، كان بعض الأطفال في حالة استثنائية. ومنهم تلك البنت التي تم اغتصابها. كنا جميعًا نعرف أن والدها كان مسيحيًا مؤمنًا في الجانب الآخر من خط الحدود العسكري بين الكوريتين. لكنها لم ترث الشفقة من الشمال لأنها داومت على الكنيسة البروتستانتية الموجودة على التل والكنيسة الكاثوليكية في وسط المدينة مثل بقيتنا. لم تكن تريد أن تتخلى أيضا عن الكمية الصغيرة من بودرة اللبن أو المغرفتين من دقيق الذرة.

كان يوجد نقطة تحول بالنسبة لها، فوالدها الذي كان يجر عربة كارو في شركة نقل بضائع أصيب ظهره بشكل سيئ وأصبح طريح الفراش. موقفها تغير بسبب سوء حظ والدها وأصبحت ورعة كما لو أن الأب قد غرس فيها هذا الإحساس الديني. وكانت تذهب إلى الكنيسة التي تشبه الخيمة على الجانب العاصف من التل كل صباح شاحبة اللون وضعيفة. لم تكن ترتدى ملابس داخلية طويلة ونحن في منتصف الشتاء قائلة إن إيمانها يساعدها على نسيان البرد. حينما كانت ترى الأطفال الذين يتجولون جائعين، كانت تقول " قوموا بالصلاة بجد. هل تعلمون أنكم لو صليتم بجد سوف تنسون الجوع؟ يقول والدي إنك يجب ألا تعيش على الخبز فقط بل على كلمات الله. الناس الذين يصدقون ويؤمنون لا يجوعون "

استطعت بوضوح أن أتخيل كيف قاوم الأب والابنة جوعهما. ظننت أن البنت الواهنة سوف تنهار بجوار والدها آجلاً أم عاجلا.

لكن أثار دهشتي أنها اجتازت فصل الشتاء. لا أعرف ماذا حدث بالنسبة لهما في النهاية، لكن على الأقل هناك شيء واحد محدد. كانت البنت الواهنة والمريضة تتجول دون أن يوقفها أحد عندما غادرت أسرتي مدينة الأكواخ. لا يمكنني أن أفكر في وجهها الصغير والشاحب خاصة عيونها الغائرة دون أن يتألم قلبي. بعد مرور كثير من السنوات، كانت تصيبني الدهشة عندما أجد عيونًا مشابهة في أطفال لاجئين من بيافرا. لكن عيونهم لم تكن محترقة ولامعة مثل عيونها.

لابد أن أعترف أنني تدريجيًا انجذبت إلى تلك البنت. ظل قلبي الصغير يعتمد عليها، أولا بسبب حكاية اغتصابها المؤثرة، ثم بسبب مظهرها الواهن، وأخيرا بسبب إيمانها المؤثر. تسكعت معها حول الكنيسة وفي الشوارع وحتى في أحلامي.

لم تكن كلماتها زائفة. في بعض الأحيان، كنت أستطيع إشباع جوعي للحظة من خلال تصوير وجهها. بالطبع، كانت تلك الحالات قليلة ولكنني استطعت أن أفهم كيف كانت تنسى جوعها من خلال التفكير والصلاة لله. حتى رغم أنني لم أعرف الكثير، أدركت أنك من المحتمل أن ترى نتائج أكثر عن طريق التفكير في الله بدلا من تصوير البنت. ذات مساء عندما كنت أكثر جوعًا من الأيام السابقة. زحفت إلى الكنيسة الموجودة على التل. الحمد لله كانت خيمة مدرسة الأحد خالية، شعرت بكرب وعاطفة يائسة وألم الجوع الرهيب.

ركعت على الأرضية الخشبية ومسكت يدي معا. كانت النتيجة مربكة جدًا يبدو أنه كان من الأفضل أن أصلي للبنت. ولم أستطع أن أقف هناك بسبب جوعي الشديد وشعرت بالخجل الشديد والعرق البارد تصبب مني ومشيت بجانب طريق التل ولوحت بيدي للجميع.

"اشرب بعض الماء" قالت الأخت بهدوء. أعطتني سلطانية الماء التي كانت بجوار الأم. أخذت رشفة من الماء وكان باردًا جدًا وأخذت رشفة أخرى مرتعشا. شعرت بتحسن واستطعت أن أشعر بالماء ينزل من البلعوم إلى المعدة الخالية حيث شعرت بانتعاش ".

" إنك سوف تمرض لو تشرب بسرعة هكذا " أخذت الأخت إناء الماء وارتشفت ببطء. تناولته منها وشربت ببطء، كما لو أنى أستمتع بطعمه العذب كما تناولته الأخت.

كانت الأم أكثر حكمة من البنت. كان طعم الماء متنوعًا وكان يمكننى استبداله بمختلف أشكال وألوان الطعام المتنوع. سمح شرب الماء بحفل عشاء فانتازى ووهمي كبير. كنا ملفوفين في بطانيات، أنا وأختي جلسنا في مواجهة بعضنا البعض وأخذنا دورنا في شرب الماء، لا بل فى الاستمتاع بحفل العشاء. وأشبعنا الماء. أقبل النوم عن طريق هجوم النعاس الثقيل علينا.

السجناء

عند الفجر استيقظت من نوم كان متقطعًا. وأدركت أننا اصطدمنا بحائط لا يمكن تسلقه. إنه الجوع. كان اليوم أول أيام البرودة الحقيقية فى ذلك الشتاء. بمجرد أن فتحت عيوني، واجهت حائطا ثابتًا أمامي، يحول دون الرؤية. ولم أعد أستطيع النظر إلى الجهة الأخرى. شعرت بهدوء غريب. *كان حلًا واضحًا* كان هناك طريقتان فقط لهزيمة الحائط. عرفت الحل الذى يجب أن أختاره.

ما زلت في الفراش، نظرت حول الحجرة ببطء. كانت كل الأسطح مغطاة بالصقيع الأبيض ما عدا الأرضية. كانت الأم والأخت لا تزالان مستغرقتين في النوم. كان نومهما عميقًا مع نوم البرد والجوع، وتحدّب ظهر كلٍ منهما وأصبح مثل الجمبرى.

خرجت بهدوء. كانت قطفة الثلج الأولى فى ذلك الشتاء تغطى مدينة الأكواخ. يقول الناس إن الشحاذين يجلسون القرفصاء فى أيام الثلج تلك أسفل السقوف ويلتقطون القمل من ملابسهم المهلهلة كالخرق. بالفعل كان الجو أدفأ من الليلة السابقة.

وجدت أدوات عسكرية لتناول الطعام في المطبخ. الدلو كان كبيرا وكافيًا لحمل أغراضي. غادرت وقبعتي الصوف مشدودة على عيوني. ولم أخرج من طريقي كي أختبئ عن عيون الجيران. ولكن فى ضربة حظ لم أصطدم بأي أحد حتى انسحبت من الزقاق المغطى

بالجليد. زادت جرأتي وتشجعت أكثر. عند العودة من يوم كرسته للتسول من أجل الطعام لم أكن أتوقع ذلك النوع من الحظ. حتى رغم أن الثلج واصل السقوط، إضافة إلى ركام عميق يغطى الكاحل، كان سكان المنطقة مضطرين أن يخرجوا وأن يتمتعوا بالدهاء والحيلة. لم يكن لدي أي خيار سوى أن يراني الجميع. وحتى كان هناك مجموعة من الأطفال المشغولين في المشاجرة بالكرة الثلجية في الزقاق الضيق. كان الدلو الصفيح ضخما ولم أستطع حتى محاولة إخفائه. الشيء الوحيد الذي استطعت أن أفعله عندما كنت أواجه شخصًا أعرفه. هو شدّ القبعة إلى أسفل فوق عيوني والنظر إلى أقدامي.

كانت الأحداث ظاهرة للعيان ومكشوفة كما توقعت. الأخت سوف تكون أقل ترددًا خوفًا من أن تلمس ثعبانًا فى الدلو. بالطبع لم تقل أي شيء للأم. كان صراعًا قاسيًا بيننا وعراكا حادا وصامتا. ماذا كنت أفعل بالدلو الصفيح اللعين ذلك إذا لم تكن أختي قد أسقطته، كان الأمر سيكون مرعبًا لو اضطررت لرمى محتويات هذا الدلو إذا تحتم عليَّ مغادرة المنزل مرة أخرى وهو معي، مشاجرتنا لم تنتهِ بسهولة. مالت أختي برأسها وهى تذوب خجلاً وتتجنب النظر إليه وكان وجهها أحمر ولامعًا. شعرت كما لو كنت سوف أنفجر. العمل المهين في "التسول" الخصم الوحيد لأختي. كانت متورطة في معركة صامتة وحتمية مع العالم ومع نفسها.

الثمن الذي دفعناه من أجل أن نشعر بالشبع ونهزم الجوع لم يكن صغيرا أو بسيطا. لم نستطع أن نغادر حجرتنا اليوم بأكمله. لم نتحرك شبرًا واحدًا رغم وجود أكوام من الثلج الناعم المتكوم. مشوشًا فكرت في أبي. الأب الذي باع ضميره والابن الذي خلص نفسه من الكبرياء كانا شخصًا واحدًا وكانا من السجناء.

الروح الجائعة

ذات يوم، تناوبت عليّ الأشياء السعيدة والتعيسة وكلٌّ أخذ دوره. وصلوا الواحد بعد الآخر، كما لو أنهم رتبوا ذلك مسبقا مما كان يثير دهشتي في كل مرة. كان ذلك اليوم من النوع الذي يكتظ بألوان شريط حياتك كلها في خلال ٢٤ ساعة.

أقبلت السعادة أولاً. استطعت أن أملأ دلوى الكبير دون الذهاب إلى عدد كبير من المنازل، وكانت هذه حالة استثنائية؛ حيث إنني كنت أحيانا أضطر لقطع مسافة كيلومترين لكي أملأ جردلاً سعة ٢ لتر. في هذه الأيام، الناس يغلقون البوابة أثناء تناول الوجبات حتى لو كانوا يتركونها مفتوحة طوال اليوم. لم يكن هناك خطأ ولا ما يستحق اللوم، لكن كانت هذه هي الطريقة التي يعيش بها الناس في الخمسينيات المدمرة.

الجميع كانوا فقراء ولأنه لا يوجد أي شيء يستحق السرقة ليس هناك حاجة لغلق الأبواب، لكن الناس لم يعد في قلوبهم رحمة

بما يكفى للحصول على لقمة من الطعام. حتى اليوم لم أستأ من هؤلاء الذين اضطروا لغلق قلوبهم الرقيقة.

أحيانا يكون الدلو خاليا، حتى بعد طوافى المتكرر في المدينة. إنك لا تستطيع أن تتخلص من الكبرياء بصفقة واحدة. مثل الماء عندما يملأ ينبوعًا جافًا. لم يزل كبريائى عما أعاقني. لم يكن أمامى سوى الحيرة والارتباك. دائما تمنيت أن يمتلئ ذلك الدلو بأسرع ما يمكن لكي يقل عدد رحلات الحج تلك التى أقوم بها.

لم تكن حصيلتى كبيرة، فقد راجعت الكمية ووجدت أنها كافية. سوف نكون قادرين على أن نأكل لمدة ثلاثة أيام. الدلو كان يحتوى على أكثر من خمسة أنواع مختلفة من الحبوب. وبدا الأمر كما لو كنت قد جمعت عينات من كل أنواع الحبوب التي تم حصادها. استطعت أن أميز الأنواع المختلفة لأننى كنت لا أزال طفلا وكنت ألعب في الريف بين الحقول منذ مضي سنة فقط. فحصت كل شيء بإصبعي؛ أرزًا وشعيرًا وقمحًا وفولاً وبسلة وفول سوداني..... أخيرا تحكمت فى مصدر إعداداتي وحصيلتي. لم يكن حظا صافيا ولكن نتيجة للاحتفال الصباحى الإضافي وباكتمال البدر الأول فى السنة.

في تلك اللحظة تخلى الحظ عنى بشكل مبالغ فيه. فجأة وقعت على أقدامي ولم أعرف ما أصابني لكنه كان اصطدامًا قويًا لدرجة أنني لم أستطع التركيز للحظة، وأدركت ما حدث تدريجيًا فيما بعد:

كنت راقدًا على الأرض أحملق في غريمى الذى هاجمنى كان كلبًا من نوع الراعى الألمانى يحملق ولسانه الأحمر يتدلى من فمه. الخوف أطاح بمغزلي. فكرت أنه سوف يهاجمني مرة ثانية لو رفعت حتى أحد أصابعي.

جرى رجل في منتصف العمر مذعورًا كانت ملامح وجهه حادة وكان يبدو متأثرًا أكثر مني، استرخيت. وعاد الكلب إلى بيته مطيعًا وبدلاً من أن يظهر أسنانه الحادة التي تشبه القضبان كان يهز ذيله ويلاطف صاحبه مما أثار ذلك المشهد غضبى. لم أعد أستطيع أن أرقد هناك مرة ثانية مثل شخص فاشل. وقفت بخفة أنفض نفسي. تيار كهربي سريع أضاء أسفل ساقي اليسرى. لكن هذا لم يكن شيئًا. الألم الكبير الذي شعرت به لم يكن جسمانيا، وقفت بشكل شاذ وحملقت في الأرض وتدحرج الدلو الفارغ قرب أقدامي وتناثرت محتوياته على الأرض المغطاة بالصقيع وببطء أدركت الكارثة التى حلت بى وحياتي الكاملة والمخجلة التي سكبت على الأرض.

لكن أفقت سريعًا بوصول حظ آخر. الرجل الذي كان في منتصف العمر كان يحمل أخبارًا سارة، استرد هدوءه تماما رغم فزعه الأولي أخبرته أن جرحي لم يكن خطيرًا ولم يهتم بالتأكد مما إذا كنت أقول الحقيقة. بدلا من ذلك قال كلمات قليلة مؤكدة وأوصانى أن أكون حريصا. وعرض أن يملأ الدلو الفارغ ولكني رفضت بشدة لا أدرى لماذا فعلت ذلك. فتش في جيوبه وأخرج بعض الأوراق

النقدية وأعطاها لي. الحصول على المال كان أفضل من الحصول على تشكيلة من فواكه الحديقة. ولم أفكر في أي شيء آخر. وقفت هناك مثل العبيط وأشعر كما لو تم كشفى عن طريق ضوء التفتيش وأحملق في البوابات المغلقة بأمان خلف الرجل. كان قطعا شيئًا يجلب الحظ لكن إلى حد ما لم يبد أنه حقيقي. فتحت معصمي بحذر إنها لا تزال هناك. نصيبي الثاني من اليوم أخذ شكل ثلاث أوراق نقدية قديمة وبالية وضعت يدى في جيبي وأسرعت مهرولاً. قلقًا من أن يتغير حظى ثانية ويطير مثل العصفور.

أولاً اشتريت لنفسي فطيرة محشوة بالفول الأحمر وكانت تشبه السمكة البدينة ذات الظهر الأصفر ومعدة منتفخة. لن أنسى الحلاوة والدفء والرقة التي شعرت بها عندما قضمت الذيل. لا شيء أكثر دقة من لسان المرء. فحصت حظي بلساني الماهر وليس بقلبي الخالي، واعتقدت أن من الإيمان أن يؤمن المرء بنصيبه ويقبله. سلمت الورقة النقدية وحصلت على كثير من الفكّة في المقابل. أخفيت النقود المعدنية في جيبي وتجولت وأردت أن أقوم بالتصفير، التصقت يدي في أعماق جيبي حيث مشيت على أطراف أصابعي.

كنت أسمع المسامرة السعيدة والمستمرة للورقتين النقديتين والعملات المعدنية.

أشياء كثيرة أغرتنى في الشوارع: الفطائر الصينية والبطاطا المشوية والكعك المحشو بالسمك والكعك المحشو بالأرز والتوابل، والفول السوداني والحلويات والفطائر المستديرة والبيض القديم الذي لم يفقس... لا يوجد سبب للتردد توقفت مرات عديدة، إنني عانيت من الجوع مدة طويلة والآن لدى ثروة فى جيوبى .

يوجد الكثير من الأشياء في السوق، حيث اعتدت أن ألتقط الأشياء المتبقية من الخضروات عند الفجر والفطائر المقلية ولقمة القاضي وشوربة ورقاق في إناء، وعصيدة فول أحمر وكاكي أودون يغلي فوق النار فى أوانٍ صغيرة ولحم خنزير ولحم رأس وسردين... أكلت كل شيء طلبته معدتي وأمر به لساني. الطمع والجشع لا نهاية لهما وأصابني الجنون. لم يوجد مخرج لوضع نهاية لهذا. حتى الإحساس الجميل زال. تجولت وشعرت بدوخة كما لو كنت أعاني من الحمى وكنت أضع فى فمى كل ما يقابلنى.

أخيرا رفضت معدتي الطعام ودفع لساني الطعام بعيدا. معدتي كانت على وشك الانفجار. شعرت أن شيئًا ما ربما ينسكب مني لو ملت بخفة على جنب واحد. أخيرا تركت السوق وأنا أمشي ببطء. لم يكن الشبع هو الذى جعلني إنسانًا ثقيلاً ويميل إلى أسفل ودفعني إلى اليأس ما زلت أتوق إلى شيء ما. رغم أنني لم أستطع أن أرتشف رشفة من الماء أو أكل حبة فول. النقود تغري باستمرار بشراء طعام جديد. كان عطشًا لا يمكن أن ترويه. كنت متهالكًا لا أقوى على

الذهاب إلى المنزل أجرجر رجلي ويأس عميق مثل كرة من الحديد من الناحية الأخرى.

ارتفع الصراخ من الداخل فكرت في أمي وأختي اللذين كانا في انتظاري في مدينتا التي تشبه لعبة الطفل، وفي حجرتنا التي كانت تشبه الصندوق. شعرت أن قلبي يتحطم إلى أجزاء. اعتقدت أن حظي قد تخلّى عني تمامًا. المأساة كانت في احتمالات انتظاري حتى النهاية. إنني لم أملك أي شيء آخر سوى الدلو وجيبي الفارغ وروحي التي كانت تعاني من الجوع والطمع والنهم تطلب المزيد.

زوجة الابن المنتظرة

استيقظت الأم، هذا نذير يشبه التغير. كان يوما باردا جدًا. الماء الموجود في الإناء بجوار سريري كان متجمدًا وصلبا. بدأت الشمس تشرق ببطء بسبب البرودة حتى ضوء الشمس الذي انعكس على الشباك بدا شديد البرودة. نظرت إلى الصقيع الذي غطي السقف الداخلي والحوائط، كان أكثر رقة وأكثر نظافة من الثلج. كنت مثل من يرقد في صندوق بللوري لامع.

دخلت الأم من الباب، كان شعرها المبلل يغطي كتفيها الرفيعة، وضعت مرآة صغيرة أعلى صندوق ملبسها ذى الموضة القديمة وبدأت تمشط شعرها بدقة، وعملت تسريحة على شكل فطيرة

ووضعت دبوس شعر خلاله. حركاتها كانت سليمة وهادئة لدرجة أنها لم يبد أنها تتحرك على الإطلاق.

صحة الأم كانت أسوأ مما سبق.

وجهها كان يقظًا وهادئًا وكان به تورم أصفر. ظلال سوداء غائرة موجودة تحت عينيها وأنفها، وشفتاها كانتا تميلان إلى الزرقة ورقبتها الرفيعة وكتفاها كان يوجد بها برودة جعلتني أرتجف، أوردتها كانت تشبه الدودة، كانت مرئية من خلال يديها، استطعت أن أري من خلال يديها كما لو كانت سمكة قطبية شفافة. كانت رفيعة لدرجة أنك لا تستطيع أن تشعر بحجمها. كانت تشبه الدمية الورقية، صغيرة وضئيلة.

استطاعت الأم أن تتحرك فى المكان مما أدخل عليَّ الراحة. بعد تمشيط شعرها فتحت صندوق ملابسها واعتقدت أنها كانت تبحث عن ملابس جيدة تذكرت الذهاب إلى منزل الخال. رغم أنها كانت رحلة مفيدة. فإنها تظل ذكرى تعيسة. لم أكن أعتقد أنها سوف تذهب لرؤيته مرة ثانية. إلي أين هي ذاهبة؟

إن مظهر السيد تشوي رد عن سؤالي إنها فجأة قررت أن تزور الأب. تتبعت الأم السيد تشوي للخارج إنه أول خروج لها من مدة طويلة. عدد قليل من النساء وقفوا بالخارج ينظرن إليها بتعبيرات حزينة.

خرجت الأم من الزقاق كما لو أنها لم تكن تتحرك على الإطلاق. عادوا قرب غروب الشمس. دون أن يقولوا كلمة لبعضهم بعضًا. دخل السيد تشوي منزل السيد كيم والأم جاءت إلى منزلنا. كانوا مجهدين ويشعرون بالبرودة. لكن الأم لم تلجأ إلى فراشها. بقت جالسة مقرفصة ورأسها في انحناء مثل التمثال غير قادرة على أن تسمع حركات تنفسها. سيطر عليها الرعب واعتقدت أنها ماتت. نظرت إلى الأخت التي لم تنظر إلىّ لسبب ما. كانت وجنتاها حمراوين. فتحت الأم الصندوق وأخرجت بعض الملابس التى كانت كلها تخص أختى، وكانت أمى تنظر إليّ مبتسمة وهامسة أن تلك الملابس تحمل رائحة أختي وحياتها كلها كانت عيون الأم مبللة عندما التفتت نحوها وكان من الصعب أن نرى دموعها بسبب الدوائر السوداء تحت عينيها. من الواضح أنها كانت تخفي ربيعًا لا ينتهي في أعماقها " دعنا نذهب يا عزيزتي " قالت الأم إلى الأخت بصوت لم أسمعه من قبل " الأب لن يأتى إلى المنزل لمدة عام كامل " ذلك كان ما قالته. وقفت الأم وهى لا تزال تحمل ملابس الأخت التي ظلت على استحيائها.

كان الحي خاليا تماما من المحتمل بسبب البرودة ولم يوجد طفل من أولئك الأشقياء. فقط الرياح تتخلل الحي الذى تجمد وأصبح مثل مجرى طويل وضيق.

غادرت الأم المنزل واتبعتها الأخت. كانتا ذاهبتين لمكان ما بعيد، الأم كانت تقبض على ملابس الأخت إلى صدرها ولم تنظر للخلف مرة واحدة. لكن الأخت تلفتت حولها مرة أخرى وابتسمت لي مرة أخرى. يا أختاه... لم أستطع أن أرد الابتسامة وشعرت كأنني أرمي حجارة نحوها. توجهتا إلى ناحية وولتا الأدبار. الحي الخالي كان معزولا كالحقل الواسع المفتوح. نظرت إلى أقدامي. الآن سوف تغادران للوصول إلى منزل لحمة التوفو وأخوتها الأربعة وكميات من التوفو، ذلك سوف يكون منزل الأخت من هذه اللحظة. سوف تكون زوجة الابن الشرعية في المستقبل، وكنت كلما فكرت في هذا يزداد غيظي ورغبتي في البكاء والصراخ.

جثة دائما تكون لغريب

لا يستطيع المرء أن يكون صديقًا لجثة لأنها دائما تكون لغريب. هذا حقيقي حتى لو كانت جثة لفرد في الأسرة أو من الجيران. لا أتخيل أن جثة بدت كأنها نائمة. النوم يوجد في عالمنا هذا. ربما حتى الموت جزء من هذا العالم. لكن "جثة لا تنتمي إلى هذا العالم. إنها شيء تركه هؤلاء الذين رحلوا عن عالمنا وراءهم، لذلك وجه الميت يكون غير مألوف ويثير الخوف والحزن، أي ذكرى عنه تكون عقيمة. لا يوجد في هذا العالم من هو على استعداد لقبول

جسم الميت. وجهه البارد غير المألوف الشيء الذي لم يره إنسان طوال حياته. نستطيع فقط أن نزيل الأوساخ من على وجهه.

الجثث كانت دائما توجد في مكان عام. كنت أراها الخريف الماضي من وقت لآخر في العام الذي كان يسكنه اللاجئون. الذين كان عددهم يفوق عدد سكان المدينة. التل الخالي والأشجار الصغيرة تشهد على الماضى أول مقابلة أو لقاء مع جثة لرجل ذي رقبة طويلة. لم أستطع معرفة عمره؛ لأن التعبير المؤلم تجمد على وجهه. إن الرجل الميت كان صغير الحجم ورفيعًا وعاري القدمين وكان يرتدي قميصًا قديمًا ولا يوجد ما يبين الاهتمام به. كان واحدًا من هؤلاء الناس الذين تستطيع أن تراهم باستمرار في العام. الأشخاص الذين تركوا موطنهم. كان يبدو كما لو كان يحمل ثقله على رقبته الطويلة.

بالطبع لم أعرف أنه يوجد عالم آخر غير هذا العالم. إذا كان هذا العالم موجودًا فإن الجسر الذي ساعده علي الوصول إلى العالم الآخر كان شجرة صغيرة. في عائلة شجرة الاسفندان الموجودة على قمة التل الخالي. ولذلك تستطيع أن ترى المدينة كاملة لو تدليت من الشجرة مثل ذلك الرجل. عرفت ذلك لأنني قضيت تقريبا يومًا على تلك الشجرة. تستطيع أن ترى كل شيء؛ المدينة وعربات السكك الحديد فى الخطوط التى تسير حول المدينة ووراء ذلك المدينة ذات

المباني الخشبية التي تشبه لعبة الطفل. جثة ذلك الرجل وجدت معلقة هناك ولكنه كان قد توفي. الشيء الوحيد الذي خلفه هو تلك الجثة الصغيرة غير المألوفة. ماذا كانت آخر ذكرى له. لا يستطيع أحد أن يعرف ما رآه أو أراد أن يراه في آخر لحظة له في الدنيا. من المحتمل أنه كان يريد أن يرى الأشياء التي أستطيع أن أراها بنفسي، لأنه لم يكن مضطرًا لأن يعلق نفسه هناك لكي يشاهد هذه المدينة والجيران.

قابلت جثثًا مهملة أهملها أهلها وأصحابها والمجتمع وأخيرا هذا العالم. سوف تتعفن بسرعة. وخير مثال كان الرجل الذي توفي بعد شرب زجاجة من المشروب المسكر سوجو، الذي كان مخلوطا بنوع من السموم. لم أشعر بخوف وكان الذباب والرياح وضوء الشمس تتطفل على جسمه. لهذا السبب يجب إزالة الأوساخ من على جسده؛ لأنه بالفعل كان في طريقه إلى عالم الخلود.

– أتى الشتاء والثلج إلى هذا المتنزه. الجثث كانت موجودة في كل مكان – كان طقس الشتاء في هذا المكان قارسًا. لسوء الحظ، كانت المدينة محصورة في واد مرتفع؛ حيث يتجمد كثير من الناس حتى الموت كل ليلة. أجسامهم وجدت حول المتنزه العام وفي السلالم الحجرية وفي المجري الجاف الذي يطوق المكان. في القاعتين وحتى تحت الحجر المحفور عليه قصيدة. كانت أكثر متانة من الصخور

وأكثر برودة من الصقيع والأرض العارية الجرداء. إن الشتاء البارد خلَّف وراءه علامات هي الجثث. اعتقدت أنني أرى الوجه الحقيقي للبرودة عندما وقفت أمام الأجسام. وجه الجثة كان يشبه شجرة صغيرة مغروسة في مكان ما في العالم السفلي أو زجاجة الشراب المسكر سوجو المخلوط بسم محدد.

أتيت إلى جثة راقدة لامرأة قرب منتصف السلالم الحجرية. جثتها كانت صغيرة وتثير الأسي وكانت تبدو كما لو كانت في الموضع نفسه لمدة طويلة. توقفت أمامها وكنت بمفردي. كانت السماء باردة بدون ضوء شمس رغم أنه منتصف النهار ولم يوجد أحد في المتنزه العام. الجثة لم توقف العدد القليل من الناس الذين تسلقوا السلالم.

رياح حادة هبت من خلال المتنزه وكنت على ما يرام، وكانت مقاومة البرد تساعدني أحيانا أن أنسى جوعي إنني نظرت إلى الجثة. وجه كان غير مألوف بالنسبة لي، وبحرص تفحصت جثتها الضعيفة المدفوعة ضد السلمة الحجرية، شعرها الكثيف غطى وجهها وكان نصفه ظاهرا وثابتًا والشفتان جافتان. يداها كانتا لا تزالان تعملان حتى أمس، وهما الآن بلا حركة بين صدرها وذقنها. لا أحد استطاع أن يحرك الأيدي الرفيعة والقذرة التي كانت قد دخلت في راحة أبديه. لا يوجد أي دليل يشير إلى الصراع. لابد أنها كانت مستعدة

للبرودة والموت والغربة بعد آخر لحظة في حياتها. لم تترك شيئًا وراءها حتى جسدها لم يكن ملكها. إنها فارقت الدنيا تماما وهذه هي جثتها متروكة على السلالم تشبه الشيء غير المألوف.

عثرت على شيء ما عرفت أنه ملكها، كان دلوًا يحوي تفاحتين تالفتين لم أكن في حاجة لزيارة ذكرياتي من الخريف الماضي مرة أخرى. نظرت إلى الجثة مرة ثانية. بغموض أدركت أنه وجه امرأة بجسد غير مألوف. وجهها أصبح باهتا مثل ذكرى قديمة. وربما لم يكن وجهها ولكن ذكراها كان ما أراه حقيقيًا.

رجل كان يشبه مسئولي حراسة المتنزه أتى نحوي ولم يتحدث ولكن بعد ذلك لم يكن لديه سبب أن يكون مندهشا. إنه من المحتمل أنه كان يراها كل يوم الخريف الماضي. غطى جسمها المهمل بجوال كان يحمله تحت ذراعه. المرأة الميتة كانت متجعدة في شكل كرة صغيرة يمكن لجوال أن يحتويها. المكان الذي كانت تشغله في هذا العالم من المحتمل أنه كان غير كبير، كل شيء من شعرها إلى أطراف قدميها كان قد اختفى وتلاشى.

نزلت السلالم ببطء. مازال الطقس باردا وبه صقيع ولا يوجد ضوء للشمس. هبة من الريح عصفت بصدري. فجأة رحلة العودة كانت بعيدة حيث كنت أرتجف. تفجرت رأسي المليئة بالذكريات

والأوهام وصورة التفاح المتعفن كانت الشيء الوحيد المتروك في النهاية. أدركت شيئًا ما وتذكرت بوضوح كأن رياحًا باردة كانت تعصف برأسي. ذلك أنها كانت دائما تأكل التفاح المتعفن. كانت تحفر الأجزاء المتعفنة بأصابعها القذرة وتأكلها. إنها لم تكن تأكل أي شيء آخر مثل أمي التى لم تكن تتناول أي شيء سوى الماء، شعرت أننى سوف أتقيأ. تاركة وراءها جسدًا صغيرًا وحزينًا، رحلت إلى العالم الآخر، ولن تعود أبدا إلى ذلك المتنزه العاجز. تصورت الدلو والتفاح. من الواضح أنها لم تكن تأكل أو تبيع الفاكهة المتعفنة. شعرت بالإعياء .

في تلك الليلة مات السيد كيم وحزن الجميع لموته. وبدا الأمر كما لو أننا فجأة أدركنا تعاسته وسوء حظه الذي أخفاه أخوه المخلص. الرجل الذي اعتاد أن يعبر الحدود لثلاث أو أربع دول، كما لو كان يقفز فوق أسوار منسوجة قضى عشر سنوات محبوسا في تلك الحجرة الضيقة. ما الذى ينتظره السيد كيم؟ كان ينتظر الموت الذي بدأ يتسلل من بين قدميه إلى قلبه.

اشترى السيد تشوي الكفن وعلق السيد چواك أنوار الحداد. الحي الذي كان مملوءًا بالرياح العنيفة والباردة منذ أن بدأ الشتاء، أصبح مزدحما بأصحاب الأمنيات الجميلة. النساء بكين عندما دخلن حجرة السيد كيم. لكن السيدة كيم لم تبك. إنها قادت جنازة زوجها

بفرح كما لو كان قلبها فى قسوة الحديد وتنتظر هذا اليوم منذ مضي عشر سنوات. السيد كيم الذي كان يشغل حجرة في حجم الصندوق أثناء حياته، وحتى عندما مات شغل مكاناً أصغر. كفنه كان أصغر شيء رأيته في حياتى كان صغيرًا جدا. زوجته وأطفاله حاموا في المكان ولم يقدموا أي مساعدة في الخارج لا يوجد مكان حتى لأحسن أصدقائه السيد تشوي والسيد غواك. ولهذا كانوا أكثر حزنا وغربة مما كانت العادة.

لمدة طويلة نظرت إلى مصابيح الحداد المعلقة في نهاية الحي. إن استطعت أن أرى ضوءًا خافتًا من شباك منزلنا. قطع ثلج كانت تتساقط تحت الضوء الذي كان لامعا مثل الفراغ الذي شغله السيد كيم.

القس تشا

ذات يوم ذهبت إلى الكنيسة مع أمي. الرحلة كانت صعبة ومربكة. كانت الطرق زلقة حيث لم تستطع الأم أن تمشي دون مساعدتي. لم أكن أعتقد أن الكنيسة التي تشبه الخيمة على التل بعيدة جدا، وعندما وصلنا إلى هناك مجتهدين. كنت غارقًا في العرق وقدماي كانتا ترتعشان.

لم أعرف لماذا قررت الأم أن تذهب إلى الكنيسة فجأة. بودرة اللبن التي كانوا يزودوننا بها نفدت خلال فترة قصيرة. لبعض الوقت فكرت أن الكنيسة لا تستطيع أن تزودنا بأى شيء. البنت التي تعرضت لاغتصاب أخبرتني بأنك تستطيع أن تنسى جوعك عن طريق الصلاة ولكن ذلك لم ينفع معي. لذلك لم أفهم لماذا قررت الأم الحضور للكنيسة فى هذا الوقت المتأخر. الأوجه المألوفة كانت تتجول في ساحة الكنيسة المغطاة بغبار الفحم. منذ مرور بعض الوقت كنت مشاركًا مخلصا أيضا وشعرت بالحرج عندما رأيت هذه الأوجه المألوفة ولكن ليس بسبب الأم. الحمد لله أنهم لم يزجروني ولكن رحبوا بي بحرارة وبفرح مسكوا أيدينا كمن وجد أمه المفقودة وطفله الوديع. أياديهم كانت متجمدة من الصقيع ولكن قبضة أيديهم أثارت الدفء في قلوبنا.

"لقد أديت عملاً عظيمًا يا بني، بارك الله فيك" قال القس تشا الذى كان واقفا قرب المدخل وطبطب على رأسي. كان مرتديا بدلة رغم أنها قديمة وحتى كان يرتدي كرافتة.

سمعت بعض الشائعات عنه وكان من الصعب أن تعرف إذا ما كانت سمعته طيبة أو سيئة بين سكان المدينة. شخص ما قال إنه رأى المحترم تشا وهو سكران. طبقا للشهود كان يتجول خلال الشوارع وجهه أحمر وسكران. شائعة أخرى كانت تقول إن بعض

المجتمعين مسكوا المحترم يشاهد فيلما خليعا في مسرح درجة ثالثة في ضواحي المدينة. وهناك من يقول إنه تعارك ذات مرة مع زعماء عصابات وإن هؤلاء طاردوه! ولكن من بين كل هذه الشائعات واحدة أثارت ضيق الجميع وكانت عن "الأوراق النقدية الحمراء" من الواضح أن المحترم تشا لم ينس قط أن يشير إلى "الأوراق النقدية الحمراء" أثناء خطبته. كما لو كان يزجر المجتمعين " من فضلكم لا تخرجوا الأوراق النقدية الحمراء أمام الإله؛ لأنه من المحرج أن تقدموا أوراقًا ملطخة إلى الإله ولأنه لم يكن يخطب فى فصول الأطفال لم أسمع هذا الخطاب بنفسي.

بالطبع القصص الموجودة خلف المشاهد فسرت كل الشائعات وزادت من وقار المحترم تشا. على سبيل المثال حادثة السكير: طبقا لشخص ما كان السيد تشا مخمورا بالفعل. لكن لأنه لم يتعاطَ الكحول مثل العديد من السكارى في منطقتنا. إنه لم يشرب "مشروبًا" روحيًّا فقط ولكن أيضًا ما تبقى بعد تصفية المشروب السيئ. فهمت أيضا أن البقايا لم تكن سيئة أو مسكرة، بل كانت شيئًا ضروريا يوميا لنا مثل الخبز عندما يخلط بقليل من السكر.

إذن فالنقد كان يجب أن يوجه ليس إلى الموقر تشا الذي كان يزور صاحب منزل الاجتماع ولكن إلى فقر الأخير. لم يكن لديه شيء آخر يقدمه إلى المحترم، رغم حادثة السكر التى كانت بسبب

الفقر. لم يكن هناك شيء ما يستحق النقد. استطعت تخيل الموقر تشا يشارك في الطعام ويصلي. وما تبقى من الكحول فيه سوف يجعل أي جسم غير مدرب يتأرجح مثل السكارى.

حادثة السينما أثبتت براءته أيضا. يقولون إن المحترم لم يحاول أن يرى ممثلة فى مشهد خليع أو مشاهد حربية عنيفة. كان يدرس الحرب الحالية. من الواضح أنه كان يحملق في جموع اللاجئين القادمين من الجنوب وحركته مشلولة خاصة مع وجود ترجمة للفيلم لدرجة أنه لم يكن يستطيع التنفس.

الموقر تشا لم يكن لديه أسرة وثروة أو ممتلكات يتفاخر بهـــا. عاش في جزء من الكنيسة التي كانت محصورة بحـــوائط خشـــبية، وكان يتناول وجباته في أي مكان يوجد فيه الطعام. أثناء النهار كـــان يذهب إلى أي مكان تقوده قدماه إليه. رغم كل هـــذه الشـــائعات لـــم يصدق أحد أنه سوف يحتفظ ببذرة خردل لنفسه. المحترم تشـــا كـــان ينتمي إلى هذه النوعية من الأشخاص لذلك كل قصص القتـــال مـــع العصابات ومطاردة الدائنين له أو تجوالـــه ومـــا يحـــدث بالنســـبة "للأوراق الحمراء" أثناء خطبه لم تكن محسوبة ضده. فأنا مثلا كنـــت أعتقد أنه كان له غرض أكبر وأكثر نبلاً.

كان شعوري طيبا عندما شعرت بيد المحترم تشا على رأسي. قررت أن أذهب إلى الكنيسة كل أحد حتى لو لم يوزعوا بودرة اللبن .

الأرضية الخشبية كانت مغطاة بالثلج لدرجة أن ذقوننا كانت ترتعش، ولكن الأم جلست خلال عظة من البداية إلى النهاية. لم تعرف ترنيمة واحدة أو عبارة من اعتقاد الرسل. كانت تعرف فقط أن الصلاة تبدأ بإغلاق العيون وتنتهي بكلمة "آمين"، ولأنها وصلت إلى الكنيسة بصعوبة بعد المرض الطويل. كنت مندهشا من قدرتها على أن تجلس خلال العظة الطويلة والمملة. إنها حتى لم تكن تبدو مريضة وكانت في راحة أكثر مما كانت عليه وهي راقدة في أكثر الأركان دفأ فى حجرتنا الصغيرة .

اليوم التالي قام المحترم تشا بزيارة لنا. مازلت أتذكر الحوار الذي قام به مع الأم بعد الصلاة .

" يا محترم هل سيعود أب ولدي والأخت إلى المنزل لو آمنت بيسوع ؟" هذه كانت آخر أمنياتها .

بوضوح سمعت إجابة المحترم تشا السهلة " نعم، فقط صلٍّ إلى يسوع بعد ذلك سيأتي اليوم الذى تستطيع كل الأسرة فيه أن تعيش معا "

الأم سألت مرة أخرى وبحذر "كيف يصلي المرء يا محترم؟"

أجاب المحترم تشا "افعليه مثلما تريدين إلى آلهة العقل والحكمة القديمة"

عندما غادر، قال إنه سيحاول أن يجعل الأم تحصل على علاج مرضها الذى أصبح أكثر خطورة. لم يتحدث قط عن معجزات يسوع التي أخبرنا عنها المدرسون فى مدرسة الأحد. كم كمية السعادة التى كانت ستحصل الأم عليها لو حكي لها عن علاج يسوع للأبرص والمشلول والأخرس وإنقاذ طفل من الأرواح الشريرة. خاب أملي لكن لم يكن لدي الشجاعة الكافية لأن أطلب منه أن يسرد هذه المعجزات. المحترم تشا ترك خلفه عددا "قليلا" من مغارف الشوفان المضغوط، الذي أحضره في كيس من الورق وكمية صغيرة من النقود.

عصائد دون مرق

أتت أختي في أول زيارة لها منذ أن ذهبت لتعيش في منزل التوفو.

قالت: "إنه عيد ميلاد أخيها لذلك لا نعمل اليوم". لم أسأل لأننى كنت لا أزال غاضبًا منها، لا يهمني أن أعرف تفاصيل عن ذلك دون

الإشارة إلى أيٍّ من إخوة التوفو الذين يحتفلون بعيد ميلاده. فقط تمنيت ألا يكون عيد ميلاد الأعرج .

الأخت كانت تبدو أنشط عما كانت عليه عندما كانت تعيش في المنزل. كان ذلك طبيعيا لأنها استطاعت الهروب من الفقر عندما غادرتنا. هذه الحقيقة جعلتني أكثر غضبًا، فوجهها أصبح بدينًا وجلدها كان أبيض وناعمًا مثل صديقتها لحمة التوفو، لكنها لم تكن قادرة على أن تذهب لملاقاة أولاد الحي؛ لأنها كانت سرعان ما سوف تصبح زوجة الابن، فيجب أن تكون عفيفة وطاهرة وليست متوحشة مثل الابنة.

الأخت أعطتنا هدايا قليلة وورقتين نقديتين مطويتين داخل ملابسها. كانت تبدو فخورة وقالت "يا أمي هل هناك شيء ما تحبين أن تأكليه؟"

بسرعة نظرت إلى الأم الجالسة بجوار الحائط الخشبي، والتي كانت تتأمل شيئًا ما.

استوعبت الأمر واستطعت أن أجمع شذرات عما كانت تفكر فيه. تغير كبير حدث للأم منذ أن بدأنا في الذهاب إلى الكنيسة. أحسن ما في الموضوع أنها كانت تسترد الأمل. رغبتها كانت أن يتم جمع شمل الأسرة مرة أخرى. كان واضحًا أن الأم تؤمن بأفكار المحترم

تشا في هذه المسألة. بعد ذلك اليوم الأول تعاود الأم الذهاب إلى الكنيسة مرات كثيرة. وكانت تجلس في المنزل في مواجهة الحائط باستمرار ولم تكن تتحدث بصوت عال، ولكنني عرفت ما كانت تفعله. كانت تصلي ما تملك من إخلاص تتبتل لآلهة الحكمة القديمة للأمومة. بدأت الأم أيضا تأكل قليلا واعتقدت أن ذلك كان تغييرًا طبيعيا. ربما تكون قادرا على المعيشة على كلام الله ولكنك لا تستطيع أن تعيش فقط على الماء. لكن الأم استطاعت أن تقتات على الماء مدة طويلة. لم تكن تقدر أن تشبع شهيتها الجديدة ولكنها أيضا لم تستطع أن تهضم ما أكلته. إنني أشعر بالأسف لها. يا لها من مسكينة!

تغير أو تحول الأم كان صعبا بالنسبة لي أن أتفهمه، كيف تستطيع يدي الصغيرة أن ترضي شهيتها التي زادت طلباتها مثل طفل صغير؟ النقود التي استلمتها مقابل إرسال أختي بعيدا، وهو أمر سوف يعذبها للأبد تلك النقود قد انتهت منذ فترة طويلة الشتاء قد انتهى بعد في ذلك الوقت، ولكنني كنت على وشك أن آخذ الدلو وأذهب إلى الشوارع المليئة بالصقيع مرة أخرى .

من المؤلم أن الأم لم تكن تقدر أن تهضم الطعام الذى بدأت تأكله أخيرًا. كانت الأم ترتكب أخطاء مرات قليلة كالطفل المعوق. لم يكن ذلك فقط بسبب معدتها التي ضعفت بسبب هضم المياه فقط لمدة

طويلة، ولم ينفع وجود ثلاثة حمامات عامة في منطقتنا. لم يكن من السهل بالنسبة للأم أن تقطع كل الطريق إلى هناك. وبعد أن ارتكبت خطأين استطاعت أخيرًا أن تقضي حاجتها الملحة في الحجرة .

أخفقت توقعاتي بعد التفكير لمدة طويلة. فتحت الأم فمها " ماذا تسمي هذه الأكلة" العصائد الصينية دون مرق ذات مرة " كانت مرتبكة كبنت خجولة، وتذكرت عصيدة الفول الأسود التي أعطتنا إياها السيدة كيم ذات مرة، كان اليوم الأول والوحيد عندما ذهبت لزيارة الطبيب "إنك تعنين عصائد الفول الأسود يا أمي؟" قلت بصوت عال وأومأت هي بابتسامة .

تسلمنا وعاءين من العصائد دون مرق. مالت الأخت تأكل من أحد الوعاءين. إذن فسوف يكون لي وأمي وعاء واحد أكلنا دون توقف للتنفس. الطعام الذي أكلناه ذلك اليوم يستحق أن يسمّى باسم أجمل من عصائد الفول أو "عصائد دون مرق" لكن الأم سمته "عصائد بلا مرق" وكان ذلك الوعاء من العصائد ذات المرق القليل أحسن وآخر وجبة أكلتها في هذا العالم.

رحلت الأم أخيرا قبل غروب الشمس. بعد مضي ساعة أحضرت السيدة كيم الطبيب الذي قال إنها أسقطت الجنين. لم يكن اعتقادنا أنها ماتت بسبب عسر الهضم سليما. عندما أخذ الحقيبة

وسار بعيدا قال الطبيب " الجنين لم يستطع أن يعلق أو يثبت لأن الأم كانت ضعيفة. لو ترسلون شخصا ما فيما بعد سوف أعطيه شهادة الوفاة". نظرت إلى ذلك الرجل الذي كان يرتدى بالطو أبيض لا يزال لديه جلد أبيض ورقيق مثل المرأة. أوصلته السيدة كيم حتى الباب.

حتى الآن لا يزال حلقي يصاب بانسداد كلما تذكرت بكاء أختي المؤلم وتنهداتها. سرعان ما ملأ جيراننا مدخل الباب إلى حجرتنا، لكن الأخت فقدت الوعي تماما. وانحنت تعتصر جسم الأم .. موتها لم يكن صدمة بالنسبة لي. لم أستطع أن أفهم أين كانت تلك التنهيدات والصرخات العنيفة والتعيسة والحارة مختبئة في جسم أختي الصغير. من قدمها حتى شعرها، لم يكن هناك جزء واحد منها لم يبك بقوة. أغمي عليها مرات عديدة لولا أن السيدة كيم صفعتها وشدتها لواجهنا احتمالاً بأن يكون لدينا جثة صغيرة أخرى بين أيدينا.

أعرف كيف أبكي مثل البكم

جنازة الأم انتهت في اليوم التالي. كانت جنازة موحشة دون وجود مصباح واحد للحداد. لم نكن نستطيع أن نفعل أي شيء دون مساعدة السيد تشوي. مكث معنا من لحظة موت الأم إلى اليوم التالي ومراسم حرق الجثة. رغم الجنازة الضئيلة كان مطلوب قليلاً من المال. لم أعرف من أين حصلنا على المال، من المحتمل أن يكون

السيد تشوي أو السيد بواك أو أحد من أسرة لحم التوفو، فرغم الفقر كانت قلوبهم كريمة بلا شك.

ودعنا الأم عند النهر الذي كنا قد عبرناه لجمع الفاكهة في الصيف الماضي. لم يكن سهلاً عبوره، لأن النهر كان متجمدا وبه صقيع. كنا مضطرين أن نمشي على الثلج للوصول إلى منتصف النهر. كنت مرعوبا لأن السيد تشوي ظل يحذرنا أن نكون حريصين من خلفه. لكن الأخت بعد أن تغلبت على حزنها العميق كانت مخدرة تمامًا. الماء في وسط النهر كان أكثر برودة ووضوحا بسبب الثلج. كان يوما مشمسا رغم أن الرياح كانت قارسة. رقص الضوء بلمعان على سطح الماء؛ لذلك عندما نثرنا جسد الأم المتحول إلى رماد في النهر، كان اللمعان قويًا ورأيت سربًا من اليعسوب يطير في لمعان وشفافية .

تناولنا شربة العصيدة في الغداء في طريقنا البارد والموحش إلى المنزل. لم نأكل أي شيء ليوم كامل. أنا والسيد تشوي أنهى كل منا الوعاء الخاص به لكن الأخت فقط ارتشفت المرق مرة أو مرتين. شعرت بالسوء وكنت قلقا أن ينتهي أمر أختي في الفراش مثل الأم لكنني لم أكشف عن أفكاري.

الأحياء في منطقتنا كانت خالية. لاحظت الفراغ أكثر من أي وقت، الأرض كانت مغطاة بغبار الفحم والمجاري النتنة والمتجمدة، والأسقف المغطاة بقطع من العلب والقصاصات والحوائط الخشبية التي بها شروخ وألوانها الباهتة، والمدرسة الدمية التي في نهاية الحي كانت هادئة، أيضا حيث يوجد بها غبار متكوم في فنائها. العطلة الصيفية لم تكن قد انتهت حتى ذلك الوقت. ماذا يفعل البكم الآن؟ كنت أتساءل ولسبب ما لم أستطع أن أحافظ على هدوئي.

لو لم نتقابل بالصدفة في الحي مع البنت التي تم اغتصابها، لما استطعت أن أتغلب على عواطفي.

كانت مع والدها الذي يتكئ على عصا بسبب ظهره المصاب. ويستطيع المشي دون مساعدتها وكانت مسافة معقولة. ابتسمت قائلة "والدي يستطيع أن يمشي بنفسه".

موت الأم غاص في الكلمات في النهاية عندما عدنا إلى حجرتنا الصغيرة حيث الجزء الدافئ، الذي كانت ترقد فيه وإناء مائها الموضوع منذ مدة طويلة كان ذلك الجزء أول شيء لاحظته. لم يعد هناك أي شيء لا الأم ولا إناء الماء. فجأة شعرت بألم حاد في قلبي كما لو أن سهمًا قد أصابني. لم أستطع أن أعبر عن غياب الأم بالكلمات. اتكأت بظهري على الحائط. لم أستطع أن أوقف انفجار

الدموع، وواريت وجهي بين ركبتي ولم أذرف أي دموع. أخيرا تعلمت أن أبكي مثل الأبكم.

الجزء الثالث

ساعة اليهود

الصيد

كنا نذهب إلى الصيد كل ليلة. كان نشاط الخريف لا يمكن مقارنته بالخريف الماضي رغم نشاط ووفرة فرص اصطياد الفراشات واليعاسيب. الخريف الفارغ والشتاء العاري والربيع الجائع فصول انتهت. الصيف اكتظ بالشر، كنا مشغولين تماما بالصيد كل ليلة. كنا نتقابل كل مساء في طرق السكة الحديد قرب جيراننا عندما تغيب الشمس في الأفق الأحمر خلف التل يخيم الظلام على مدينتنا. خيام الشمس المموهة والأسقف المغطاة بالمشمع سوف تزول وتختفي عن أنظارنا في الظلام عندما نتقابل في طرق السكة الحديد.

قبل كل رحلة صيد كان واحد من الأولاد الكبار يقوم بنداء الحضور. يكون بالغًا وفتيًا وكان يمكن أن يشارك في الحرب لو استمرت عامًا واحدا. لم يكن الولد ينسى أن يفعل هذا. كنا دائما هناك جميعا ما لم يحدث شيء ما. لم يرغم أحد على الخصوم. فرحة الصيد استولت علينا تماما؛ لذلك لا أحد منا استطاع أن يتجاهل اللعبة أو المباراة المثيرة. بالطبع كانت توجد أوقات نادرة يفشل فيها شخص ما في الحضور. كنا نغادر متأخرين في تلك الأيام، وكان الطفل الغائب يدان أمام الجميع. نظرنا جميعًا حولنا في الظلام متذمرين .

"من ابن العاهرة هذا؟"

" أليس هو طفل سول تاي-چيل؟ لم أره، هل رأيته ؟"

" المفروض أنه لم يأت مرة ثانية ويجب أن نطرده للخارج "

كان كل ثماني أو تسع مرات من عشر يكون الطفل المفقود تاي-چيل ولكنني فهمت موقفه. كما عرفنا جميعا أن له أما كانت تضربه كل يوم. إنها فعلا مأساة لن تنتهي ما لم تقم بتغيير معتقداتنا بالنسبة لضرب ابنها بالسوط، تلك كانت الطريقة الوحيدة لحمايته من الأوقات الصعبة والمظلمة. وكلما كانت العلقة التي تعتبر خبزه اليومي ساخنة كانت رحلة الصيد تفوت تاي - چيل المسكين. لم يكن اعتقاد الأم الأعمى والغريب الشيء الوحيد الذي يمكن إلقاء اللوم عليه. إن الضرب الحاد والمبرح لم يكن يهم فهو يمنع شرور العالم. معظم الآباء كانوا يعتقدون أنه يطرد ويدفع الشر في العالم، لذلك أتمنى فقط أن يتعاطف الجميع مع سوء حظ تاي-چيل المسكين. لكن الأطفال واصلوا الشكوى واللعنة عليه وقتًا أطول.

كانت أماكن الصيد بالنسبة لنا هي الشوارع المزدحمة من المدينة؛ الشوارع التي أتلفتها آثار الحرب الكئيبة حتى أثناء ليالي الصيف. بسبب تخفيض الطاقة لم تُضأ أنوار الشوارع. خيم الظلام على أرواحنا المغامرة. أعمدة كثيرة غير مضاءة كانت في الشوارع

الهادئة. إنهم أعدوا المسرح لصيدنا ومطاردتنا. تقدمنا مثل الجيش الغازي وبسرعة انتشرنا نحو مصيدة واحدة في الظلام. الصيد على وشك أن يبدأ. كل مرة ينتابني الشعور بهواء الليل الصيفي الحار. وهو يتّلامس مع جلدي ويلتف حولي مثل القماش الأبيض المبلل. إنني أرتجف بعنف.

الطعم كان مطلوبا لإغواء ضحيتنا. الأولاد الكبار كانوا دائما يختارون بحرص. كنا نحتاج واحدًا من ذلك النوع الصغير والضعيف. كان اللاعب الأساسي في الصيد. كان الدور أكثر فرحة، وكنت محظوظا أن يتم اختياري مرات عديدة لا يمكن تخيل تلك الإثارة مشيت حول نفسي مثل الإمبراطور. لم أخش أحدا. وضعت يدًا واحدة بفرح تحت الحزام والأخرى ضمت أصابع قبضتها، وقمت بالتصفير: "القطار رقم ١٢ إلى سول وليلة سيلا القمرية" من خلال أسناني. بالطبع كان يحق لي الشعور بالغرور لأن الآخرين كانوا مختبئين في الظلام من ورائي. ومما يدهشني أنني كنت دائمًا أنسى رغم أنني كنت صغيرًا وضعيفا. وكنت أعتقد أنني أمتلك قوة مذهلة داخلي. ساقاي وذراعاي شعرت بالقوة وقلبي متلهف. تقاتلت مع الجميع وكنت أقسم مثل البحارة وأحرك قبضتي الصغيرة بلا خوف. كنت أفضل من أي شخص آخر في إغواء الناس إلى مصيدتنا حيث كان يتم الثناء عليّ بعد ذلك.

رحلات صيدنا ومطاردتنا كانت دائما ناجحة. كان الجميع يسقطون بسهولة في مصيدتنا. لم نهتم بمن كان ضحيتنا. لا يهم حتى لو أدرك تهوره بسرعة. تحسسنا الظلام قبل أن يخرج الطعم وانتشرنا حوله مثل النحل وقمنا بصب النار عليه. لا أحد صارعنا أو تشاجر معنا. إنه انتهى في خلال دقيقة أو دقيقتين. حتى هؤلاء الذين قاتلوا في الخلف في البداية سوف يسقطون على ركبهم. لم أعتقد أن السبب هو كثرتنا لو كان ببساطة انتصارًا للأعداد، فإني لا أعتقد أن الصيد استطاع أن يأسرنا أو يستولي علينا مثلما فعل. مازلت أتذكر الطريقة الجنونية التي كنا نلتقط بها فريستنا والنوم العميق الحلو، الذى سوف أغرق فيه عندما أصل إلى المنزل بعد ذلك.

صالون حلاقة العصابة

لم نكن نحن الأطفال فقط الذين انشغلنا بألعاب الصيد أو المطاردة، لكن الشباب كانوا منشغلين بأنشطة مشابهة. الأحداث التي تورط فيها محل حلاقة العصابة خير مثال على ذلك.

كان يوجد على الأقل خمسة أو ستة محلات حلاقة في مدينتا الخشبية، لكن واحدًا فقط كان له لافتة على بابه والبقية كانت غير مرخصة. كان هناك اختلافات كثيرة تشمل نوعية الأدوات ومهارات العاملين إضافة إلى أسعار وأنواع الزبائن. من الحماقة أن نفكر

مرتين نحن الأطفال مثل دخول أي من النوعين. راضين بروؤسنا المحلوقة التي كانت تشبه (أبو فروة) وكثيفة الشوك التي كانت تكشف البقع الجافة، ولم نهتم بالتسهيلات والأدوات والمهارات أو الخدمة. أحيانا كنا نقرفص في الشوارع ونسلم رؤوسنا إلى حلاق متجول.

محلات الحلاقة غير المرخصة لم يكن بها أي كراسي. كانت هناك مقاعد مصنوعة من الأخشاب الجامدة. كأن النجار صنعها وفي ذهنه راحة الحلاق وليس راحة الزبون. علاوة على ذلك ماكينة قص الشعر ذات الأسنان المفقودة ومهارات الحلاق المفتقدة، وعدم الاهتمام تتكفل بأن يبدو شعرك في حالة مزرية. قلبي توقف عندما مسك الحلاق الموسى. الحصول على حلاقة شعر كانت محنة ضخمة، وأحيانا بلدغات لاسعة من ماكينة الحلاقة الملوثة .

لو أخذت كل هذا في الحسبان فإن الحلاق الوحيد الشرعي في المنطقة يحتمل أن يكون أيضا في كوكب آخر. كان به ثلاثة كراسي معدنية مصممة لراحة الزبائن. كان هناك العديد من الحلاقين المهرة والكوافيرات اختصاصيات التجميل اللاتي يرتدين مرايل بيضاء. إنهم يغسلون شعرك بماء دافئ في كل شهور السنة ويعتنون بوجهك ويقصون أظافرك. ويقلمون أظافر القدم ويهذبون الشعر، الذي ينمو في الأذن والأنف لم يكن كل من يعيش في تلك المدينة فقيرا؛ لذلك نجح محل الحلاقة. من بين الناس الذين عرفتهم السيد چواك والسيد

تشوي وأب التوفو وإخوته الأربعة وصاحب مصنع قماش وصاحب محل إصلاح الراديوهات، وأيضا السيد كيم ومصاب القنبلة عندما كان ما زال حيًا كان يستدعي الحلاق وسيدات التجميل لمنزله لحلاقة شعره، وكان زوج ابنته يذهب إلى الحلاق باستمرار أكثر من أي واحد آخر. على كل حال لو كنت واحدا منهم فإنك من بين المختارين للمعيشة في مدينتنا الخشبية. أغلبية السكان بما في ذلك الأصدقاء كنا نوجه لهم نظرات الحسد.

لكن محل الحلاقة ذلك كان به خطأ أساسي "محل حلاقة كانغ" كلمات محفورة على اللافتة كنا نقرؤها محل حلاقة العصابة بعد استبدال حرف واحد من الكلمة - المالك كان شابا ويسمي كانغ،إنه أصغر الحلاقين الثلاثة وكان له خصر رفيع وبشرة صافية مثل بشرة المرأة وكان أنيقًا وعلى الموضة. ياقته كانت نظيفة ورأسه بها كريم شعر معطر وشعره في تسريحة جميلة فكل شعرة في مكانها السليم. عندما يكون بلا عمل. كان يجلس على أحد الكراسي في اتجاه الشباك وينظر إلى الشارع الذي تسطع عليه الشمس. حملقته كانت باردة وهادئة مثل مظهره. لو صادتنا حملقته ونحن نختلس النظر داخل محل الحلاقة فإننا سوف نخجل بسرعة. سوف لا نقدر أن نحرك أرجلنا لأنه كان سرًا غامضًا بالنسبة لنا.

محله المزدحم شهد زبائن غير مرغوب فيهم، رجال اعتمدوا على الفتونة لكي يعيشوا في المدينة والسوق. يأتون إلى محل الحلاقة عندما يريدون تضييع الوقت أو لعمل منظر. أثناء أوقات الظهيرة البطيئة يحلقون ويغسلون وجوههم ويقولون نكاتًا قذرة ويشغلون الكراسي الفارغة ويشخرون، بينما العاملون والموظفون ينظرون إليهم. بدأنا نسميه محل حلاقة العصابة بسبب هؤلاء الرجال. الزبائن الخائفون كانوا ينظرون من بعيد ويعودون. المشكلة الأكبر لمحل الحلاقة أنه يبدو مكانًا مثاليًا لاجتماع زعماء العصابات. من الطبيعي أن تتعامل إدارة المحل مع مثل هذا الموقف. لكن لا أحد يبذل ذلك النوع من الجهد هناك. السيد كانج لم يبدُ أنه يعبأ بالزبائن غير المرغوب فيهم أو سلوكهم الوقح. بالطبع الفتونة وليس القانون هي التي كانت تحكم عالمنا. ما زلنا لا نعتقد أن السيد كانج تركهم لأنه كان غير واثق من فتونته وقوة قبضته. كان – كما قلت من قبل – شخصًا غريبًا وغامضًا وهشًا مثل البنت الضعيفة، وكان يبدو من النوع المخنث الذي تراه في غيسينغ، ولكنه امتلك قوة السفاح وبرودًا حادًا مثل السكير. كان معروفا بأنه عضو من وحدة قوات خاصة في الحرب من الواضح أنه كان يعبر عتبة الموت ليل نهار. قال الناس إن هؤلاء الذين قتلوا كونوا فصيلة كبيرة وإن ذلك الوزن من الميداليات التي حصل عليها مقابل خدمات الحرب المميزة كان حملًا

ثقيلاً. لم نسمع أي حكايات أو مغامرات ولم نر إحدى ميدالياته. أعتقد أنه حتى الناس الذين كانوا يقولون عليه ويطلقون الشائعات لم تظهر لهم بطولاته، لكننا صدقنا تلك القصص عندما كشف السيد كانج قدراته الهائلة في لحظة كما لو كان يريد أن يزرع فينا إيماننا به.

الحادث المخيف والأول الذي حدث في الربيع الماضي. كان محل حلاقة كانج قد مر على افتتاحه نحو شهر. الرجل الذي ألقي من الباب الزجاجي الكبير لمحل الحلاقة تدحرج إلى خارج في الشارع. كنا نتفحص ذلك المكان في ذلك الوقت وتراجعنا خائفين. كان أصلع وعجوزا. اعتقدنا أنه لن يقوم مرة ثانية ولكنه قفز إلى أعلى وجمع القوة الدفاعية. لم نستطع أن نغلق أفواهنا وأدركنا أنه لم يكن رجلاً عاديا. سال الدم من جبهته مثل الثعبان. حاجباه كانا كثيفين ونظر بوحشية نحو مدخل الباب "يا حمار من الأحسن لك أن تخرج إليّ" صاح"، "إنني لم أمت بعد يا ابن العاهرة" صيحاته الواثقة كانت جوفاء رغم ذلك ظهر السيد كانج من مدخل الباب المنهار وكان أنيقا كالعادة؛ كانت ياقته نظيفة وشعره عليه كريم معطر وفي تسريحة جيدة. فقط عيناه كانتا تلمعان وكانتا أكثر برودة مما سبق.

صدمتنا كانت كبيرة. لم نعرف أي شيء عن السيد كانغ. كان صاحب محل الحلاقة الجديد الشاب الذي يشبه البنت. لم يكن الخصم رغم كبر سنه، ضعيف البنية. حتى في آخر لحظة، لم نستطع أن

نتخيل أن السيد كانج يستطيع أن يقاومه. انتهى في لحظة. توقعاتنا كانت مقلوبة تماما. كانت تلك الصدمة التي استولت على قلوبنا لمدة أيام بعد ذلك. الحادث كان الشيء الوحيد الذي تحدثنا عنه، ولم نستطع أن ننساه كما لو كان مشهدًا مثيرًا في فيلم. رأينا نظرات السيد كانج الباردة والمتجمدة. رأينا خصره الذى يشبه خصر المرأة منحنيًا مثل القوس ونهايات أطرافه الأربعة تطير للأمام وتصيب هدفها الخصم في الأماكن الضعيفة بحدة ودقة. مقاومة الرجل كانت مؤسفة تهاوى عاجزًا ولم يستطع أن يستيقظ مرة ثانية .

لكن هذا كان مجرد استهلال. بعد ذلك اليوم، مشاهد مشابهة حدثت في محل حلاقة كانغ. الممثل الأساسي كان السيد كانج الذي كان دائما يفوز. تغير الخصوم كل مرة لكن لم يستطع أحد أن يهزمه. أحيانا كان السلاح يبدو مثل الدعامة ومرات أخرى كانت مجموعة من الناس تشارك، لكن النتائج كانت دائما واحدة. كان ذلك بفضل الحركات البطولية للسيد كانج وأيضا بسبب زبائنه الذين يساعدونه عند الضرورة.

على كل حال، رغم مظهره الهش والضعيف، السيد چواك الغامض كان يشبه العمالقة ومحل حلاقة العصابة كان يبدو مثل مملكته. تمنينا أن يكون الخصم قويًا لتكون المباراة أفضل. بالطبع تساءلنا لماذا يمثلون هذه المشاهد الدرامية. لكننا لم نكن مهتمين

بالإجابات الممكنة كنا مهتمين فقط بالمشاجرات الدموية. لم نهتم أن نعطي الأمر تفكيرًا عميقا. بدلا من ذلك توصلنا إلى نتيجة سريعة.

هؤلاء الرجال كانوا يحبون أن يلعبوا تلك الألعاب بطريقة مشابهة لتلك التي كنا نرغب فيها في الصيد ليلا.

ملكة النمل وجنود النمل

وقع حادث مروع في محل حلاقة العصابة ونحن في ذروة مطارداتنا الليلية. السيد كانج الذي لم يذق طعم الفشل قط كان يعاني من هزيمة مؤقتة.

السماء أمطرت وتوقفت عن المطر في نهاية سلسلة من الأيام الحارة والمشتعلة. كان يبدو كما لو كنا على حافة موسم مطير لأن السماء كانت معتمة منذ الصباح. كنا في قلق ومحبوسين في الدخل طوال النهار؛ لأن الأماكن كلها كانت مبتلة في الخارج. من المحتمل ألا نصطاد في تلك الليلة. بعد تناول العشاء في مصنع التوفو، وبدقة أكثر بعد حصولنا على الهدايا والأشياء المجانية والعودة للمنزل في تعاسة. قابلت تاي-چيل بالصدفة.

"إنه حدث! شيء ما حدث! قال بأنفاس لاهثة؟"

" ماذا تقصد أين، بالطبع إنه في محل حلاقة العصابة، لكن السيد كانج هُزِم شر هزيمة وخسر تماما!".

شعرت بصدمة فجائية كما لو كنت قد صعقت بالكهرباء.

لم أضيع الوقت في النظر إلى تاي-چيل مقطوع النفس. بدأنا نتسابق إلى محل الحلاقة.

الدراما كانت قد انتهت بالفعل بمغادرة كل الممثلين الأساسيين لم يكن هناك سوى المسرح الخالي ينتظرني، لكن لم أكن محبطا لأن المشهد سحقني وأربكني. المحل كان خاليا تماما. الآلات والأجهزة كانت في أماكنها لكن لم يكن يوجد أي موظفين أو عمال أو المالك، هذا فضلاً عن الزبائن. فقط خبيرة التجميل كانت واقفة قرب المدخل. لم أرها خائفة هكذا، كانت تتمتم بصوت مرتعش موجهة كلامها إلى الناس الذين تجمعوا، لكن يبدو أن لا أحد كان يفهم ماذا تقول.

"الشخص ذو الذراع الواحدة طعن السيد كانج بخطاف كان موجودًا على ذراعه الصناعية" همس تاي-چيل وهو لا يزال مقطوع النفس "انظر يوجد دم !!".

لاحظت أخيرا الدم المسكوب على الأرض ينتشر من مدخل الباب إلى الزقاق. بسبب الظلام في ذلك اليوم كان الدم يشبه دلوًا من الحبر الأسود قد بلل المكان.

قالوا إن السيد كانج نقل إلى المستشفى على ظهر حلاق آخر.
الآن ظهر ذلك الخصم القوي. شعرت للحظة أنني أتمزق. دائما كنا نرغب في خصم أقوى لكن لم يكن بسبب شعورنا بنوع من الكراهية نحو السيد كانغ، إننا لم نملك سببًا لكراهيته. كان بطلنا ومعشوقنا. لم نرغب قط في تدميره بل واصلنا الإيمان به وتصديقه. ولكن الآن يبدو الأمر كما لو كنا نأمل تدهوره.

تمتم تاي-چيل في الطريق إلى المنزل "رغم أن السيد كانج خسر فإن خصمه لم يقاتل حسب الأصول والقواعد وسمعت طعنة من الخلف".

لم أرد. كنت مكتئبا وقلقا. ظل تاي-چيل يواصل كلامه غاضبًا ومصرا أن هذه المباراة لا وزن لها ولا يعول عليها؛ لأن الخصم لم يلتزم بالأصول والقواعد المتبعة.

يجب أن تعاد المباراة مرة ثانية. وسنعرف من الأقوى في الحقيقة لو أعيدت المباراة بشكل رسمي. لكنني لا أعرف إذا ما كان السيد كانج سيظل على قيد الحياة، لأنني رأيت الناس يحملونه إلى الخارج ورأسه كانت مربوطة بضمادة".

حتى بعد ذلك الحادث الكبير فتح محل الحلاقة للعمل اليوم التالي. اعتبرنا عدم إصابة السيد كانج إصابة خطيرة إشارة جيدة.

لكن عندما رأينا ذلك الشخص ذا الذراع الواحدة في محل الحلاقة. أصابنا قرف واشمئزاز كما لو أن حشرة مختبئة في طعامنا قد لدغتنا. كيف يمكننا تخيل الأمر؟ عاد الرجل ذو الذراع الواحدة في اليوم التالي وجلس على كرسي فارغ والتفت نحو الشباك مثلما اعتاد السيد كانج ونظر إلى الخارج بهدوء للمطر الرائع. شعرنا بالإعياء عندما رأيناه وأصبحنا أكثر غضبا، لأنه كان يتسنن بخطافه المعدني على حافة الشباك، الخطاف المعدني الذي هشم به رأس السيد كانغ.

"جبان"

"هل هو يعتقد أنه صاحب المحل؟ ابن العاهرة!"

كنا غاضبين أكثر من اللازم كما لو كنا الأشخاص الذين تمت سرقتهم في محل الحلاقة. بصقنا ولعنا ولم نتوقف. طبعًا حدث كل هذا ونحن خارج مجال رؤيته.

فعلا كان يتصرف كما لو كان صاحب المحل. طبقا للشائعات فإنه تصرف في ما لا يعنيه وحاول تغيير نظام الإدارة في المحل. الموظفون كانوا متضايقين لأنه كان دائم التدخل في الأمور قائلا إنهم لا يعاملون الزبائن بود وإن الخدمة لم تكن جيدة والجو المحيط لم يكن جيدا. استطعنا أن نتخيل شعورهم لأننا رغم عدم تورطنا في الموضوع كنا غاضبين جدا.

لحسن الحظ لم نضطر لتحمل وجوده أكثر من عشرة أيام.
ذات ظهيرة عندما كانت السماء صافية بعد مدة طويلة من وجود السحب الكثيفة وسقوط المطر، مشينا بجوار محل حلاقة كانج ورأيناه في الداخل. تجمدنا في أماكننا دون أن ننطق كلمة. لم يتغير السيد كانج كثيرا، كان يبدو شاحبًا قليلاً ورأسه كانت مربوطة بضمادة ولكنه كان محافظًا على أناقته. ومثل الأيام الماضية كان جالسا على كرسيه ينظر بهدوء إلى الخارج إلى شمس الصيف، التي كانت تبدو مثل حبات كبيرة من الرمل المتساقطة من مكان عال. كانت نظراته كالعادة باردة وهادئة. اختفى الرجل ذو الذراع الواحدة وخرج الموظفون إلى عملهم بهدوء. كانوا هادئين بدلا من الغضب الذي كانوا فيه منذ أيام قليلة ماضية. الكوافيرة "خبيرة التجميل" كانت تركز على تنظيف أذن أحد الزبائن. كان من الصعب أن تصدق أن الرجل ذا الذراع الواحدة والذي كان يحمل خطافًا معدنيًا في كمه قد رحل.

لا أحد يعرف كيف استعاد السيد كانج مملكته من الرجل الجبان، ولم يظهر الرجل ذو الذراع الواحدة مرة ثانية. بسبب هذه الحادثة كان لدى السكان مستودع للنميمة يكفي لمدة طويلة.

طبقا للشائعات والنميمة لم يكن السيد كانج مالك محل الحلاقة الفعلي، ولكن الشيء المثير أن المالك كان امرأة أرملة تملك ثروة كبيرة وقدرات وجمالاً قال البعض إنها كانت في سن الخمسين، وقال

آخرون إنها كانت في بداية سن الثلاثين، ولا أحد يعرف الحقيقة. اتضح أنها كانت تدير اثنين من المقاهي الكبيرة في قلب المدينة وكان السيد كانج موظفًا بسيطًا يتمتع بعلاقة خاصة معها.

مازلت أتذكر كيف وصف السيد چواك علاقتهما قائلاً: إنها كانت مثل ملكة النمل وهو مثل الجندي أو شغالة النمل إذا صدقت الشائعة. وطبعًا هناك ملكة واحدة وكثير من الجنود ويبقى أقوى الجنود ليخدم الملكة. أهلا، ياسيد تشو. أليس هذا عالمًا مضحكا؟ بعد ذلك ضحك من القلب .

العطش

رحلات الصيد الليلية كانت تبلغ ذروتها في مثل هذا الوقت. كنا غالبا نخرج كل ليلة وكنا دائما ننجح في رحلات صيدنا. لكن العطش كان دائمًا يصاحب ذلك النجاح. كلما زاد حماسنا للصيد والمطاردة. إذا لم تقاوم الضحية على الإطلاق واستسلمت بوهن، كنا شعرنا بغضب شديد نحوها. كان عنفنا يزداد أكثر مع ذلك الجبان الذي يركع على ركبتيه متوسلا الرحمة. لكن عطشنا ظل على حاله. في تلك الأيام، لم نكن نحب المطاردة وكل شيء في العالم كان يبدو تافها. كنا نرمي الأحجار في طريقنا إلى المنزل مثل القنابل

المنشطرة، الأحجار حملت رغبة شديدة والعطش مازال في قلوبنا في ظلام الليل.

كنا أحيانا نطارد البنات، وذات مرة طاردنا ثلاثًا كن يتجولن معًا دون خوف، لكننا لم نضربهن بل قمنا بمعاكستهن وداعبناهن بينما صدر منهن أنين وذرفن الدموع.

الأولاد الكبار الذين كانوا يراقبون من الطرق الجانبية أخذوا البنات عندما تركناهن وعدنا إلى المنزل ونحن نشعر بالفراغ. لم أستطع النوم بسهولة في مثل تلك الليالي.

أحيانا كان يتم إطفاء نارعطشنا بشكل مرض.

تقع سينما على حافة السوق قرب منطقتنا. سينما درجة ثالثة في ضواحي المدينة وفي مستودع ياباني قديم تم تجديده. المقاعد مثبتة معًا بقطعتين من الخشب وكانت ضيقة ومن الصعب الجلوس عليها وكلها الارتفاع نفسه. أثناء الصيف كانت تنبعث من داخل السينما رائحة التعفن والتبول.

كانت السينما مزدحمة بالناس دائما. أحيانا إذا كان يتم عرض فيلم كوري أو استعراض حي، تزدحم السينما بالناس من كل منطقتنا والسوق. من الصباح الباكر كان الصوت المألوف لمترجم الفيلم ينادي على المتفرجين من الميكرفون الكبير المتدلي من السقف في

السينما، وكان مهرج يرتدي لافتة "إعلانات عن الفطائر على صدره وعلى ظهره" يمشى خلال الأحياء المجاورة وهو يدق جرسًا مثل بائع التوفو المتجول.

دائما كنا نجري إلى السينما حتى رغم عدم امتلاكنا للنقود. وقفنا في الأمام ننظر إلى الصور الكبيرة في يأس دون أن نستطيع الدخول، كانت الأفيشات في كل مكان والصور الفوتوغرافية القديمة ملصوقة على الجدران.

فرقة السفينة الفخمة تعرض تراجيديا "غادر يا يونج جا" تأليف بايك أوو- سام وإخراج كيم هوا- رانج.

فرقة هيلاريوس تعرض كوميديا "محظوظ مع الأبناء والبنات" عشرين مشهدًا مع ضيوف الشرف:

كيم جونغ - غو وهيون أين وباك دان - ما وكاناري شين.

مجموعة من الممثلين والموسيقيين والراقصين من النساء الكوريات من فرقة شيلا يؤدين الأوبرا الكلاسيكية "العريس" "أربعة فصول وستة مشاهد" إخراج جوجيم أنج وشركاه.

لو تم عرض تلك البرامج فإن المساحة الواقعة أمام السينما سوف تكون أكثر ازدحاما من مكان السوق. يبدو أن الزحام الضخم أثبت أن كل من يقيم في المنطقة قد جاء ماعدا الأعمى والأطرش

والأطفال الرضع. نحن الأطفال كنا نندفع بين غابة البشر تلك على أمل أن نستطيع الدخول بالحظ، لكن هذا الحظ كان صعب التحقيق. كنا نحصل على ذلك الحق في آخر لحظة، لكنهم كانوا يطردوننا ويضربوننا بركلات على مؤخراتنا وعلى رءوسنا فكنا نجن جنوناً عندما يحدث ذلك. نظرنا إلى رجل سمين عيناه تشبهان عين الثعبان السام كان يحرس المدخل مثل الكلب العنيف. كان يسمى الأنف الكبير. من الواضح أنه كان ملاكما معروفا وجيدا رغم أنه كان في الريف، وكان له أنف مكسور شاهدًا على أيام مجده. كرهناه لكن كنا ننصرف غير قادرين على فعل أي شيء.

لكن أحيانا كنا نستطيع أن نتسلل إلى الداخل. لست متاكدًا من كيفية حدوث ذلك- مازلت أتذكر الأفلام التي رأيناها في ذلك الوقت.

يي، مين وتشو مي- ريونغ في فيلم "حكاية تشون هيانج" يي، هيانغ ويون أين-جا في "يد القدر"، تشوي أوون- هي وهوانج نام في "حلم"، مارسل كارنيه في فليم "أطفال الجنة"، آلان لاد وفيرجينيا مايو في "السيدات الحديديات" هذه الأفلام كانت تثير مشاعري بشكل كبير وكانت زادًا كبيرًا لخيالي.

أردت أن أملك سينما وتمنيت أن تعمل فيها تلك الأخت بدلا من العمل في مصنع التوفو. أعتقد أنني سوف أكون سعيدًا لو كنت

الصبي الذي يبيع اللبان والشيكولاتة هناك، لكنني لم أكن أتوقع أن تحدث تلك الأشياء بسرعة هكذا، لذلك كنت أعود حزينا كل مرة.

سينما الدرجة الثالثة زادت من عطشنا حتى رغم أن اختيارنا للرجل المدعو "الأنف الكبير" ضحيتنا لهذا اليوم يمكن أن ينظر إليه باعتباره عملاً جزافيا، كراهيتنا له كانت عاملا إدراكيا. كنا بالفعل قد سأمنا التقاط فرائس سهلة جعلت اللعبة مملة وجعلتنا أكثر عطشا. كنا نريد تحديًا أقوى، لكن الذي حدث هو مرور "الأنف الكبير" أمامنا في ذلك الوقت.

كنت اليوم مثل طعم الصيد. تجولت بسرعة حول المصيدة. كنت أريد اصطياد واحدًا من طلاب المدرسة العليا أو واحدًا من الذين يتباهون بالرياضة التى يمارسونها. كنت قد انتهيت من "القطار رقم ١٢ إلى سول" وكنت أصفر باللحن الأخير لأغنية "الليلة القمرية لمملكة شيلا "عندما مر رجل طويل من أمامي وبصق قائلا "أهلا ماذا تعتقد أنك تفعل، أيها الوغد والفأر الصغير؟".

تجمدت شفتاي على الفور ولكن ليس بسبب إهانتي إياه. أدركت أنه كان "الأنف الكبير" خبطني خفيفًا على رأسي وراوغني. شعرت أن جسمي كله يحترق ونظرت خلفي بسرعة وتأكدت من وجود عشرات من العيون اللامعة في الظلام.

"أهلا بالأنف الكبير" صرخت دون حتى إدراكه. رأسه كانت تضرب ما يقابله. بدأت العودة إلى أعلى صائحا بوضوح تبًا لك يا ابن العاهرة!.

لا أتذكر ما حدث بالضبط بعد ذلك. اندفع نحوي مثل الكلب الهائج، بعد ذلك سمعت أصدقائي يهربون في الظلام من ورائي. ثم أصبحنا جميعًا كرة كبيرة وظللنا نتدحرج قليلاً من الوقت.

كان من الواضح أنه خصم يملك التحدي كما لو كان يحاول إثبات وظيفته أو إنجازاته في الماضي. كان يقاوم بقوة مثل الحيوان المتوحش الذي وقع في المصيدة. لكننا كنا كثيرين بالنسبة له. أيضا واحد من الأولاد الكبار استخدم أداة حادة وكان يلوح بها لكي يفزع الضحايا، ولكنه لم يستخدمها فعليًا مما أدى إلى إخضاع الأنف الكبير ونزوله على ركبتيه مهزوما. كلا الطرفين تبادلا الضربات القاسية.

كان من الصعب التمييز بين الصياد والضحية المطاردة.

ببطء عدنا إلى الوعي بعد قتال شديد. صدمنا لنجاحنا. ياله من نصر هائل! وعدنا إلى طرق السكة الحديد وتفرقنا مثل أسراب من الجنود المهزومين. لم نصدق أننا انتصرنا. وكنا لا نزال نشعر بآلام الضرب والركلات مكتفين الأيدي. لكننا كنا المنتصرين؛ لأن الخصم اعترف بالهزيمة.

"ذلك الحمار الأنف الكبير طويل فقط وليس قويا" صاح شخص ما في الظلام وأصبحنا أكثر نشاطا. بدأنا نضع تبرعات بمبلغ ٢ سنت مقابل ذلك". نعم إنه أضعف مما اعتقدت. إنه حقا لاشيء. "فقد هزم اليوم. هل رأيتم يا أولاد هذا الشيء؟ "لم يستطع أن يفعل أي شيء عندما عاجلته ضربة من الناحية اليمنى وبعد ذلك كان يعوي مثل الكلب" "الآن يعرف كم نحن أقوياء. هل نذهب لرؤية الفيلم غدا؟"

رغم الثرثرة كنا جميعا نرتعش بعنف في الظلام.

رائحة المسدس الصدئ

جاء موسم المطر في منتصف الصيف في ذلك العام. وكل شيء أصبح موحلا. المدينة كانت مملوءة بالماء وحجرتنا الصغيرة التي تشبه قلوبنا الصغيرة كانت مشبعة بالبلل والرطوبة. كل شيء كان مبللا وكانت رائحته نتنة وكريهة وتثير الضيق إنه فصل كريه.

جربت الموسم المطير في هذا الحي العام الماضي بعد أن انتقلنا إلى هذه المدينة مباشرة، لكن موسم مطر العام الماضي لم يضايقني مثل هكذا. حقا إنني لم أستطع أن أبيع فطائر الفول الأحمر مع أختي. وبرطمان الشراب المسكر الخاص بوالدي كان موضوعا على قمة العربة الكارو غارقين في البلل.

كانت الأم حزينة لأننا مضطرون لأن نأكل الفطائر الباردة في الوجبات الثلاث يوميا. وكان ذهابنا إلى مدرسة اللاجئين خلف المتنزه يثير ضيقنا، تحول إلى شاطئ موحل، حيث غسلت قدمى عند المضخة بالخارج وجلست في الفصل الذي يشبه حمام السباحة. لو فكرت في الأمر جيدًا لن يدهشك اكتشاف أن الحكاية كلها جعجعة بلا طحن.

(لا أتذكر أننى شعرت بغيظ وغضب وانفعال) أمضيت هذا العام بمفردي في الحجرة الخالية وفكرت في الأب الغائب والأم التي لن تعود أبدًا، والأخت التي عملت في منزل التوفو كزوجة ابن المستقبل. في أحلامي كنت أعود إلى الوراء إلى الصيف أو الربيع الماضي. نتخلى مرة ثانية عن بيع الفطائر والأب يقايض العربة الكارو مقابل دراجة مستعملة. والأم تخفي دموعها بملابسها في العربة المتحركة تاركين مدينتنا الوطن. الأخت كانت تبتسم وكنت أصفر. عندما استيقظت كان اللعين - المطر الملعون - لا يزال يهطل على السقف وابتلت أركان عيوني. (كنت غالبًا لا أتناول) طعام الإفطار والغداء. لم يكن عندي رغبة في الذهاب إلى مصنع التوفو في هذا المطر؛ كي أملأ معدتي المتسولة. لم أكن أريد بالفعل أن أرى أختي وبشكل خاص لم أكن أريد أن أرى أخا التوفو، الشخص ذو "ساق" واحدة. ربما شعرت بالإهانة لأنه كان زوج أختي

المنتظر. تاي-چيل كان أحيانا يصيح بذلك في وجهي عندما كان يغضب مني. حقا كنت منزعجًا لأن أختي اختارت ذلك الشخص الذى ترك ساقه فى ساحة الحرب، من بين إخوة لحم التوفو الأربعة.

سوف تأتي الأخت لكي تراني إذا لم أزرها وقت العشاء وسوف تضع الطعام الذي كانت تخبئه بين ملابسها وتغادر بهدوء. ربما لاحظت أنني غضبان منها. كانت دائما حريصة على ألا تؤذي مشاعري. أحيانا عندما لا يكون لديها عمل ليلا كانت تأتي وتنام في حجرتنا.

لكنني كنت أشعر بالعداء نحوها. إنها بالفعل أصبحت أكثر صحة عما كانت في الشتاء الماضي، ازدادت وزنا وأصبحت مثل لحم التوفو. رأيت أختي مبتسمة داخل حجرة العمل الضبابية. لاحظت رغم العمل الشاق ومعاملتها باحتقار كانت سعيدة. عندما غادر الأب وماتت الأم في النهاية وجدت السعادة والرضا في منزل التوفو، مع الرجل ذى الساق الواحدة. صحتها وسعادتها زادت من كراهيتي لها، أحيانا كنت أشعر أنني أكرهها بالفعل. كان ذلك عندما شممت رائحة كريهة فيها رائحة المسدس الصدئ التي كنت قد شممتها من خالي الذي فقد ذراعه في الحرب. وكان للأخ لحم التوفو الذي فقد ساقه الرائحة نفسها. ذات ليلة عندما كانت الأخت نائمة بجواري جاء إلى حجرتنا. لا أحد يستطيع أن يلومه فأختي كانت

زوجته المنتظرة وكنت أخا زوجته المنتظر سواء راق ذلك لي أو لم يرق.

حملقنا في الدخيل والفضولي والواثق من نفسه الذي كان مبتلاً، فالمطر أغرقه في الخارج والمشروب الروحي أصاب روحه بالشلل. عندما نام في وسط الحجرة الصغيرة أردت بأمانة أن أضربه على رأسه بالمخدة المصنوعة من البوص. لكن سلوك أختي كان غريبًا. كانت مندهشة لكن سرعان ما استردت سكينتها وقامت بخلع كل طبقة من الملابس التي كان يرتديها ورقد على الأرض مثل جوال الأرز، وجففت شعره ووجهه وجسمه والملابس التي لم تستطع أن تجرده منها، حيث استخدمت فوطة تنشيف وكانت صامتة. حملقت فيها صامتًا. الأخت لم تكن طبيعية. لابد أن الجنون أصابها ولكنها بالتأكيد لم تبد كذلك. وجهها لم يظهر عليه أي تعبير نادت "ساعدني" بصوت منخفض لم أستطع أن أرفض رغم كراهيتي للاثنين. حركناه إلى جانب الحجرة بصعوبة وعندها رأيت ساقه المفقودة والمشوهة، الساق كانت باردة وغريبة حتى تحت ضوء مصباح ٣٠ واط الخافت. تذكرت خالي ورائحة مسدسه الصدئ كما لو أن أداة حادة طعنت قلبي.

نمت مرتاحًا. كنت أقوم بعملية حفر. كل أنواع الأسلحة انتشرت في المكان الذي كنت أحفر فيه في منطقتنا. درع مورتر ١-

m وسيف مكسور وجزء من خزان وقطعة من الألمونيوم عليها رقم محفور وخوذة مكسورة... كل هذه الأشياء بأحجامها المختلفة وأشكالها واستعمالاتها، صحت مذهولاً ذهول من لم يشهد الحرب "إنها... هنا. هذه هي ساحة المعركة... " بعد ذلك استيقظت. كان الجو مشرقا في الخارج. الشخص ذو الساق الواحدة كان مستغرقا في النوم والأخت كانت جالسة بجواري في أبهى ملابسها. قالت: "هل أنت مريض؟ إنك كنت تتحدث أثناء نومك" ووضعت يدها على جبهتي.

"ابعدي عني!" صحت فيها ودفعت يدها بعيدا وقمت بشد بطانيتي على رأسي. وفجأة شعرت نحوها بالازدراء والاحتكار وكنت أشم رائحة المسدس الصدئ تنبعث من يديها وجسمها.

صندوق أصغر

زرت حجرة تاي-چيل الصغيرة. كان موسم المطر لا يزال مستمرًا ولذلك لم نستطع الذهاب إلى المطاردة والصيد ليلاً، ولم أكن أستطيع أن أسير خلال الأحياء الموحلة مثل جرو صغير، كنت غاضبًا جدا ومحبوسًا داخل صندوق صغير طوال ٢٤ ساعة يوميا. أردت أن ألعن كل شيء. كانت حجرة تاي-چيل مكانًا مثاليًا للهروب فقط لو كانت أمه غريبة الأطوار خارج المكان.

مثل باقي سكان المدينة الباقين كان منزلهم يشبه الصندوق المستطيل. جانب واحد من الحجرة كان مسدودًا بألواح من الخشب الرفيع وتلك كانت حجرة تاي- چيل. كانت ضيقة ومظلمة. مثل صندوق صغير موضوع في صندوق أكبر. رغم أن تاي-چيل فقط مع أمه. فإننى لم أتساءل قط عن أسباب تخصيص حجرة له، بينما يعيش الأخرون فى العائلات الكبيرة منهم في حجرة واحدة. على كل حال الحجرة كانت مكانًا جيدًا للعب. استمر المطر في الهطول وأحيانا كان ينزل البرد والصقيع على السقف، ورغم أن كل شيء مبلل بالمياه كنا في أمان في ذلك التابوت الصغير. فلتسقط أيها المطر وسوف نعطيك الفول المسلوق على البخار! سوف نعطيك بطاطس مسلوقة! كنا نصيح بذلك المقطع من أغانى الطفولة ثم نمسح أيدينا ونرفع أصابعنا إلى أعلى إلى السماء.

عالم خفي كان في الصندوق الصغير داخل "الصندوق الأكبر. العالم كان متحررا ومملوءًا بالإبداع. وفي ذلك العالم كانت قلوبنا الجائعة تشعر بالغنى والثراء. كان تاي-چيل يمرح مبتهجًا دائما في تلك الحجرة، كما لو أنه لم يكن يتلقى علقات ساخنة من أمه. كنا ننظر إلى بعضنا بعضًا ونبتسم بغباء ونحدث ضوضاء غريبة ونقف على رؤوسنا .

أحضر تاي-چيل كل أنواع الأشياء الجزافية المثيرة وتحرك مثل الفأر بين محتويات حجرة أمه. ولن أسرد قائمة بتلك الأشياء. كان يوجد بعض الأشياء التي يسبب ذكرها الحرج والارتباك، لمست العازل أول مرة في حجرة تاي-چيل وبالطبع لم نكن نعرف ما حقيقة استخدامه. لكنني سوف أكذب لو قلت إننا لم نكن نملك فكرة ضبابية عن استخدامه. نظرنا بفضول إلى هذا الشيء وحاولنا أن ننفخ فيه ونطلقه مثل المنطاد " إنه مصنوع في الولايات المتحدة " قال تاي-چيل ذلك وأعاد هذا الشيء في علبته.

كان يوجد أشياء عديدة أخرى أيضا: الكوتشينة الكورية البالية التي كانت أمه تعرف منها حظها كل صباح، وقطع الشطرنج الكورية وشطرنج "ماه جونج" التى تركها الرجال كبار السن الذين كانوا يزورون منزله، والفول السوداني وساعة زجاجية أثرية تشبه الطبلة وسجائر أمريكية وزجاجة شراب مسكر لا يزال فيها بعض الشراب... هذه الأشياء استولت على اهتمامنا. مر الوقت بسرعة كما لو أن هناك من يسرقه منا في حجرة تاي-چيل، لذلك كنا مضطرين للإسراع في عمل كل شيء نريده في وقت محدود، لعبنا بكل هذه الأشياء وبعد ذلك قمنا بتدخين السجائر الأمريكية وكنا نسعل وتسيل دموعنا ولكن أخيرا شربنا الشراب المسكر. رغم أننا كنا متعبين

مرتبكين كانت هذه لعبة مسلية لا نستطيع ممارستها إلا في ذلك العالم الصغير.

لكن اللعبات السرية انتهت. ومن الغباء أن نتوقع أن أمه لم تلاحظ أي شيء رغم أن تاي-چيل كان ماهرًا في إخفاء آثارنا. ذات يوم، عادت إلى المنزل مبكرا عما توقعنا وضبطتنا متلبسين ونظرت لحظة بفتور إلى اثنين من الحيوانات الصغيرة المحبوسة في المصيدة، إنها كانت تفكر فى طريقة لمعاقبتنا ترضي رغباتها، وكنا خائفين من نظراتها الشريرة، نظرت إلى قدمي واعتقدت أنها سوف تبدأ بقضم رؤوسنا. المسكين تاي-چيل كان مجردا من ملابسه وتم ضربه بالسوط بقسوة ومطاردته إلى الخارج وهو عارٍ من الملابس، ورغم أنه كان فى العادة يصرخ ويبكي كلما نال علقة، فإنه كان صامتًا هذه المرة، كان يرتعش مثل الكلب الأجرب في حي مطير.

جاء دوري ولكنها لم تجردني من الملابس ولم تضربني. جرتني بعنف إلى أختي وشدّت أذني بوحشية وطافت خلال الأحياء الضيقة وهي تنعتني بأفظع الصفات، واتهمتني بأنني أفسدت ابنها البريء. الأخت كانت مرعوبة. صاحت أم تاي-چيل إذا كان والده في الخارج فإنه ينبغي على الأقل أن ترعاه أخته " أسرة التوفو بالكامل غادروا بالإضافة إلى الجيران. ولسبب ما كنت هادئًا ورابط الجأش.

في تلك الليلة أتت الأخت إلى حجرتنا. ولم تقل أي شيء ولكن كانت تبكي في وقت متأخر ليلا. كانت مكومة إلي جانبي. بكاؤها كان طويلا مثل موسم المطر الشديد. آخر مرة بكت فيها هكذا كانت عندما ماتت أمها. وتظاهرت بالنوم ولم يكن هناك ما أفعله. والحمد لله أنه لم تنبعث منها رائحة المسدس الصدئ ربما تكون دموعها الغزيرة قد غسلت هذه الرائحة الكريهة. ولم أستطع النوم لكنني شعرت بالراحة والعزاء في هذه المرة فقط.

أيدٍ نحيلة وضعيفة

كان موسم المطر الطويل قد بلغ به التعب الحد الأقصى وكان على حافة الانتهاء. السحب الكثيفة التي كانت تتجمع على منطقتنا مثل الصخور المظلمة تضاءلت تمامًا وظهر ضوء الشمس اللامع لفترات قصيرة.

استيقظت فجأة وأدركت أن شخصًا ما كان جالسا بجواري الأب! شيء ما جعلني أعتقد ذلك. واخترقت الفكرة إدراكي الحالم مثل السهم. وجلست لكي أتأكد أنه كان الأب فعلاً، وصُعقت. عاد الأب الذي خرج على دراجته المستعملة المتهالكة إلى المنزل بعد سنة بالضبط. فكرت في الأشياء التي حدثت أثناء غيابه ولم أتذكر أي شيء. تذكرت قاع النهر المتجمد. أين كان؟ وتذكرت بشكل مبهم

الأخت وهي تمشي في الحي مع الأم التي كانت تحمل ملابسها وتضمها إلى صدرها. وفجأة لمعت في ذهني الليالي العديدة التي كنت أسمع خلالها صوت الدراجة، وبدأ الحزن المعتم مثل ذاكرتي يتملكني.

فتحت الباب ونظرت إلى الخارج ولم أر الدراجة ولكن رأيت ضوء فجر الصيف اللامع على نجارة الخشب ومسحوق الفحم المتطاير في الحي. لم أنس زيارتي للسجن مع السيد تشوي ومازلت لا أفهم سببًا لعودة الأب، كان ينسحب إلى الوراء بهدوء وبطريقة مفاجئة وغريبة مثل اللص، بينما الجميع يغطون في النوم، ودون دراجته. بقي الأب صامتا لمدة طويلة، على الأقل بدت طويلة بالنسبة لي. كان رأسه بين ركبتيه ولم يتحرك. ولم أر شعره قصيرا هكذا من قبل. قد يكون ذلك سببًا آخر لعدم تصديقي أن والدي عاد إلى المنزل، وظهرت ندبات في رأسه كانت مخيفة طول الوقت.

"متى كانت؟" جاء صوت الأب كما لو كان قادما من بعيد. ببطء رفع رأسه ونظر إليّ، وجهه كان معروفًا بالنسبة إليّ مثل معرفتي براحة يدي. وفهمت ما كان يسأل عنه ولكنني لم أستطع الإجابة. حاولت أن أتذكر التاريخ الدقيق ولكن لم تسعفني الذاكرة. الشتاء... برودة الشتاء الماضي وضفة النهر المتجمدة والمسحوق البني والمرق الدافيء لشوربة العصيدة التي أكلناها في الطريق إلى

المنزل... بغض النظر عن هذه المشاهد الغامضة فاض على قلبي الأسى والحزن اللذان شعرنا بهما في ذلك اليوم. شعرت ببرودة تثقب قلبي في ذلك الصباح المبكر ليوم صيفي. لم يسأل الأب مرة ثانية وتخللت نظراته كل أنحاء الحجرة الخالية التي كنا ننام فيها متراصين معًا. نظر إلى المكان الذي اعتادت الأم والأخت أن تكونا فيه لابد أن الحجرة الصغيرة جدا بدت له واسعة كالحقل العاري في الشتاء.

"من المحتمل أنه كان اليوم الثاني للشهر القمري الماضي" قال الأب بعد مدة طويلة وأسقط رأسه مرة ثانية "أنا... أدركت الأمر. أصابني كابوس وبعد ذلك بأيام قليلة تسلمت برقية عاجلة من السيد تشوي يقول فيها إن أمك مريضة جدا. هذا ما حدث. انتظرت وانتظرت لكن لم تصلني أخبار أخرى. عندما فكرت في الأمر بعد ذلك كانت أمك قد ماتت بالفعل. لابد أنه كان اليوم الذي حلمت فيه حلمًا سيئًا والذى كتب فيه لي السيد تشوي، كان اليوم الثاني من الشهر القمري الماضي. كان عاري القدمين ورأيت دموعًا قليلة تتساقط على قدميه النحيلتين وتتخلل جلده. سيل فجائي من الكلمات خرج مني: "الأخت تعيش في مصنع التوفو. إنه منزل صديقتها لحم التوفو. إنهم أغنياء جدا. لديها أربعة إخوة أكبر منها... الأم أرسلتها. الأخت لم تعارض الفكرة أيضا، لذلك أخذت كل ملابسها وأغراضها". لكنني لم أكشف أنها ذهبت إلى هناك للعمل مجانا حتى

تكبر وتصبح زوجة الابن. كنت أعتقد ذلك أفضل بالنسبة لأب وبالنسبة لي أيضا. بسذاجة اعتقدت أن الأخت يجب أن تعود للمنزل مع عودة الأب "أحيانا تأتي إلى هنا وتنام هناك. إنني أتناول الطعام في منزلهم كل يوم أيضا... " لم يقل الأب أي شيء آخر وكان رأسه ما زال موضوعًا بين ركبتيه لم ينظر إلى أعلى أو يفتح فمه مرة أخرى حتى الصباح. كان متجمدًا ويشبه الصخر البالي. عندما أغلقت فمي ونظرت إلى يديه الكبيرتين والنحيلتين. هاتان اليدان كانتا خشنتين وقويتين عندما كان فلاحا، وكان يقبض على علبة الفطائر أو أكواب الشراب ويخرج على دراجته. الآن هاتان اليدان تشقّان الجزء السفلي من بنطلونه الذي تمزق خيطه حتى الركبة، وأصبح لا يصلح للارتداء وظهرت ساقا الأب اللتان كانتا أرفع من يديه. لم يكن واعيا بما كان يفعله. كان قتالا عنيفا. تكومت القطع القديمة من القماش على شكل حفنة على الأرضية.

لا أحد انتظر

كان السيد كيم أول جار يعرف بعودة الأب. رحل السيد كيم عن العالم الذي يشبه لعب الطفل قبل رحيل الأم، لذلك أصبحت السيدة كيم أرملة. كان هذا واحدًا من التغيرات الكثيرة التي شهدها الجيران أثناء غياب الأب. حتى أصدقاء السيد كيم السيد تشوي والسيد چواك توقفا عن الزيارة.

لكن السيدة كيم كانت تحب الخروج ولم تكن متحفظة، وكأن شيئًا لم يحدث، كانت لا تزال متعاطفة مع ورطات جيرانها وكريمة فيما يخص أكل أو وجبات أطفالها المتواصلة. كانت تلقي بنكات لاذعة عندما كانت تصطدم بالسيد چواك والسيد تشوي في الأحياء السكنية. حتى السيد چواك المغرور والمتعالم كان غالبا، يقف بغرابة ولا يعرف ما يقوله لها. كان الجيران ينسون أحيانا أن السيد كيم قد رحل في ذلك اليوم الذي تساقط فيه الثلج في الشتاء الماضي. وكانوا يخدعون أنفسهن عندما يعتقدون أنه ما زال على قيد الحياة وتساعده زوجته السعيدة. "كنت على صواب" قالت وأتت إلى حجرتنا. كان وجهها لا تزال عليه آثار النوم وجلست على الأرضية " اعتقدت أن الوقت قد حان... كيف حالك؟".

تحرك الأب ببطء، أمال رأسه في جانب واحد وارتسمت ابتسامة غريبة على وجهه، كان يبدو في حالة يرثى لها مثل ماكينة أصابها الصدأ " بخير... " أجاب بشق النفس وكانت كتفاه ترتعشان. "حمدا لله على سلامة رجوعك. الجميع يقولون إنه ليس مكانًا تحب الذهاب إليه مرتين، ولا بأس من أن تذهب إليه مرة واحدة. على كل حال، لا فائدة من التفكير في هذا. يجب أن تفكر في رعاية أولادك. من أجل أطفالنا فقط لم نمت حتى الآن؟. تعال هيا نذهب إلى منزلي وسوف أعد لك طعام الإفطار".

لم يتحرك الأب لكنه حرك فكيه كما لو كان يمضغ قطعة جامدة من جذور نبات جاف. ما الشيء الذي التصق بين أسنانه؟ تركت الغرفة قبلهما كنت أسمع السيدة كيم تقول: " توقف، لو كان كل واحد في الناحية مثلك يا سيد جانغ كان لابدّ أن يحدث فيضان كبير".

كانت أشعة شمس الصباح الصيفى الحمراء تغمر المكان لأول مرة ولمدة طويلة. وتوجهت إلى مصنع التوفو. ولم أكن أريد أن أفكر في أي شيء حتى عودة الأب، وعندما أخبرت أختي عن عودته كانت مذهولة، لكنها عادت إلى عملها. ولم أستطع التنفس لأن حجرة العمل كانت مملوءة بالبخار الحار. أخوات التوفو الأربعة كانوا يطحنون الفول، وكان الماء يغلي في إناء من الحديد الزهر. الأخت التي أصبحت في بدانة لحم التوفو بدت جميلة مثل العشب المتجدد. كتل من التوفو ذات نهايات مستقيمة كانت تتساقط من يديها وتغوص في الماء.

" ماذا يحدث؟ من الذى عاد؟" واحد من الأخوة سألني دون أن يتوقف عن عمله.

لم أرد عليه. وكان الذي فقد ساقه في الحرب هناك أيضا وكان صامتا كالعادة، مركزا على المهمة التي في يده تذكرت رائحة زوج أختى المنتظر، التي كانت مثل رائحة المسدس الصدئ ولكني لن

أضطر لأن أشم رائحته أبدًا. الأخت أيضًا من تضطر لشمّ رائحته لأنها كما تصورت يجب أن تذهب إلى المنزل الآن. ذلك كان الشيء الوحيد الذي طمأنني "يجب أن تأتي بسرعة" كذبت عليها وقلت:" لقد قال إنني يجب أن أحضرك معي بكل أغراضك".

الأخت التي كان وجهها لا يزال خاليًا من التعبير أخيرا توقفت واستدارت، لكي تواجهني ومسحت بهدوء يديها في مريلتها ولسبب ما احمر وجهها. زاد إصراري وكنت أعتقد أنها يجب أن تعود معي فجأة تذكرت شيئًا ما.

أين هو الآن؟

إنه على رصيف السكة الحديد.

أين هو الآن؟

إنه في الزقاق.

أين هو الآن؟

عدت بذاكرتي إلى الوراء والليالي العديدة التي كنا ننتظر فيها أنا وأختي والأب، لكن انتظارنا كان دائما ينتهي بخيبة الأمل. وصوت الدراجة المستعملة والمتهالكة لم يصل إلى أسماعنا قط. ربما كان الحماس قد خمد بموت الأم؛ لذلك كانت عودة الأب المتأخرة هذا

الصباح بدت عقيمة بالنسبة للأخت. لا أحد كان ينتظره بعد ذلك الحين. الناس الذين كانوا ينتظرون عودة الأب بإخلاص ماتوا ورحلوا عن هذا العالم. استدرت للخلف ببطء.

السوق الليلي

لا أعتقد بوجود صفقة جديدة بين أم وأب لحم التوفو. دفعوا لنا حسابنا والأب لم يكن ماهرا في الحساب لكي يحتج. لا شيء تغير رغم عودة الأب للمنزل. كانت الأخت لا تزال في مصنع التوفو وأصبحت أكثر بدانة مثل لحم التوفو، وكانت تأتي إلى مطبخنا مرة أو مرتين يوميًا، لم أعد أحتاج إلى الذهاب لرؤيتها لكي أملأ معدتي. لكن بسبب رائحة المسدس الصدئ لم أكن أتناول الطعام الذى كانت تصنعه. لسبب ما أصبح الأمر مقززًا أكثر مع عودة الأب. زادت كراهيتي لها، وكنت أتناول طعامي في الخارج، وعندما لا أجد ما آكله أذهب للنوم جائعًا. في تلك المرات كنت مسرورًا بسبب اعتيادي الجوع.

قبل أن يعود الأب كان قلبي على راحته. ويقوم بالحراسة. كنت أخرج من الغرفة الخالية وأندفع عائدًا للمنزل، حتى بعد أن غرقت في حجرة تاي-چيل، وسينما الدرجة الثالثة الموجودة على حافة المدينة، ورحلات الصيد الليلية الممتعة. كنت أسرع عائدا إلى

المنزل كل ليلة، لأنني كنت مضطرا للانتظار. لم أكن أنتظر الأب فقط ولكن الأخت والأم التي لن تعود إلى عالمنا أبدًا. كنت أنتظر أشياء عديدة بشكل مبهم وكانت مكافآت انتظارى تأتي في الأحلام. على سبيل المثال الأب والأخت وحتى الأم يجلسون في عربة تتجه نحو مدينة مجهولة بعد مغادرة منزلنا في الريف.

والشوارع التي كنا ننصب فيها المحل كان الأب يوجد هناك ببرطمان الشراب المسكر الموجود على العربة الكارو، والأخت كانت تخبز فطائر الفول الأحمر والأم كانت تنقل دلاءً من الماء المعدني. كانت أسرة متماسكة. رغم الانتقال للمعيشة في مدينة غير مألوفة كنا راضين وقانعين. عند الاستيقاظ أتوقع دون وعي أننا سوف نعود إلى حياتنا السابقة عندما يعود الأب إلى المنزل.

لكن عودته قللت من توقعاتي. أصبح من الواضح أنه لا شيء لا الأخت ولا الأم ولا أي شيء آخر. يمكن أن يعيد الحياة بالطريقة التي كانت عليها. رغم أنها كانت حقيقة واضحة شعرت بخيانة كبيرة عند تأكيدها. لم يعد قلبي يريد حراسة حجرتنا الخالية. غادرت بمجرد أن ارتفعت الشمس وعدت متأخرا ليلا. كنت أجري مثل الكلب وقضيت كل الوقت في الشوارع والمتنزه والسينما والسوق.

قابلت الأعرج الأمين في هذه المرة. مازلت أتذكره وأستطيع رسم ملامحه بدقة من الذاكرة، كان رأسه كبيرًا جدًا مقارنة بجسمه الضعيف الأعرج، كان يدور على الحانات خلال ضباب الفجر المبلل حاملا صندوق تلميع الأحذية على كتفيه وكرسيًا صغيرًا، وكان يطلع راقصًا.

انتهى موسم المطر لكن رحلات الصيد الليلية توقفت وخابت توقعاتنا. ولم يعد هناك أى حماس للصيد. أهمل كثير من الأطفال رحلات الصيد وحتى الأولاد الكبار كانوا مترددين بشأنها قد يكون ذلك بسبب الحرارة التي أصبحت شديدة مع نهاية موسم المطر. كنا نتجمع عند عربات السكة الحديد ونغني أغنيات بذيئة ونرمي الصخور نحو السماء وبعد ذلك ننتشر، الأولاد الكبار أصبحوا أكثر شغبا في ذلك الوقت أيضًا.

كنت أذهب إلى السوق الليلي عندما لا تكون هناك رحلات صيد. كان السوق يحتل طريقًا واسعًا أمام الاستاد العام. كان يحوي كل شيء ولكن لا شيء كان جيدا في الحقيقة، طبقًا لكلام الأولاد الكبار، لكن حسب رؤيتي كان مملوءا بكل شيء في الدنيا، كان هناك صواني خشبية تعرض أنواعًا كثيرة من الطعام. وكانت تباع في السوق ملابس مستعملة تم التبرع بها، والاحتياجات اليومية الضرورية معظمها أمريكية المنشأ وليست كورية، ورأينا الكثير من

العاهرات والسكارى الذين يزداد عددهم عندما يتقدم ويخيم الظلام. شعرت بالجوع في ذلك الوقت لأنني كنت أعدو في أنحاء المدينة طول النهار. وكنت أريد كل الطعام الموجود على الصواني الخشبية: لحم الحوت والسردين والفطائر الصينية والشوربة والكفتة المصنوعة من الأرز والعصيدة، تجولت أتفرج عليها بأشكالها المختلفة وروائحها وبدأ لعابي يسيل في فمي. يبدو أن الآخرين كانوا مهتمين بالطعام أيضا. باعة الطعام كان لديهم معظم زبائن السوق وحسدت الزبائن على شهيتهم المفتوحة. الحمّال المسكين والنساء اللائي كن يحملن سلال التسوق كانوا يلتفون حول الصواني وبدأوا ينظرون إليها. كلما وقفت هناك أنظر إليهم كان يبدو الأمر لو أن سكان المدينة كانوا يعيشون لكي يملأوا بطونهم. وكانت معدتي الصغيرة تمتلئ بمجرد رؤيتهن مثلما بدا لي.

محل الفطائر الصيني قرب مدخل السوق كان دائمًا مليئا بالزبائن. ولسبب ما كان كل شخص حتى لو كان العمدة يقف في طابور للحصول على تلك الفطائر. رغم أن محلات الفطائر الأخرى خالية من الزبائن كان هذا المحل مزدحما بالزبائن لأسباب جيدة. أولها كان حجم الفطائر، فبالنسبة لأغلبية السكان الذين لم يملأوا معدتهم كما يحبون منذ فترة طويلة فهذه نقطة لا يمكن تجاهلها أبدًا. كان ذلك زمنًا يفضل فيه الناس الكم عن الكيف. أيًا كانت المواد التي

صنعت منها الفطائر فإنها أحجام مرضية. "يستطيعون مواصلة ذلك، مع المبيعات السريعة والأرباح الصغيرة"؟ هكذا كان يفكر بعض الزبائن قلقين من فطنة صاحب محل الفطائر. "سوف يضطرون أن يبيعوا أرضهم لكي يواصلوا صنع الفطائر الصينية... " وطبقا للشائعات فإن صاحب المحل كان يشتري الأرض بالنقود التي يبيع بها الفطائر رغم كل ذلك.

بالطبع السبب الأكبر وراء حب الجميع لهذه الفطائر أن طعمها كان لذيذًا إنها فعلا أذابت لساني. كانت تحوي المقادير نفسها مثل الفطائر الأخرى، دقيقًا وخميرة وصودا وفول أحمر ومحشوة بالبطاطا، لكن يوجد مقادير إضافية سرية. حتى أنا الذي صنعت فطائر ذات مرة لم أفهم ما هو السر؛ لذلك انتشرت شائعة تدعي أنهم يضيفون شيئًا سريًا إلى مقاديرهم. وقال شخص ما ادعى أنه كشف السر. إنه كان بودرة الثعبان " إنك تعرف مدى حلاوتها إذا كنت قد جربت بودرة الثعبان، حتى كعكة الشعير تزداد حلاوتها وكان في ذلك المحل ثلاث عيون للشواء مصنوعة من براميل الزيت. صاحب المحل الأصلع في سن الخمسين واثنتان من المحتمل أن تكونا امرأته وابنته، كانوا يقومون بإعداد الفطائر والعرق يتصبب من وجوههم، لكن الناس ما زالوا يقفون في طوابير في الخارج. كانوا يستطيعون الاستراحة عندما يوشكون على الانتهاء من العمل ليلا، وفي وقت

متأخر وكانوا يعطون ما تبقي للأطفال أصحاب الأيدي القذرة والملابس وأحيانا القلوب، والذين لم يكفوا عن النظر كل الأولاد الصغار كانوا يمدون أيديهم القذرة ويصيح الواحد منهم: "أنا أيضا"! وكان يصيبني الخجل عندما كنت أفكر في الشتاء الماضي. لم أشعر في تاريخ تسولي بخجل مثل هذا. بالطبع أردت أن أمد يدي أيضا ولكني كنت مغتاظًا من سلوك هؤلاء الأطفال الذين لا يشعرون بالحياء وأردت أن أركلهم وأحيانا كنت أشعر برغبة في حرق محل صاحب الفطائر طيب القلب .

كان تاي-چيل صديقا جيدًا وكان يسرق بدلاً من أن يمد يده، لكنه كان يفضل أن ينتزعها من طفل ضعيف بدلاً من السرقة. كان نشيطًا ومفعمًا بالحيوية. لم أكن أعود صفر اليدين عندما أذهب معه. الشمام الكوري كان في عز موسمه في هذا الوقت والذرة أو البطاطس الصيفية والفطائر المرشوش عليها الطحالب البحرية والأرز الفيتنامي كنا نستطيع أن نملأ معدتنا تمامًا، بالتجول حول السوق مرة واحدة. بالطبع لم أركل الأطفال الصغار أو أشعل النار في محل الفطائر الصيني. كنت أحني رأسي لكي أتخلص من اللعنات التي تغلي بداخلي وأستدير عاجزًا. ذات مرة أوقفني شخص ما كان الأعرج الذي يلمع الأحذية، " إنك تعيش في المدينة ذات البيوت

الخشبية أليس كذلك؟" سألني. احمرّ وجهي خجلاً وشعرت أنني لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك وحملقت فيه.

قال وهو ينقل صندوق التلميع: "إنني أعيش هناك أيضا".

أعتقد أنه كان يبدو مألوفا. لكن هل هذا يهم؟

وأجبته بخشونة:

"وماذا في ذلك؟ "

قال: "لا شيء" وابتسم بوهن ودفعني بقوة نحو الحافة قررت أنه اعتقد أنني واحد من الصبية المتسولين وكان يضحك؛ لأنني لم أحصل على أي فطائر. ورميت نفسي عليه. لكن المشاجرة لم تستمر طويلا. رغم أنه كان أعرج وأكبر مني بسنتين ولم يكن يريد أن يتشاجر إضافة إلى أننا كنا في السوق، وكان من المستحيل التحكم في مشاعري، مشاجرتنا انتهت بالضرب على رؤوسنا من الأشخاص البالغين الذين فضوا المشاجرة.

"هل تريد أن تلمع أحذية معي؟" سألني الأعرج في الطريق إلى المنزل وكان يعرج بجواري" .

الحقيبة التي تطوف بها العالم

في عصر اليوم التالي صنع الأعرج لي صندوق تلميع أحذية وكرسيًا مستديرًا من شجر التفاح، دون أي أدوات أخرى. رغم أنه كان يمسح الأحذية فقد يصبح نجارا محترما عندما يكبر مثل السكير سوجو رغم أن ساقه العرجاء يمكن أن تكون مشكلة. وللأمانة فإنه بعدما قضى الظهيرة في صنعهما. وجدت أنه من غير المحتمل أن أتجول بها في الشوارع. كان يبدو أمرًا مستحيلا. قال الأعرج: إنها ليست معضلة فقط أتعبني". شجعني الأعرج ونظف بالرمال صندوق مسح الأحذية الجديد، وطلاه بورنيش الأحذية حتى لا يعتقد أحد أنه جديد. إنه جيد جدا. أنا وأنت نقوم بتلميع الأحذية وسوف نبدأ العمل غدا" وابتسم الابتسامة نفسها التي أغضبتني اليوم السابق. وبدلا من الغضب شعرت بالصداقة.

في الصباح التالي، عندما أتى لكي يأخذني معه كنت مازلت لم أتوصل إلى قرار. لكن كان الوقت قد تأخر وخرجت معه. كان صندوق مسح الأحذية على كتفي والكرسي الدائري تحت ذراعي يشداننى بثقلهما إلى أسفل. زال بعض الحرج عندما تجولت ومعي الصندوق وبمجرد أن غادرنا المدينة تركني الأعرج وعبر إلى الناحية الأخرى من الطريق. بدأ يصيح: "لمّع حذاءك!"نعم، أنا وهو نلمع الأحذية، جلبت لنفسي الحرج والارتباك. يجب أن أفعل الشيء

نفسه لو أردت أن أقوم بواجباتي كشريك في العمل. كان الأعرج يصيح بحماس "لمع حذاءك! لمع حذاءك" لكن ذلك لم يكن سهلاً بالنسبة إلي. كان قلبي على حافة الانفجار من الضغط وانسد حلقي. كل شخص وكل شيء في الشوارع حتى الجماد بدا كما لو كان يدقق النظر إليّ. شعرت أنه من الطبيعي أكثر أن أعمل مع تاي – جيل، بدلاً من هذا الحمل الثقيل. ولكنني لم أملك سوى أن أتبعه صامتًا.

وجدنا أول زبون لنا. رغم طاقة الأعرج وخبرته بدأت أنا أولا. كنت خائفًا وبسرعة أومأت إلى شريكي في العمل. طبعًا كان لدي فكرة مسبقة عما يجب عمله، لكن عندما جلس رجل في منتصف العمر على الكرسي ووضع قدمه على صندوق مسح الأحذية شعرت بالخوف. حسب تعليمات المدرس يجب أولا مسح القاذورات في أسفل النعل بفرشاة أسنان وأنفض التراب عن حذائه وأنظفه وأضع عليه الورنيش وألمعه. لكنني كنت متوترًا وعصبيًا فوضعت الورنيش قبل مسح الأوساخ وزاد خوفي بسبب أخطائي وفي غمرة ارتباكي وضعت بعض الورنيش على جورب الزبون النظيف.

"لابد أنك جديد في المهنة أيها الصبي" قال الزبون. لم أرد عليه واحمر وجهي".

ألقى الأعرج نظرة سريعة وفاحصة على الزبون كي يعرف حالته النفسية، وبسرعة قال "بدأ العمل منذ ثلاثة أيام فقط، وسوف أنظف حذاءك بعد أن أنتهى من هذا الحذاء، ومن فضلك لا تقلق ".

لم أملك الشجاعة لرفع رأسي، ولكن هذا الرجل اللطيف لم يبد متضايقًا من أخطائي، وقال: " بالطبع " تلميع الأحذية مهارة كبيرة وليس من السهل أن تجيدها من البداية هل تعرف ما فعلته بمجرد أن قررت أن أنحدر جنوبا؟ طفت مع صانعي الأحذية وتعلمت كيف أصلح الأحذية. يجب عليك أن تمتلك مهارة ما؛ كي تبقى على قيد الحياة أينما وجدت نفسك، كنت أعتقد أن إصلاح الأحذية مهارة أستطيع أن أستعملها أينما وجدت نفسي. ليس أمرًا صعبًا ولا تحتاج الكثير لكي تبدأ. لو كان عندك صندوق "عدة" تستطيع على الأقل أن تكسب ما يكفي لتبقى على قيد الحياة. وينطبق الشيء نفسه على تلميع الأحذية، لو تمتلك صندوق مسح الأحذية تستطيع أن تتجول في أنحاء العالم إنها مهارة كبيرة..." حكى لنا عن أمور كثيرة في الحياة. الآن وأنا أفكر في ذلك، أعتقد أننا كنا نسمع محاضرة قيمة عن الاقتصاديات وعن النجاة والبقاء على قيد الحياة، والمال والوظائف والناس.

أخيرا استجمعت شجاعتي لكي أنظر إلى وجهه. كان يبتسم برقة إليّ. كان قلبي يتفطر حزنا ركزت على الحذاء مرة أخرى

وقمت بمسحه بخفة ووضعت عليه الورنيش ولمعته. العرق تصبب على طرف حذائه. لم يكن ممكنًا أن أكتسب خبرة الأعرج في يوم واحد. رغم كل جهودي، فإن الحذاء الذي قمت بتلميعه لا يمكن مقارنته بتلميع شريكي، لكن الرجل اللطيف لم يهتم ورفض عرض الأعرج بأن يلمعه مرة أخرى. " لا يحتاج الأمر إلى ذلك. إنه شيء تضع أقدامك فيه وليس ميدالية. أحسنتما".

ارتدى حذاءه الذي لم يتم تلميعه جيدًا وغادر مسرعا.

الجنس الخشن

غادرنا المنزل عند الفجر. دق الأعرج على بابنا بمجرد انتهاء حظر التجول قائلا إننا يجب أن نذهب لكسب الرزق. لم يقل الأب أي شيء عندما غادر الابن الحي المظلم وتثاءب بكسل. كنا على وشك التجول على الحانات والفنادق الصغيرة. ظل الأعرج يحثني أن أسرع قائلا إنه يجب أن نتفوق على الأطفال الآخرين بالإسراع مبكرا. لو تأخرنا سنضطر للجري وصناديق مسح الأحذية التي كنا نحملها تصدر صوتًا عالياً. هؤلاء الأطفال الآخرون يجدّون في العمل في هذه الأيام دائما يستيقظون مبكرا. أسرع! " كان يقول ذلك لاهثًا. بدت ساقه عرجاء أقوى من ساقي أنا العادية. وعندما كنت أجري وراءه كنت أفكر في أشياء عشوائية.

ذات مرة تذكرت الطريقة التي اعتدنا أن نتجول بها لجمع الزهور. في الريف، نحن الأطفال لم نكن ننام في موسم الإزهار. أحيانا كنا نغادر في منتصف الليل وندعك عيوننا بخمول. أنا والأخت كنا نقوم برحلة طويلة إلى كل الطرق والمسالك في قريتنا نتفحص كل شجرة، كانت زهور صغيرة تفرش الأرض تحت الأشجار التي لم يقترب منها أحد. وكنا أيضا نستيقظ في منتصف الليل في مثل هذا الوقت من السنة عند سماع صوت سقوط الكاكا الناضج على الأرض. كنا نندفع للخارج بمجرد أن يصيح الديك ونجمع الكاكا والزهور بما يكفي؛ لكي نملأ سلة كبيرة أو كيسًا من القش.

لم نستطع أن ندور على كل حانات المدينة رغم نشاطنا. الأماكن التي استطعنا أن نذهب إليها كانت محدودة، وكنا نستطيع أن نتردد على الحانات القذرة قرب السوق أو عند محطة القطار. كان الناس في هذه الأماكن المكتظة يدخلون غرفًا ويتركون أحذيتهم. سواء كانت رجالي أو حريمي أمام كل باب. كان الأعرج دقيقًا وسريعا مثل الماكينة. حتى أسوأ الأحذية حالا كان ينظفها في خمس دقائق، لكني كنت أحتاج على الأقل عشرين دقيقة. لم يتبق أمامنا وقت طويل حتى ننهي العمل بعد أن مر الوقت بهذه السرعة. عندما كنا نجري ونطوف حول الأماكن بجنون، كانت شمس الصباح تلقي

باللون البرتقالي على جانب من سماء المدينة، وكنا نشعر بالدفء يسري في جبهتينا.

كان من المفترض أن نقتسم دخلنا لأننا كنا شريكين في العمل. كان واضحًا أنني أشعر أنني مدين للأعرج، وكان ينبغي توزيع الأرباح بالطريقة نفسها التي يقسم بها العمل. بعد تفكير طويل. اقترحت أن أجمع الأحذية له أثناء قيامه بالتنظيف. وكان هذا قرارا جيدا لذلك جربناه على الفور. لكني كنت بطيئا حتى في هذا. سرعة الأعرج في مسح الأحذية كانت دائما ثابتة. لسوء الحظ كان هناك الكثير من الأحداث غير المتوقعة في انتظاري. لا أحد ممن يترددون على الحانات يذهب للنوم مبكرًا، ولو أيقظت شخصًا ما لن أستطيع الحصول على أي أحذية. صاحب الحانة الحقير سوف يصفعني لو اصطدمت به. أحيانا كنت أتهم بالسرقة ويفتشونني تفتيشًا ذاتيًا. اللياقة والشجاعة كانت ضرورية لهذا العمل لكن حتى في وجود ذلك كانت هناك أوقات لم أكن أستطيع الحصول فيها على أي شيء.

عندما كنت أعود بلا شيء كان شريكي في العمل يدق على جانب من الصندوق ويصيح "لا شيء؟" فقط أحضر الأحذية جميعًا إلى هنا. لا تسألهم! إنني متأكد أن أحذيتهن ليست كلها من المطاط لم أغضب قط من الأعرج الأمين. كل ما يفعله هو تشجيع شريكه

المتخوف وكنت ألقي اللوم على نقص مهاراتي وحظي العثر في ذلك اليوم. وكان ينتابني الخجل وأجري إلى مبنى آخر.

بالفعل هنا يقع أصعب جزء بالنسبة لي. حتى عندما كانت المدينة مستغرقة في النوم كان بعض النساء يتجولن في الشوارع. بعضهن داخل حجرة تستطيع أن ترى ما يجري فيها من الخارج كما لو كانت مكان عرض كن يراجعن نقودهن بقليل من الهمة. في بعض الأحيان كنت تجد امرأة سكيرة تتقاتل في منتصف الليل وتلقي من فمها كل أنواع العبارات القاسية. هكذا كان حال كل الحانات ولكنها كانت حالة خاصة بالنسبة للحانات المجاورة قرب السوق أو محطة القطار. وكان الأمر أكثر سوءًا في حيّ الضوء الأحمر. رأيت امرأة عارية تمشي فى الخارج عارية القدمين كما لو كانت تمشي أثناء نومها، تنظر إلى الساحة الإسمنتية وبعد ذلك تزحف إلى حفرتها لتنام. شاهدت أمورًا أخرى فظيعة وسوقية لكن لا يوجد سبب للدخول في التفاصيل. قلبي الصغير كان مسحوقًا بصعوبة المعيشة والخشونة والقسوة، لكني مازلت أتذكر ما قاله الأعرج " هذا أمر طبيعي بالنسبة لهم إنهم ينتمون إلى ذلك النوع من الناس الذين لا يعرفون العيب ولا يخجلون ... "

كنت مضطرًا للعودة إلى الأماكن التي لم أجد فيها عملاً ميكرا. ربما بسبب الحرارة كان يبدو أن كل الناس تخلوا عن تغطية

الأجزاء الخاصة من أجسامهم. لا يوجد سبب لأن أختبئ. كنت فقط أتجول بحثًا عن أحذية ألمعها، خضت خلال الناس العراة بحثًا عن عمل. لم يتدخل أحد. سخية بالنسبة لأطفال مثلنا.

قابلت ابنة الأرملة في إحدى تلك الحانات. كانت جالسة بجوار رجل نائم تدخن بهدوء. الباب الصغير كان مفتوحا بسبب الحرارة الشديدة واستطعت أن أرى الجزء الداخلي الذى يشبه الكهف في لمحة واحدة. فكرت في زوج ابنة الأرملة. الفتى الوسيم الذي عاش معها وكان يتشاجر معها في منتصف الليل مما كان يثير ضحك الجيران، وكان يتردد على محل حلاقة العصابة. نظرت إلى وجه الرجل النائم. لم يكن هو. قالت: "هل تنظف هذه الأحذية " فوافقت. كانت ترتدي ملابس تظهر جسدها حيث استطعت أن أرى كل تفاصيل جسمها، وجهها الشاحب ورقبتها الرفيعة وجسمها الضعيف. صحتها كانت أسوأ مما اعتقدت. كانت دائمًا تعود من البار إلى المنزل في وقت متأخر. وعندما كنت أراها تتجول في الشوارع وصفارة خطر التجول وراءها، كنت أنزعج بسبب تعبها وحالة السكر التي تمشي بها، وعرفت أنه لا ينتظرها إلا حجرة تشبه الصندوق وأمها المعروفة بالحدة والقسوة أكثر من عشرة رجال، والرجل الذي لا يهش ولا يفعل شيئًا سوى الشكوى كل ليلة من أنها لا تنام معه. زوجان من الأحذية كانا موضوعين أمام الباب، واحد لها والآخر

للرجل وعندما أخذت الزوجين قالت "هذا فقط" أخذت حذاءها الصغير والبالي مثلها، واستدرت عائذا أدركت أن شعوري تحسن رغم أنني قابلتها في مكان مثل هذا. لم أكن مندهشًا أو مذهولا. شعرت بهدوء وألقيت بالحذاء أمام الأعرج.

بعد جولاتنا كنا نتناول الإفطار متأخرين في مكان الأكل المفضل لنا، حيث كنا نطلب طلبين مضاعفين من كاكي أودون ونقسم دخلنا بالتساوي. كنت متأرجحًا ومتناقضًا في كل مرة. في مرة كان الواحد يشعر أنه يريد المزيد بعد تناول الطلب المضاعف الذي لا يستطيع المرء أن ينسى طعمه. وفي مرة أخرى كنت أشعر بالذنب لتقسيم النقود بالتساوي، ولكني لم أستطع أن أحل هذا الخلاف والتعارض قبل مغادرة المطعم. في ذلك اليوم كان لدي صراع وتعارض إضافي يخص ابنة الأرملة القاسية. شعرت كما لو كنت شريكها في جريمة رغم أنها لم تتعرف عليّ.

حلبة السباق

كان هذا صندوق مسح الأحذية الخاص بي ولم يكن وسيلة السفر حول العالم. لم يمر وقت طويل قبل أن أتعرف عليه. حرارة الصيف كانت شديدة والطرق الإسفلتية في وسط المدينة ذابت مثل الحلوى الدبقة، وكان عدد قليل من الناس في الخارج في منتصف

النهار. بدت المدينة كما لو كانت في حرب داخل نفق ضيق مع الحرارة الرهيبة. كان الجانب الذي سيفوز واضحًا للعيان. سحبت المحلات المظلات وتم تغطية أماكن العرض بالصحف وتم رش الطرق الجانبية ولكن هذا لم يكن كافيا لكبح الحرارة الشديدة. كل ما كان معرضا لأشعة الشمس احترق وأصبح لونه أحمر مثل الدجاجة المحمرة، ومن الطبيعي أن يصبح الناس أكثر جفافا وصرامة .

كنت بمفردي. ذات مرة بعد انتهاء عملنا في الفجر انتهت شراكتنا. من الآن فصاعدًا سوف يعمل كلٌ منا بمفرده. كان هذا بالطبع اقتراح الأعرج لكي يزيد دخله. ولم أكن أعارض ذلك كنا دائما نفترق بعد الأكل في المطعم، وبدأ ينتابني شعور بالوحدة والتفاهة. بعكس الأعرج لم أكن أنوي زيادة دخلي. كنت أعتقد أن لا شيء سيتغير حتى لو ربحت أكثر من شريكي. كنت أحتاج نقودًا كثيرة منذ مدة طويلة قبل ذهاب أختي إلى منزل لحم التوفو، وقبل موت الأم وقبل أن يصبح الأب مجرمًا سابقًا .

بدأ الأب يربح القليل من المال منذ وقت قصير. ولم يكن يحتاج إلى رأس مال كبير، كان ما يحتاجه أقل مما بدأت أنا به لكي يبدأ. كان يحتاج إلى إطار على شكل حرف A من عصا خشبية، لذلك لم نحتج إلى نقودي. وبعد كثير من التفكير صنعت صندوقًا صغيرًا به فتحة على القمة كالحصالة وكنت أضع فيه أرباحي

اليومية، لكن لم يكن هناك هدف لاستثمار النقود، لذلك بعد إسقاط النقود في الصندوق كنت أنسى أنها هناك.

سوف أقضي بقية اليوم في تضييع الوقت. تجولت في الشوارع حاملاً صندوق مسح الأحذية على كتفي، وكان المفروض أن أصيح "لمع حذاءك!" "لمع حذاءك" لكنني تجولت وفمي مقفول.

لم أعرف حقا كيف اكتسحت الحرب المدينة. الأشياء التي رأيتها عبارة عن أطلال مرعبة. مخزن النقل المحطم ومبنى المجتمع نصف المحترق وعدد قليل من أبراج الحديد العارية التي يستخدمها من يعرفون، والوادي الضيق القذر الذي يقال إنه يستخدم كمدفن لكثير من الجنود والمدنيين، والمتنزه العاري حيث تجمع اللاجئون غير العاطلين. كان يتم اغتيال الناس في عز النهار في سوق يانكي أمام محطة القطار. كل أنواع اللهجات الإقليمية أحدثت ضجة في الساحة المملوءة بالدمى. كنت أشاهد ذلك وأنا مرعوب.

قدماي العاريتان داخل حذاء من المطاط كانتا ساخنتين وغارقتين في العرق. وجدت بقعة من الظل وجلست ومعي الصندوق وشعرت بدوخة. كان كلب جائع يتدلى لسانه الأحمر الطويل ويلهث في الشوارع الخالية. واحمرت جفوني وكانت المدينة تعوي كما لو أنها سوف تنفجر مثل فرن الانصهار. لابد أنني نعست. وعندما

فتحت عيني وجدت حذاءين عسكريين أمامي. نظرت إلى أعلى فوجدت رجلاً جالسا على الكرسي يرتدي قميصًا وينظر إليَّ. بسرعة جذبت الصندوق من تحتى. وكانت تلك غلطة، فركل الصندوق وتبعثر كل ما فيه.

" اذهب والتقطهما "

فعلت ذلك. ثم قال آمرًا: "اجلس وأعطني يدك" أعطيته اليد اليمنى.

قال: "يبدو أنك ماهر. إن أطفالي يجلسون حولنا يتثاءبون". ضغط على يدي مرات قليلة. في اللحظة التالية صرخت ولم أكن أدرك خطته. تهشمت يدي تحت فردة حذائه الثقيل.

"وقال ببرود: اخرس قبل أن أسحقها" وكانت قدمه مازالت فوق يدي. "أخبرني لماذا تعمل هنا؟ ومن أعطاك الإذن؟ تعلم أن هذه منطقتي. ابعد من هنا يا ابن العاهرة".

لم أستطع أن أقول أي شيء. كانت غلطتي ونسيت تعليمات الأعرج لحظة. عندما افترقنا أمام المطعم كان دائما يؤكد: أولا يجب ألا أنحرف عن طريقي المعتاد، وثانيا: لو دخلت منطقة خاضعة لشخص آخر يجب أن أقوم بجولة بطول الجوانب .

بين كل شوارع المدينة لم يكن يوجد سوى أماكن قليلة يستطيع أطفال مثلنا الذهاب إليها. يمكن أن تدخل في مشكلة كبيرة لو لم تتمسك بالضوابط والحدود. أيضا حتى في المناطق المسموح بها يوجد أجزاء خارج نطاق الحدود مثل: المقاهي والمباني العامة والميدان المزدحم أمام محطة القطار، أو قرب محطة الأتوبيس وتقاطع الطرق والأماكن التي يحكمها ملوك الساحات، ويحصلون على الإيجارات الباهظة. وبالطبع لم أعرف من هم ملوك الساحات. عرفت أنهم لم يكونوا أصحاب المقاهي ورؤساء المنظمات العامة أو رؤساء شركات الأتوبيس. من الواضح أن الرجل الذي قابلته كان واحدًا منهم .

لم أقاوم لكنني لم أتوسل العفو. قدمه ما زالت تسحق يدي، سأل: "وإذن ماذا ستفعل؟ تريدني أن أكسر يدك لكي لا تستطيع العمل مرة ثانية؟".

أدركت ما يريده، ووافقت أن أعطيه ما كسبته في ذلك اليوم. أخذ المبلغ بسرعة وحرر يدي من تحت قدمه وقيوده. كانت أصابعي حمراء وتؤلمني.

"يا فتى" خاطبني برقة وقام وربت على كتفي وقال: لا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى. من فضلك أيها الصبي؛ لأن هذا صعب

بالنسبة لكلينا ". بألمٍ حقيقي في وجهه عبر الطريق ومشى بعيدا في الشمس الساطعة. ووقفت ومعي الحقيبة التي لم أستطع أن أسافر بها إلى أنحاء العالم. يدي كانت تؤلمني ولكنني كنت على ما يرام في تلك الليلة ذهبنا إلى رحلة صيد، ولم تكن الضحية كبيرة مثل الأنف الكبير ولكنه كان قريبا. ونجحت رحلة الصيد كالمعتاد وكنا راضين.

تحت الإصلاح والتجديد

كان تاي-چيل أول واحد يخبرني عن الأحداث التي دارت في محل حلاقة العصابة. حدث ذلك في النهار عندما كنت أتجول في المدينة بصندوقي .

أرباحنا كانت جيدة في ذلك اليوم ولم نواجه أية مشكلات أثناء ساعات الصباح المبكرة، وكان يوجد تدفق مستمر طوال اليوم، مما جعلني أشعر براحة رغم أنني لم أهتم كثيرا بجمع المال، واتجهت إلى منطقتنا عندما حلّ الظلام. رائحة حرق الفحم ونشارة الخشب صعبة الاحتمال، كانت تنتشر في كل أنحاء الشارع. بعد انتهاء الموجة الحارة، كان المساء الصيفي محتملاً، ورأيت ناسًا مألوفين يعودون إلى المنازل وطريقة مشيهم تكشف عن مدى تعبهم .

كان تاي-چيل ينتظرني بشغف. اندفع من الجانب الآخر واصطدم بي عندما كنت أتوجه نحو حجرتنا. كان منفعلاً للغاية.

" أخيرا، أنت هنآ! ذهبت إلى منزلك " قال ذلك وهو يلهث ولم يستطع أن يجد الكلام المناسب.

" لماذا ؟"

"وقع الحادث مرة ثانية في محل حلاقة العصابة" وكان مقطوع النفس.

"آه ذلك لا يخيفني". أجبت معتقدًا أنه كان يقصد أن خصمًا جديدًا قد ظهر. لكن لم أعتبر تلك أخبارًا. كنت غير مهتم رغم إثارته. مثلما كان يحدث لضحايانا الذين كانوا دائمًا يُهزمون، لم نر قط شخصًا يفوز على السيد كانج، واعتقدت أن النتيجة كانت واضحة لذلك سألت ولم أكن مهتمًا "لكن مَنْ هو الفتى الذي هزم هذه المرة؟"

"لم يهزم فقط". قال وهو يرتعش. قال بصوت ضعيف وغريب "لقد مات. هذا حقيقي. أنا رأيته ولا يوجد مخرج لكي يعود إلى الحياة. إنه فعلا ميت".

"ماذا؟ من؟" سألت بجدية " من مات؟ ليس السيد كانج، أليس ذلك صحيحا؟".

"لا داعي للشعور بأية صدمة، السيد كانج مالك محل حلاقة العصابة مات".

" السيد كانج؟ هل أنت متأكد؟ هل فعلا رأيته؟ هل تمزح ؟"

أخيرا حكّمت عقلي وسألت السؤال نفسه لمرات قليلة. لكن تاي-چيل لم يكن يمزح، وكان مرتعشا من الدهشة وأراد أن يذهب إلى المحل مباشرة ولم أصدقه. هل السيد كانج بطلنا سقط أخيرا؟ جرينا إلى محل الحلاقة وكان مغلقًا ومظلمًا. لم يكن يوجد أي مشاهد أو زبون، لأن محل الحلاقة كان خاليًا كما لو كان قد أغلق مبكرا. كان هناك فقط تجهيزات المكان الثابتة غارقة في الظلام. شعرت بالبرد المرعب في عمودي الفقري. كما لو أن ليلة صيف رقيقة لفت حول رقبتي لكي تخنقني مثل الفوطة المبللة. لاحظت شيئين غريبين الأجهزة في الداخل لم تكن مرتبة كما كانت دائمًا. كأنها مثل الكراسي والمقاعد التي يتم دفعها عند كنس الفصل. كل شيء كان مكومًا في ركن. لكن لم يبدُ أن هناك تنظيفًا. كومة من الشعر التي لم يتم كنسها كانت على الأرضية بالإضافة إلى قطع صغيرة من الخشب المكسور. لا شيء من الأجهزة تم إتلافه. وجدنا لافتة ملصوقة بالقرب من مقبض الباب. قرأت الكلمات المكتوبة بخط اليد "تحت الإصلاح والتجديد والعمل متوقف حتى إشعار آخر" استدرت حولي ولم أستطع أن أصلب طولي وأتحكم في توازني.

أخبرني تاي-چيل أن مجموعة من خمسة أو ستة رجال يرتدون سترات موسمية لا تناسب الجو الحار دخلوا محل الحلاقة

بعد وقت الغداء، وأغلقوا الباب خلفهم بمجرد دخولهم. لم يكن يوجد زبائن في مثل ذلك الوقت من اليوم. كان السيد كانج كالعاداة جالسًا على كرسي والتفت نحو الشباك ينظر إلى الخارج لقضاء وقت الفراغ وربما غفا قليلاً. كان الحلاقان وخبيرة التجميل يتصفحون الجرائد ويستمعون إلى الدراما الإذاعية عندما أزعجهم المحتالون. أخرج كلٍّ من الرجال المحتالين قطعة من الخشب من ستراتهم، وطبقا لما قاله أحد الموظفين كانت قضبان الخشب تفوح منها رائحة أقوى من الصمغ، كما لو تم قطعها بآلات النشر. وبغرابة كان السيد كانج عاجزًا. لا أحد توقع أن يحدث ذلك. واحد من الرجال رفع صوت الراديو كان مسلسل عن قصة حقيقية عن الحرب ومشاهد القتال العنيف. وكل أنواع رصاصات المسدسات والضوضاء التي تصم الآذان للخزان وصرخات الناس عند موتهم ملأت المحل، والرعب الصارم الذي تم ارتكابه على هذه الخلفية.

سمعت أنه بينما السيد كانج يبدو مثل الرجل الميت ظهرت ابتسامة فاترة على وجهه. الرجال دفعوا كل شيء إلى ركن وسحبوا السيد كانج على كرسيه. ولم يقاوم وكان هادئا كما لو كان يعرف مكانه. وقف عدد قليل من الرجال أمام النوافذ لسدها وتم إرغام الموظفين على أن يقفوا أمام الحائط. تصاعدت حدة القتال في الإذاعة وسمع الموظفون المسدسات النارية والخزان وأصوات القنابل. العنف

الأكثر بدائية الذي يؤثر بقسوة على السيد كانج. وعندما غادر الرجال كان هناك قليل من قضبان النوافذ المكسورة وجسم السيد كانج الذي تم تدميره مكوم على الأرضية وتم نقله إلى المستشفى. لكن لا أحد توقع أنه سوف يبقى على قيد الحياة، وكان يبدو أنه من المستحيل أن يرد الغزاة ويستصلح مملكته مثلما فعل قبل ذلك.

بعد أسبوع تم إعادة فتح محل الحلاقة. رغم وجود لافتة إعادة التجديد لا شيء تغير. التغيرات الوحيدة التي تمت أن خبيرة التجميل لم تعد هناك وأن اللافتة كانت جديدة. بدلا من محل حلاقة كانج كانت اللافتة الجديدة محل حلاقة الأمل. اثنان من الموظفين الجدد حلا محل خبيرة التجميل. وغالبا كنا نرى المالك الجديد: رجل ذو بشرة سمراء ويرتدي جاكتا وحذاء مخرمًا. وبموقعه في شارع مزدحم في الحي كان محل الحلاقة ناجحا للغاية. كل وقت أمر في المكان أنظر إلى لافتة محل حلاقة الأمل. بدلا من الأمل كنت أشعر بيأس وفكرت في كلام السيد چواك عن ملكة النمل وجنود النمل. طبقا لتفسيره فإن ملكة النمل قايضت جنديا من النمل مقابل الآخر. ولكنني لم أستطع أن أفهم النظام الغريب والقاسي لذلك العالم.

لحم التوفو والأولاد الكبار

لم أكن الشخص الوحيد الذي تأثر بموت السيد كانغ. إنني متأكد أن الجميع تأثروا لموته. لم يفهم أحد الخطوط العريضة للحادث وكان اضطرابنا كبيرًا وعميقًا.

أصبحت حتى أقل حماسا في عملي، لولا أن الأعرج النشيط يأتي ليوقظني كل صباح، كنت رميت صندوق مسح الأحذية التافه الذي لا تستطيع أن تسافر به حول العالم من فترة طويلة.

كنا قد سئمنا رحلات الصيد أيضا. كنا نتجمع واحدًا وراء الآخر عند السكة الحديد كل ليلة، ولكن بحكم العادة وبسبب العطش لم تكن هناك إثارة مثلما كان يحدث من قبل، وقلّت رحلات الصيد الليلية، وحتى عندما كنا نقوم بها لم يكن لها طعم، وكنا نطلق سراح الضحايا دون أن نفزعها. لم يعد الصيد يمتعنا بعد أن كان مصدر سرورنا. كنا نجلس في صف على طرق السكة الحديد في الظلام وكان كل شيء كئيبا. والأولاد الكبار كانوا كذلك. ربما يجب إلقاء اللوم عليهم بسبب المناخ العام الخالي من الحياة. لا تستطيع أن تجد فيهم حماس النداء القيادي المتبع عند كل تجمع، وحماس من كان لديه خطط تنظيمية وجماعية. الحماس الذي اكتنفهم جميعا انتهى. نحن الصغار انزعجنا بسبب يأسهم الغامض وقلقهم. سوف يجردون تاي-

جيل من ملابسه ويصبح عاريًا كما ولدته أمه لو لم يحضر السجائر، أو يركلون واحدًا منا لو اشتكينا.

أصبحنا أكثر تخوفا من الأولاد الكبار الذين وثقنا فيهم وتبعناهم أكثر مما تبعنا آباءنا. حاولنا أن نقيم بعيدا عنهم بقدر الإمكان. لا أستطيع أن أشرح لماذا كنا نتجمع عند ممرات السكة الحديد رغم كل ذلك.

وحتى إذا أسيء فهم ذلك، وعلى كل حال كانت طريقة غامضة لوصفه. كل ما أستطيع قوله: إن ذلك كان محتملا بسبب عطشنا. اشتقنا لشيء ما ينقذ أرواحنا الفقيرة والجائعة: الحب. لكن العطش الشديد سيطر علينا مع افتقارنا للحب.

بدأ الأولاد الكبار التحدث عن الأخت حينئذ، بسبب لحم التوفو. كانوا يجلسون على الطرق ويرتشفون المشروب الروحي من الزجاجة. كان ذلك بعد ذهاب معظم الأطفال إلى منازلهم حيث تأخر الوقت ولم نذهب إلى الصيد. عدد قليل من الأطفال وأنا منهم كنا لا نزال هناك نراقبهم، ولم يكن لدينا شيء آخر نفعله. يبدو أن فصل الصيف قد انتهى بالفعل. كانت الليلة باردة قليلاً وكانت سجائر الأولاد الكبار مشتعلة ومتوهجة في الظلام. كانوا يشعرون بالدفء في هذا الوقت من العام. لكن سرعان ما خبا النور ولم يعد هناك

سوى ضحكات الأولاد الكبار والظلام الدامس. أخرج أحدهم شيئًا وأخذ يلعب به، وبسبب تصرفه هذا وسكرالأولاد تحول يأسهم بسرعة إلى شغب.

" يا إلهي! "

نظرنا إلى أعلى ورأينا شخصًا ما يجري بعيدا في الظلام. كانت بنتًا " امسكوها! صاح الولد الذي كان يلعب مع نفسه وقام الأولاد الباقون بالمطاردة. تبعناهم في لحظة ارتباك – أمسكوا بها على بعد أقدام قليلة. كانت لحم التوفو، وتعرفت عليها حتى في الظلام.

"هل تريدين أن يتم قتلك؟ لماذا تتجولين هنا؟" الولد الذي كان يلعب مع نفسه ألقى بزجاجة مكسورة في وجهها. كان يرتعد مُهانا، لكن لحم التوفو كانت عديمة الاكتراث، لقد صادقت أولادًا كثيرين أكثر من البنات. ربما بسبب بدانتها وبشرتها البيضاء. لم تكن مفزوعة وردت في ثقة: "لم أكن أعرف! لماذا تفعلون هذه الأفعال القذرة؟"

ماذا؟ إننى سوف أقتلك!؟

حبسنا أنفاسنا وتخيلت أنها تسقط على الأرض وتصرخ وتمسك وجهها المغطى بالدم، لكن الولد تردد وارتعش عند تقاطع

الطرق الحادّ مثل حدة الزجاجة المكسورة. إنه موقف طارئ. كنا متوترين ونفكر أننا مضطرون إلى التدخل وهو بين الشعور بالإهانة والتدمير الشديد.

فقدت توازنها. "توقف ولا تكن غبيا وابعد هذا عني!" قالت بهدوء وصوت منخفض. كان صوتًا مليئًا بازدراء الرجال واحتكامهم لم نسمع مثله من قبل. "تصرف برجولة. إنك جبان".

تهشمت الزجاجة وفي الوقت نفسه سقط الاثنان داخل السرداب المجاور للطرق. صرخت مرتين وهدأت بعد ذلك خيم الظلام والصمت على كل شيء. الأولاد الكبار الذين كانوا يشبهون التماثيل كانوا يضحكون بعد أن روعونا. طاردونا دون معرفة السبب، ورمينا أحجارًا نحوهم ولم نعد نسمع ضحكهم مرة ثانية .

الإطار الذى على شكل حرف A

كان الوالد مثلي ليس مهتما بالحصول على المال. كان يغادر المنزل يوميا والبرواز الذى على شكل حرف A على ظهره، وغادرت أنا المنزل والصندوق على ظهري. غادرت عند الفجر بسب الأعرج النشيط لكن الأب كان كسولا قليلا، وكان أيضًا يعود إلى المنزل مبكرا عني؛ لذلك أول شيء كنت أراه عند العودة إلى المنزل هو الإطار أو البرواز الذي على شكل حرف A. حتى لم

يصنع من خشب الإطارات العادية، لكن صُنع بلا إتقان من قطع خشبية قليلة تم شراؤها من ورشة نشارة الخشب. يجب تسميته برواز A المدينة؛ لأنه كان مهملا مثل صاحبه. ورأيت أبي عائدا والبرواز على كتفة مرات قليلة وكان يمشي في الشارع الضيق. كل شيء عن الصورة كان يظهر الإهمال. كان يمشي ورأسه منحنية والإطار المتأرجح معلق فى جانب واحد من كتفيه. أصابعه تمسك عصا المشي وأكواخ تشبه لعب الأطفال والزقاق الطويل والضيق، كل شيء كان به استهزاء وغباء. كل شيء كان مصنوعًا بغباء وإهمال. وتخيل مرور الأب في الشوارع أو حول مقر السوق ومحطة القطار، كان يدفعني إلى الضحك وكان طبيعيا أن الأب لم يكن ذا همة في جمع النقود، ولم يكن جيدا بالإطار الذى كان على شكل حرف A، حتى عندما كنا نعيش في الريف. لو وضع في الإطار حمولة من الخشب يكون ارتفاعها نصف ما كان يحمله الآخرون وتميل إلى جانب واحد وتجعل الناس يضحكون. كان يخرج كل يوم لكي يحصل على رزقه في قلب المدينة الباردة بمهارته المتواضعة. أعتقد أن النتيجة تكون الشيء نفسه حتى لو جمع المال. حتى لو أننا لم نأخذ عدم مهارته فى الاعتبار. لم أسمع عن أي واحد حتى في مدينتنا أصبح غنيًا عن طريق الإطار الذي على شكل حرف A والمائل. كثير من الجيران ربحوا قوتهم من الشيء نفسه، وغالبا كنت أراهم

يمشون سكارى عند العودة إلى المنزل وعدد قليل من سمك الجراب معلق في إطاراتهم. عرفت أن تلك كانت أيام الحظ. ومن حسن الطالع أن شخصًا ما مثل الأب لم يتوقع الكثير من الإطارات.

(لم أنس فشل الأب في بيع فطائر الفول الأحمر عندما وصلنا إلى المدينة أولا، وعدم معرفة الكثير من الأمور كانت تجعل الأب ينظر إلى القدر ذي الفتحات الأربع والعشرين ويقول "الصبر. انتظروا الثروة". هذه الماكينة الغريبة سوف تبدأ طباعة الكثير من الأوراق النقدية. منذ ذلك الحين عرف أنه كان يصطاد بسنارة نقود الآخرين، وكان يحتال في هذا العالم القاسي. لذلك لا تستطيع أن تنتقده على عدم المبالاة بالنسبة للإطار الذي لم يكن أحسن من أي أداة ولا حتى صفيحة الفطائر. لكنه تعلم أقل لأنه كان كسولا وأصبح أكثر كسلا لأنه لم يصنع الكثير.

كان الأب يذهب إلى غرفة السيد كيم تقريبا كل ليلة رغم أن صاحبها مات. أصدقاؤه بدأوا في القدوم مرة أخرى. أصوات السيد چواك والسيد تشوي والسيد كيم والآن الأب اختلطت معا، وضحكهم لم يتوقف حتى وقت متأخر ليلا. أحيانا كانت تتفرق مجموعتهم بعد منتصف الليل، وفي هذه الليالي كان الأب يعود إلى المنزل بعيون غائرة ويجلس متكأ على حائط ويتنهد بعمق. لم أفهم يأس الأب ولم أرد أن أنضم إليه؛ لذلك سوف أنفذ الطريقة الأخرى وأتظاهر بالنوم.

داوم الأب على التنهد في الفراش وكان يئن قليلا قبل أن يستغرق في النوم.

ذات يوم عندما بدا اليوم أقصر مما سبق. توجهت إلى الشارع وأدركت أن إطار الأب لم يكن موجودًا وحجرتنا كانت مظلمة ولا صوت يأتي من حجرة السيد كيم عبر الحي. كان هذا غريبا. ربما ذهب الأب بالإطار لكي يحرر نفسه من اليأس الذي لم يكن يدعه ينام ليلا. انتظرت وصوله في حجرتنا التي لم تكن أيضا عادية، وتذكرت الليالي التي كنت أنا وأختي ننتظر فيها الأب وشعرت بشعور غريب يسيطر عليَّ.

عاد الأب متأخرا جدًا ولكني لم أسأل عن السبب. السبب كان واضحا. فقد أحضر الأب اللافتات التي حملها بصعوبة ومن المدهش أنها كانت ترابيس متعددة الألوان. وجهه كان يلمع من العرق وكان له تعبير غريب لم أره من قبل ولم أجرؤ علي النظر إليه.

قال لي بصوت أجش: "لا تخبر أي واحد"، وتوجه إلى أسرة كيم. سرعان ما أحضر السيدة كيم والسيد غواك. اختار كل منهما اثنين من الترابيس من الكومة وغادرا. لم يعد الأب إلى المنزل حتى بعد منتصف الليل. كانت حجرة السيدة كيم هادئة، وكنت أسمع شخير الجيران المتعبين. حاولت الذهاب إلى النوم لكن لم أستطع، وفي تلك

اللحظة دخلت الأخت وكانت تبدو مندهشة من غياب الأب ووجود سلع غير مألوفة، ولكنها بوضوح كانت تشعر بشيء ما أقوى أو ربما أنها فهمت كل شيء في نظرة واحدة.

ومثلما كانت تفعل في كل مرة تأتي في منتصف الليل نامت ولم تقل كلمة، والتفتت بعيدا عني وبدأت تبكي في صمت. بكاء عميق وشديد أثار حزني الداخلي. لكن الرائحة الكريهة التي تشبه رائحة بندقية صدئة ما زالت هناك. بكت الأخت لمدة طويلة ولكن هذه المرة دموعها لم تغسل تلك الرائحة .

أخيرا نمت قرب الفجر ولكن بعد وقت قصير استيقظت مع الناس بسبب الاضطراب والهياج الذي جاء من نافذة حجرة الأرملة الخشنة" لماذا لم تعطه لي؟ ما نوع الرجولة في ترك عاهرة وحدها لو لم تهبك نفسها؟" .

"إنك تريد أن تتصرف برجولة رغم أنك تعيش على حساب امرأة؟ لو كانت تلك مشكلة لماذا لا تجد حفرة في الحائط كي تضربها بعنف".

أم الزوجة وزوج الابنة تشاجرا، بينما كانت المرأة النحيفة والشاحبة التي قابلتها في الحانة عند الفجر تبكي منفعلة.

ساعة اليهود

عندما أتى الأعرج لكي يحضرني. فكرت في شيء ما كان يجب أن أفعله، هو تهشيم صندوق مسح الأحذية. أصبح عديم النفع بالنسبة إليَّ منذ البداية حملته وطفت به كل يوم دون سبب. كان الأعرج واقفا بمفرده فى رطوبة الفجر. ضباب الصباح كان باردا على الجلد "نحن متأخرون. أسرع " قال بصوت خامل " أسف إننى استغرقت فى النوم تعال" .

كان قد بدأ أخيرًا الذهاب إلى مدرسة الأحد حيث كانوا يعطون دروس المدرسة الأولية، ويدرسون التوراة لساعات قليلة كل مساء. كان منتظمًا في الحضور، ومثَّل هذا عبئًا كبيرًا بالنسبة له، خاصة مع عدم قدرته وإعاقته، ولذلك زاد تعبه. أتى متأخرا لكي يقظنى وهو الذي اعتاد أن يفعل ذلك بمجرد انتهاء حظر التجول وغالبا يكتم تثاؤبه أثناء العمل.

كان الأعرج يبدو أكثر تعبا مما سبق وساقه العرجاء كانت تبدو أنها أكثر ضعفا أيضا. لم أستطع أن أخبره قراري؛ لأنه كان شريكي في العمل وكان مدرسًا عطوفًا. أخبرته أنني لم أشعر بتحسن. كان يبدو أنه قلق للغاية. غيرّت قصتي وقلت إنه كان يوجد شيء ما كنت مضطرًا أن أفعله، ووعدته أنني سوف أزوده بالتفاصيل فيما بعد في المساء. وجهه اسودّ. وأخيرا تحول بعيدا يجر

قدميه ورطوبة الضباب تغطيه. التفت حولي وشعرت بالذنب وقررت أن أفي بوعدي الكاذب له .

أشرقت شمس الصباح وألقت بضوئها على النوافذ التي تشبه حجم الأيدي وتضيء حجرتنا الصغيرة التي تشبه الصندوق. جاءت لحم التوفو لكي تأخذ أختي التي كانت عديمة الحركة. غادرت الأخت الحجرة دون أن تقول أي شيء. حزنها غير المعروف الذي دفعها إلى الخروج في منتصف الليل وسببت ذلك الصراخ المتوحش والعنيد واختفت تماما. استمعت إلى الهمسات والضحكات من داخل الحجرة وغادرتا.

فعلت ما كنت أحتاجه عندما كنت بمفردي وكان سهلاً. وضعت صندوق مسح الأحذية على أرضية المطبخ وهشمته إلى قطع باستخدام شاكوش. لم أترك أي شيء داخله متماسكًا. بعد أن كنست الأجزاء المسحوقة في سلة القمامة رأيت إطار الأب المهمل، وأردت أن أهشمه أيضا لكن لم أفعل على أي حال؛ لأنه ملك الأب.

كان الأب مشغولا طوال اليوم فهو بالإضافة إلى السيدة كيم والسيد چواك داوموا على الدخول والخروج من حجرتنا ولم يبق ترباسا واحدا. في نهاية اليوم. غادرت المنزل في الظلام. الضحك العالي من السيد چواك والسيدة كيم والسيد تشوي والأب أتى من

حجرة السيدة كيم. من بينهم ضحك الأب كان أكثر حدة. تذكرت شيئاً ما حين كنا نعيش في الريف. سوف يدرك المارة ضحك الأب. بصرف النظر عن البيت الذي كان يضحك فيه، لكن الآن ذلك الضحك لم يعكس الحرارة.

الأخت كانت جادة في العمل. كان إخوة لحم التوفو الأربعة هناك أيضا يطحنون الفول، وكانت الأخت تتصبب عرقا لكن تعبير وجهها كان أكثر إشراقًا مما سبق. إنها سعيدة مرة أخرى مع صاحب الساق الواحدة الذي كانت رائحته تشبه رائحة المسدس الصدئ.

الشيء الأخير الذي فعلته في المدينة التي كانت تشبه لعب الأطفال. المدينة السخيفة، كان زيارة الأعرج في مدرسة الخيمة الموجودة على التل. طوق الظلام والرياح الكنيسة الرائدة والخيمتين العسكريتين.

ذهبت نحو الخيمة التي كان بها لافتة تقول " نادي كتاب الله المقدس". نحو عشرة أطفال كانوا جالسين على أرضية خشبية. كانوا أطفالاً من مدينتي وأستطيع أن أرى الأعرج والمنظر الكامل للبنت التي تعرضت للاغتصاب. كان الأعرج في غفوة والبنت مستغرقة في التفكير ووجهها الرفيع مال إلى جنب.

(كان المدرس المحترم تشا، الشخص الذي طمأن الأم وقال لها إن صليت لله بصلاتنا نفسها لقديسة الحكمة، فإن أفراد أسرتك ستكون غير قادرة على أن تعيش سويا مرة أخرى. لكن رغبة الأم لم تتحقق " الله لم يكذب. ساعة خلاصنا لم تأتِ بعد... " المحترم تشا فتح الكتاب المقدس وبدأ يقرأ " جلس مع اثني عشر رجلاً وعندما أكلوا قال، حقا إنني أقول إن واحدًا منكم سيغدر بي - هذا مسجل في كتاب متى" ٢٦ :٢٠ : ٢١. بعد ذلك قال يسوع لكرادلة الكنيسة ومسئوليها والكبار الذين أتوا إليه: اخرج وكما لو كان يُحدث لصًا يحمل سيفًا ودروعًا؟ عندما كنت يوميا معك في المعبد لم تمد يدك عليّ، لكن هذه هي ساعتك وقوة الظلام - آمين. هذا مسجل في كتاب لوقا ٢٢: ٢٥ إلى٥٣.

استدرت إلى الخلف وخلفت وعدي مع الأعرج. لفتني طبقات الظلام وغادرت المدرسة واضعا يدي في جيبي، ورأسي محنية إلى أسفل. فجاة فكرت في مدرسة الريف التي اعتدت الذهاب إليها. حاولت بجد أن أتذكر النصوص والأسفار التي تركتها على المقعد السادس في الصف الثاني من النوافذ الجنوبية.

المؤلف في سطور

لي دونج ها

ولد المؤلف لى دونج - ها فى مدينة غيونغسان، محافظة شمال غيونغسان عام ١٩٤٢، درس الكتابة الإبداعية في كلية سورابول للآداب وحصل على الماجستير فى الآداب الكورية بجامعة كونكوك. وهو الآن أستاذ الكتابة الإبداعية فى جامعة تشونغ آنغ. ومن أهم أعماله "الحرب والسنجاب" عام ١٩٦٦، "الشتاء القاسي" عام ١٩٦٧، "الرمل" عام ١٩٧٨، "عودة مكتئبة للوطن" عام ١٩٧٨، "مدينة اللعبة" عام ١٩٨٢، "مستنقع المدينة" عام ١٩٧٩، "منزل الريح" عام ١٩٧٩، "دراسة عن العنف" عام ١٩٨٧، "أمام الباب" عام ١٩٩٣.

فاز بجائزة الرواية الكورية عام ١٩٧٧، وجائزة كاتب الأدب الكوري عام ١٩٨٣، وجائزة الآداب الحديثة عام ١٩٨٦ وجائزة أدب "أوه يونج - سو" عام ١٩٩٣.

المترجمة في سطور

مون چي يونج

- حصلت على البكالوريوس في قسم اللغة العربية بجامعة هانكوك للدراسات الأجنبية بسيول، كوريا سنة ٢٠٠٢ .
- حصلت على الماجستير في علم اللغة من القسم نفسه بجامعة هانكوك للدراسات الأجنبية سنة ٢٠٠٨.
- محاضرة في قسم اللغة العربية بجامعة هانكوك للدراسات الأجنبية، ومترجمة في جمعية كوريا والشرق الأوسط والمركز الكوري للثقافة العربية والإسلامية.

المراجع في سطور

عبد العظيم الورداني

- حصل على ليسانس آداب (إنجليزي) جامعة القاهرة عام ١٩٧٢
- عمل محررًا في مجلة الإذاعة والتليفزيون حتى ١٩٧٥
- نشر ترجمات في دوريات مثل مجلة المسرح ومجلة الكاتب وجريدة المساء.
- شارك في ترجمة كتاب نعوم تشومسكى (١١ سبتمبر)
- عمل محررًا مترجمًا في جريدة "الاقتصادية" – جدة – السعودية (الشركة السعودية للأبحاث والنشر).
- يعمل الآن محررًا مترجمًا في مجلة "كل الناس" – القاهرة.